مكتبة

الأعمال الشعرية الكاملة

مكتبة ٨٠٩

سيلفيا بلاث

ترجمة وتقديم: د. عابد اسماعيل

التكوين

مكتبة | 809
سُر مَن قرأ

الأعمال الشعرية الكاملة

سيلفيا بلاث

Sylvia Plath

The Collected Poems

Translated by Abed Ismael

مكتبة
t.me/t_pdf
٢٠٢٢ ٢ ٢٣

الطبعة الأولى 2020

© حقوق النشر والترجمة والاقتباس محفوظة
لِـ دار التكوين للتأليف والترجمة والـنشر

هاتـــف : 00963 112236468
فاكـــس : 00963 112257677
ص . ب : 11418، دمشق ـ سوريا
taakwen@yahoo.com

الأعمال الشعرية الكاملة

سيلفيا بلاث

ترجمة وتقديم: د. عابد اسماعيل

مكتبة | 809
سُر مَن قرأ

مقدمة

اعترافات القصيدة الغنائية

د. عابد إسماعيل

I

تكتبُ الشاعرةُ الأمريكية سيلفيا بلاث القصيدةَ الوجدانيةَ، الغارقةَ في ذاتيتِها، الشفّافة حيناً، المعتمة حيناً آخر، المتأرجحة بين قطبي البوحِ الشفيف، والتكتّم الملغز. تارةً يغويها الصمتُ فتنزوي، وتنأى بعيداً، وتغلقُ بتلاتها كوردةٍ تخشى لمسات الضوء، وتارةً تغويها الدلالةُ، فتنشرُ عبقها، آسراً، فوّاحاً، في معادلة الخفاء والتجلّي، التي تحكم، عادةً، بنيةَ النصوص القوية. قصيدتُها غنائيةٌ في جوهرها، زاخرةٌ بومضات التأمّلِ الذّاتي الشجيّ، الموشّى بازدواجية الأمل واليأس. قصيدة ثرية بالإيقاع الداخلي للجملة الشعرية، شحيحة بموسيقا العروض الجاهزة، ذلك أنها تقوم على الشغف بنبض الحروف وألوانها، فحسب، ومكتوبة بأسلوب السهل الممتنع، المستوفي شروطَ ما اصطلح النقدُ على تسميته قصيدة الاعترافات (confessions)، التي تتوخّى الغوصَ في أصقاعِ الذّاتِ الفرديةِ، وتسجيلَ أدقّ خلجاتها، عبر لغة لا تخلو، أساساً، من التوتّر، وتجمعُ بين الإبهام والوضوح، في بؤرة دلالية واحدة. إنها القصيدة التي لا تتنكّر لولعِها بالجوانيّ، ورغبتها الصادقة في الكشف عن مكنونات امرأة قلقة، تبحث عن مغزى أسئلة كبرى كالزمن والحبّ والموت. قصيدة بلاث، من هذا المنظور، هي محاولة دؤوبة لفهم

العالم، عبر الرموز والاستعارات والاسقاطات الاسطورية، وسبر مشكلة وجودية، طاردتها منذ طفولتها، كما يبدو، تتعلّقُ جوهرياً بجدوى الحياة، أو ربّما بسرّ الموت، وخاصّة بعد وفاة والدها، وهي في الثامنة من عمرها، ما دفعها للتفكير طويلاً بالانتحار، ويصبحُ الاكتئاب المزمنُ (chronic depression) حقيقةً يوميةً ماثلة، وشبحاً يطاردُها كظلّها، في حلّها وترحالها، في نومها ويقظتها، ويصلُ ذروته المأساوية، في الحادي عشر من شباط، من عام 1963، حين وضعت الشّاعرةُ حدّاً لحياتها، ونامتْ نومَ الياسمين تحت شمس الغروب، وهي ما تزال في ريعانِ تألّقها الشعري.

II

لماذا انتحرت سيلفيا بلاث؟ والأصحّ لماذا ظلّت تحاول الانتحارَ طوال سنين حياتها القصيرة؟ قد تكون أخفقتْ مراراً، منذ سنّ المراهقة، لكنّها لم تيأسْ من اليأس، أو قلْ من وعدِ الموت، وظلّتْ تحاول إتقانَ تلك اللعبة الخطرة على حافّة الهباء. لم تيأسْ من مغازلة هذا العشيق، القاتل، مرّةً بعد أخرى، وحين نجحتْ في المحاولة الأخيرة، وماتت حقاً، وُلدتْ شعرياً من رمادها، كطائر الفينيق، لتنسجَ اللغةُ، بعد غيابها، أسطورة الشاعرة التراجيدية التي انتحرتْ في أوج توهّجها. هل يمكن تأويل شعرها بمعزل عن انتحارها؟ بالطبع لا. وكيف نفكّ هذا التشابك الرّمزي بين فعلين متناقضين، أحدهما حرفيّ والآخر مجازي؟ أليسَ الاشتباكُ بين فعلِ الانتحارِ وفعلِ الكتابةِ شيئاً متأصّلاً في جذر وجوهرِ الفنِّ ذاته؟ ألا يحضرُ فان كوخ نموذجاً؟ ومثله همنغواي وفيرجينا وولف وخليل حاوي وسواهم من قضوا انتحاراً! في الواقع، كما في المجاز، ارتكبتْ سيلفيا بلاث إثمَ الغياب، بإرادتها، وعن سابق تفكيرٍ وإصرار، فكانت، تارةً، تصرخُ

في وجه العالم، وتارة في وجهِ اللّغة. انتحارٌ هنا، وانتحارٌ هناك. فنٌّ هنا، وفنٌّ هناك. أو قلْ رعبٌ هنا، ورعبٌ هناك:

الأشجارُ تيبسُ في الشّوارع.
والمطرُ يفتّتُ الأشياءَ.
أكادُ أتذوّق قطراتِه على لساني.
أتذوّقُ الرّعبَ الملموسَ،
والرّعبَ الذي يقفُ،
والرّعبَ الذي يستريحُ ...

إنه الرّعب بكل أشكاله، إذاً، يلاحقُ الشّاعرةَ، في نومها ويقظتها، في صمتها وكلامها، ويغريها بالمضي قدماً إلى حافة التهلكة. في انتحار الجسد، حاولتْ بلاث أن تتخلّص من ثقلِ الحواسّ، وفي انتحار الكتابة حاولت الطيرانَ بأجنحة البلاغة، عبر استبدالِ كريات دمها بنسغ الاستعارات، وخفقان قلبها بخفق الرّموز. من هنا، ارتأتْ سيلفيا المنتحرة أن تبدّل كينونةً بأخرى، وحضوراً بآخر، أو لنقل تبدّل جسداً زمانياً، بآخر لا زماني، من خلال البراعة الفائقة في ارتكاب إثمِ الغياب. " الباء يدخل على المتروك لا المأخوذ"

III

هذا الغياب يمثل مقدمةً لحضورٍ من نوع آخر. إذ ليست واقعة انتحارها بأقلّ دراميةً من واقعة نصّها، المثقل باعترافات القصيدة الغنائية، وبوح التأمل الذاتي، كما نوّهنا. ففي قصائدها منولوج حرّ، متواصل، عن تفاصيل شخصية، متعلّقة بأقرب الناس إليها، مثل والدها، وزوجها، وأطفالها، وحتى جيرانها، وصولاً إلى أكثر الرؤى

تجريديةً كالموت والحبّ والحرية والموسيقا والرّسم، وسوى ذلك. ذلك أن سيلفيا بلاث كانت ترى في الكتابة وسيلة للتواصل مع العالم، وليس ذريعة لمحوه، أو إحداث قطيعة مطلقة معه، كما فعل بعض شعراء الحداثة من أبناء جيلها. بل يمكن القول إنها اختارت أن تحاور أولئك الذين رحلوا، ويرحلون تباعاً، من حياتها، من منظور محنتها الشخصية، ليصبح الموتُ هاجسَها المحوري، ترى فيه، ربّما، شكلاً من أشكال البراعة الفنية، أو معادلاً موضوعياً للقصيدة، فالموت كالكتابة، فنٌّ ينبغي القيام به بإتقان باهرٍ، كما تكتبُ في قصيدتها (السيدة أليعازر)، إذ تتحدّثُ عن الموت بوصفه فنّاً رفيعاً تجيده المتكلّمة بمهارة استثنائيةً:

الموتُ فنٌّ،
ككلِّ شيءٍ آخر.
وأنا أؤدّيه ببراعةٍ استثنائيّةٍ.

الموتُ، هنا، هو انتقالُ الرّوحِ من برزخِ الفناءِ إلى برزخِ الخلود، عبر وهم التحقّق الفنّي في القصيدة. وهذا الانتقال ليس مجانياً لدى العبقري أو الفنّان أو الشاعر. وأعتقد أنّ سيلفيا كانت تريد أن تجعلَ من موتها قصيدةً من نوعٍ آخر، بلا حروفٍ أو أوزانٍ، أو ابتهالات. قصيدة صامتة نردّدها في سرنا، نحن قراءها، ونعيدُ صياغة مفرداتها كذرات رمل ملوّنة تشكّلها ريشةُ الريح على الشاطئ. الموتُ، أو الانتحار بالنسبة للشاعرة، لم يكن سوى انتقال النصّ من فلك الظّاهرِ إلى فلكِ الباطن، ومن فلكِ الإشارة إلى فلك الدلالة. وبما أنّ زمن الكلمة ماكرٌ، ومتحوّلٌ، وطارئٌ، لا يمكن أن يُحدّدَ أو يُعرّفَ، فإنّ الذهاب إلى الكتابة يصبحُ بحدِّ ذاته خياراً وجودياً بامتياز. فلماذا

أقدمتْ سيلفيا على هذين النمطين من الموت / الفنّ، دفعةً واحدةً، ونجحتْ فيهما أيّما نجاحٍ؟ ذهبتْ بقدميها إلى موتٍ حسّي مفجعٍ، حين وضعتْ رأسها في فرن المنزل، واختنقتْ، وحيدةً، بلا ندم. لكنّها، قبل ذلك، كانت تمارسُ نوعاً آخر من التدرّبِ على الموت، من خلال كتابة قصائد متوحّشة، عنيفة، ذاتية، كهذه النصوص التي نقدّمها هنا، لأوّل مرّة باللّغة العربية، مبوّبةً ومؤرّخة، كما وردت تماماً في الأصل الإنكليزي، وتحت إشراف زوجها الشاعر البريطاني المرموق تيد هيوز، بعنوان (الأعمال الكاملة)، وبعضها يُنشر للمرّة الأولى، بالإنكليزية، ناهيك عن العربية، بعد حادثة انتحارها، عام 1963. قد يكون موتُها الحسّي مألوفاً، رغم قساوته وتراجيديته، لكنّ انبعاثها اللغوي، صادمٌ ومباغتٌ، بوصفه شكلاً من أشكالِ ولادة شاعرة موهوبة، أتتْ لتحتلّ مساحةً هامة في خريطة الشعر الأمريكي، بل العالمي أيضاً. في الفرن المنزلي يغيبُ جسدُها، وفي فرن القصيدة يولد صوتُها الشعري. والمحصلة، هنا وهناك، هي ولادة موهبةٍ شعرية من أتون هذا التشابك الرّمزي بين فعلين نقيضين، فالشاعرة حقّقتْ شهرتَها بعد رحيلها، حالهُا حالُ مواطنتها الفذة، من القرن التاسع عشر، الشاعرة إميلي ديكنسون (1830-1886)، التي ظلت مغمورةً، نقدياً، لأكثر من نصف قرنٍ بعد وفاتها، حتى ظهرت أعمالها الكاملة، بالإنكليزية، في العام (1955)، كصورة طبق الأصل عن قصائدها، تماماً كما حدث مع سيلفيا بلاث في أعمالها الكاملة هنا، والتي تظهرُ بالعربية، اليوم، للمرّة الأولى، بعد حوالي أكثر من نصف قرن من وفاة المؤلّفة.

IV

على بعد غرفة واحدة فقط من نوم طفليها، جهّزت سيلفيا بلاث مسرح غيابِها، داخل تلك المساحة الضيقة التي لم تولد من أجلها، وأقصدُ المطبخَ، والأطفالَ، والزوجَ، والأثاثَ، والواجبات، إلخ، وانتحرتْ. قبّلت طفليها النائمين، وأوصدتْ البابَ خلفها، ووضعت مناشفَ محكمة لتمنعَ تسرّبَ الغازِ إلى الدّاخل. هكذا، وعن سابق إصرار وقصد، فعلتها ابنةُ الثلاثين ربيعاً. لم تكن تتدرّب على موت عابرٍ، هذه المرّة. إذ منذ سنوات المراهقة، في إحدى مدارس بوسطن، أحبت مغازلة الموت، والتحديّق في الهاوية، هي الفتاةُ الحسناءُ التي فكّرتْ، ذات يومٍ، بأن تصبح عارضة أزياء، بل نشرت بعض الصور لها في مجلات الجامعة، تُظهِرُ جمالاً من طرازٍ نادرٍ. حدث هذا في أثناء دراستها للأدب الإنكليزي، وتفوقها الأكاديمي اللافت، في كلّ من أمريكا وبريطانيا. والسؤال الملحّ هو لماذا تحاول شاعرة حسناء الانتحار؟ حسناء وشاعرة في ضربة موهبةٍ واحدة؟ هل أرادت الهروب بجسدها، من جسدها، بعد أن أضحت، بغتةً، أمّاً لطفلين، بعد زواجٍ قائمٍ على حبٍّ، ومن ثم خيانة، من شاعر كبير كالبريطاني تيد هيوز؟ قلنا إنها حاولت الانتحار في صباها وفشلت، ثم أخذت حبوباً منومة ولم تنمْ، سوى أيام معدودة، لا تكفي للسفر إلى الأبدية المطلقة. وفي كلّ محاولاتها كانت تبحث عن غفوة مقدّسة، حاسمة، خارج جدران مطبخها، بعيداً من منغّصات التعب اليومي، والروتين القاتل. لكنها اختارت القصيدة، وأرادت أن تبحث عن الشاعرة في المرأة، أو عن المرأة في الشاعرة، وعن عشبة الخلود في لغز القصيدة ـ كما فعل جلجامش، ملهم الشعراء جميعاً ـ مدركةً أنَّ فناءَ الجسدِ حتميٌّ، وحدثٌ لا يُردّ كالقضاء، أما اللّغة، فهي، بحق، بيت الكينونة، على حدّ تعبير هيدغر، ولا شيء يقهرُ الموتَ سوى

الكتابة. الكتابةُ بوصفها ممارسةً عشقيةً أخيرة، تعي سرابية المعنى وهلاميتهِ، رغم أنّ جذرها متشكّلٌ في الحبّ:

الحبُّ هو عظمُ لغتي وعصبُها
المزهريةُ، التي أُعيدُ ترميمَها، تحتضنُ
الزهرةَ السَرابيةَ.

V

وأنت تقرأ قصائدها، تشعر بأنها لم تكن تكتبُ صوراً ورؤى وأحاسيس فحسب، بل تلفظ أنفاساً أخيرةً، مع كلّ فاصلة ونقطة. وليست مبالغة القول إنّ القصيدة لدى سيلفيا بلاث هي سلسلة شهقات متتالية، عاليةً حيناً، خفيضةً، حيناً، كمثل نحيبٍ مفجوع. نحيبٌ على فقدانٍ ليس من السهلِ اكتناه سرّه. بل هو إحساسٌ داهمٌ، دائمٌ، بغيابٍ داهمٍ، دائمٍ. ويبدو أن سيلفيا أرادت أن تسبق الغياب إلى مملكته، فراحتْ تزحف إليه بمخيلتها، أولاً، ومن ثم بجسدها، ثانياً، مثلما كتبتْ، في قصيدة لها، قبل ثلاثة أعوام من انتحارها:

أنا شبحُ انتحارٍ ذائعِ الصّيت،
وموسُ الحلاقةِ الأزرقُ يصدأُ فوق حنجرتي.

إنها ترتكبُ الموتَ بوصفه الحدث الأكثر غموضاً، والأكثر رفعةً، فالكتابة انتحارٌ، في وجهٍ من وجوهها، والانتحار كتابةٌ في وجهٍ من وجوهه، كما أسلفنا. ومن خلال هذه الازدواجية، التي لا فكاك منها، شهقتْ الشاعرة شهقتَها الأخيرة، وغابتْ، كنسمةٍ عليلة في يومِ صيفٍ قائظ. لكننا حين نقرأ قصائدها، ومنذ سنوات مراهقتها الأولى

ـ كما تدلّ، بوضوح، القصائد الخمسون الأخيرة، التي أوردناها منفصلةً، في شكلٍ ملحقٍ لأعمالها الكاملة ـ نكتشفُ أنها كانت منشغلةً، دوماً، بتدوين سيرة غيابها، قبل أن يصير الغياب، أصلاً، حدثاً قائماً بذاته:

هذا مرضٌ أحملُهُ إلى المنزل، هذا موتٌ.
مرةً أخرى، هذا موتٌ. هل هو الهواءُ،
هل هي ذرّاتُ الدّمارِ تلك التي أستنشقُها؟
هل أنا النبضُ الذي ما يفتأ يضعفُ أمامَ الملاكِ الباردِ؟
أهذا هو عشيقي، إذاً؟ هذا الموتُ، هذا الموتُ!

إنها محاولة تدوين علاقة حبّ غامضة مع الموت، علاقة لا تخلو من ارتعاشات ايروسية مضمرة (Eros)، في مفارقة الاستعادة الرّمزية للوغوس الشّعري (Logos)، الذي يميّز تجربة ملهمتها الأولى، الشاعرة ديكنسون، التي اختارت "أن تموت طوال حياتها"، كما عبّر أحد النقاد، من خلال اختيارها عزلةً طويلةَ الأمد، بيضاء كالكفن، في آخر عشرين سنة من حياتها. وخلال، أو بسبب، تلك العزلة، كتبت ديكنسون أجمل قصائدها عن علاقتها بالموت، كما في قصيدتها الشهيرة "لأنني لم أستطعْ التوقّف للموت". وسيلفيا، كمثل ديكنسون، صوت شعريٌّ، أنثوي مفجوع، يردّد صدى مأساة الأنثى المقهورة، والمقموعة، منذ فجر التاريخ، على ما يبدو، أو، على الأقلّ، منذ عهد آلهة الإغريق، وقصّة فيلوميلا أو فيلوميل (Philomel)، في الأسطورة اليونانية القديمة، التي تحكي عن تلك الفتاة التي اغتصبها زوجُ أختِها، الملك تيريوس، وكي لا ينفضح أمره، وتروي الضحيةُ قصّتها للعالم، قطعَ لسانها، فتحوّلتْ الفتاةُ إلى

طائر سنونو أو هزارٍ، يشدو آلامَه، من جيلٍ إلى جيل. وهي المرأة ذاتها التي يتردّد نحيبها، مع ملكة قرطاج، ديدو (Dido)، وحزنها على عشيقها إينياس، بطل الإنيادة، أو في حزن الملكة المصرية، كليوباترا، على فارسها الروماني المقتول، أنطونيو، وانتحارها، لاحقاً، أملاً بلقاء حبيبها في العالم الآخر. وفي صوت سيلفيا الشعري يتردّدُ أيضاً صدى انتحاراتٍ شتى، لعلّ أشهرها، وأكثرها سحراً، هي تلك الشخصية التي ابتكرها شكسبير، ونقصدُ، هنا، أوفيليا، وردة الأدب التراجيدي بامتياز، في مسرحية (هاملت)، وخاصّة قصة جنونها، ثم غرقها مع زهورها وأغانيها وأحلامها، بعد أن أدركت أن حبيبها هاملت قد هجرها إلى غير رجعة. وأخيراً، وليس آخراً، نتلمّسُ في سيرة سيلفيا بلاث أصداء انتحار الروائية البريطانية، فرجينيا وولف، التي ملأت جيوبها بالحصى، ذات نهارٍ كئيب، ورمت بنفسها إلى أعماق البحر، كي تضمن سفراً شعرياً آخر نحو الأبدية. كل هذه الانتحارات الأنثوية، الأدبية والتاريخية والأسطورية، تكثفها سيلفيا بلاث في صورة غيابها، عابرة، بقدمين من ضوءٍ، نهر "ليثي" (Lethe)، رمز النسيان، في الأسطورة اليونانية القديمة. والحقيقة، أنّ شعر سيلفيا بلاث، رغم شفافيته وأحياناً، تلقائيته المفرطة، لكنّه غني بالإسقاطات الأسطورية، (قصيدة "بيرسيوس" أو "انتصار الفطنة على المعاناة" نموذجاً)، إذ يحيلُ إلى تقاليد أدبية مختلفة، يونانية، ومشرقية، وأنكلو ـ ساكسونية، وتتداخلُ في نسيجه الأزمنةُ والرموزُ والصورُ، ما يجعل المعنى مكثفاً، متعدّد الطبقات، ويصعبُ الوصول إليه .

VI

ولكن ماذا عن سيرتها الذاتية التي دونت قسماً منها في رواية يتيمة لها أسمتها (الناقوس الزجاجي)؟ ولدتْ سيلفيا بلاث في مدينة بوسطن، في ولاية ماساتشوستس، في 27 تشرين الأول، 1932، وتلقّت تعليمها في كلّية سميث، وكلّية نيونهام، في جامعة كمبريدج، قبل أن تحظى بالاعتراف بها شاعرة مرموقة. تزوّجت من الشاعر البريطاني المرموق تيد هيوز عام 1956، وعاشا معاً في الولايات المتحدة الأمريكية ردحاً من الوقت، قبل أن ينتقلا، نهائياً، إلى إنكلترا. وقد أثمر زواجهما عن طفلين، ابنة اسمها فريدا، وصبي اسمه نيكولاس، قبل أن ينفصلا عام 1962. عانت بلاث من الاكتئاب المزمن، طوال حياتها، وكانت تتلقّى العلاج بالصّدمات الكهربائية، وسواها من الطرق. والدتها، أوريليا شوبر، (1906-1994)، تنحدر من أصول نمساوية، ووالدها، أوتو بلاث، (1885-1940) ولد في مدينة غراباو، في ألمانيا، وكان اختصاصياً بعلم الحشرات، وقد عمل أستاذاً لمادة البيولوجيا في جامعة بوسطن لفترة من الزّمن، وألّف كتاباً عن النَحل، وهذا ما تشير إليه سيلفيا في أكثر من قصيدة لها، مستوحاة من عالم النحل الذي أحبّته كهواية لاحقاً. في سنّ الثامنة، نشرت الشاعرة أول قصيدة لها في مجلة محلية اسمها (بوسطن هيرالد)، في القسم الخاص بالأطفال، ولم تتوقّف عن نشر الشعر منذئذٍ. في سنّ الحادية عشرة، بدأت تكتب يومياتها، بشكل منتظم، وأظهرت ميولاً مبكرة للفنون بأنواعها، وقد فازت بجائزة للرّسم عام 1947. توفي والدها عام 1940، ولم تكن سيلفيا قد أكملت عامها الثامن، بعد أن بُترت قدمه نتيجة إصابته بمرض السكّري. وقد أصيب بهذا المرض بعيد وفاة أحد أصدقائه المقربين بسرطان الرئة، وبات مقتنعاً، بعد فترة وجيزة، أنه هو أيضاً أصيب

بالمرض نفسه، أي السرطان، ورفض تلقّي العلاج، حتى استفحل لديه داء السكري، وأودى بحياته. بعد وفاته، فقدت سيلفيا كل أشكال الإيمان الدّيني، وظلّتْ نظرتها للدّين متناقضة، ومتأرجحة، طوال حياتها. وقد وصفت سنواتها التّسع الأولى، بقولها: "كنتُ محبوسةً كسفينة داخل قارورة ـ نائية، جميلة، عقيمة، وخرافة بيضاء طائرة". أنهتْ دراستها الثانوية، عام 1950، وتفوقت أكاديمياً على جميع أقرانها في المدرسة، وبعد تخرّجها كتبت لأمّها رسالة تقول: "العالمُ ينفتح تحت قدمي مثل بطيخةٍ، ناضجةٍ، طازجة". في سنتها الجامعية الثالثة، كطالبة تدرس الأدب الإنكليزي، في كلّية سميث، كوفئت بمنصب المحرّر الضيف في مجلة "مادموزيل"، وأمضت خلالها شهراً في مدينة نيويورك. خلال هذه الفترة، وقعت أحداث عديدة، لم تكن سيلفيا راضية عنها، ووجدت هذه التفاصيل طريقها إلى روايتها الأولى، شبه الذّاتية، (الناقوس الزجاجي). فمثلاً، شعرت سيلفيا بحنق شديد حين قام المحرر الرئيسي بعقد اجتماع لم تكن موجودة فيه، حضره الشاعر الويلزي ديلان ثوماس، وكانت سيلفيا تحبه حباً جمّاً. وانتظرت فرصة للقائه على مدى يومين متتالين، لكنه كان قد حزم حقائبه، وعاد أدراجَه إلى إنكلترا. بعد مضي أسابيع قليلة، قامت بجرحِ ساقِها، عن عمد، لترى ما إذا كانت تملك "الشجاعة" للإقدام على الانتحار، ذات يوم. خلال هذه الفترة "حذف تمّ" تمّ رُفض طلبُها للالتحاق بحلقة بحث عن الكتابة الإبداعية، في جامعة هارفارد، ما جعلها تشعر بالاستياء، وفاقم حالة الاكتئاب لديها. وقد أقدمت سيلفيا على أوّل محاولة انتحار حقيقية، موثّقة طبياً، في 24 آب، 1953، من خلال الاختباء في قبو منزل عائلتها، بعد أخذها الحبوبَ المنوّمة، العائدة لوالدتها. لكنها نجت من هذه المحاولة، بعد أن ظلّت مستلقية، داخل القبو، لمدة ثلاثة أيام،

وكتبت لاحقاً، تقول عن هذه الحادثة، إنّها "استسلمتْ راضيةً للسواد العاصف الذي كنتُ أعتقد بكلّ صدقٍ إنه النسيان الأزلي". أمضتْ الشّهورَ الستّة اللاحقة في عيادة للطب النفسي، تتلقى المزيد من الصدمات الكهربائية وحقن البنسلين. تعافت فيما بعد، واستعادتْ الكثير من حيويتها، وعادت لتلتحق بكلّية سميث. في عام 1955، قدمت أطروحة جامعية بعنوان (المرآةُ السّحرية: دراسة الأنا المزدوجة في روايتين لديستيوفسكي)، وفي حزيران، تخرجت من كلّية سميث بدرجة شرف. ثم حصلت على منحة فولبرايت كي تكمل دراستها في الأدب، في جامعة كمبريدج، في إنكلترا، وهناك استمرّت في الكتابة، ونشر قصائدها في مجلات الجامعة. وقد التقت سيلفيا الشاعر تيد هيوز في 25 شباط، عام 1956، خلال حفلة في كمبريدج. وفي لقاء إذاعي مع بي بي سي البريطانية وصفت الشاعرة هذا اللقاء قائلةً: "حدث أنني كنت في كمبريدج. كانت الحكومة الأمريكية قد أرسلتني إلى هناك، بمنحة دراسية. كنت قد قرأت بعض قصائد تيد في المجلات، وتركتْ لديّ انطباعاً قوياً، وأردتُ مقابلته. ... ثم تكرّرتِ اللقاءاتُ بيننا. عاد تيد إلى كمبريدج، وفجأة وجدنا أنفسنا نحضّر للزواج، بعد بضعة أشهر. وبقينا نتبادلُ كتابةَ القصائد، كلٌّ للآخر. " وقد وصفت بلاث الشاعر هيوز "بالمغنّي، وسارد القصّة، والرّحالة في العالم"، وتضيف في سياق آخر: "إنّ له صوتٌ كمثلِ رعدِ الله". بعد سنة من زواجهما، طوّرَ الشّاعران اهتماماً لافتاً بعلم الفلك، وحسابات النجوم. وعادت سيلفيا إلى الولايات المتحدة، وعملت في التدريس، إضافة إلى حضور حلقات بحث عديدة عن الكتابة الإبداعية، تحت إشراف الشاعرين المعروفين روبرت لويل وآن سيكستون، اللذين قدّما لها نصيحةً مبكّرة بأن تستمدّ الإلهام الشعريَ، دائماً، من تجربتها الشخصية. بل حثتها الشاعرة سيكستون

للكتابة دائماً من وجهة نظر أنثوية. وقد صارحت بلاث هذين الشاعرين بمشكلتها مع الاكتئاب، ومحاولتها الإقدام على الانتحار، في أكثر من مرّة. عشقتْ بلاث التّرحال، وسافرت عبر أرجاء كندا والولايات المتحدة، برفقة زوجها هيوز، وفي عام 1960، وبعد ولادة ابنتهما فريدا، ظهر كتابها الشعري الأول، (الصّرح). وبعد عام آخر، في شباط، 1961، مرّت بتجربة إجهاض، كتبت عنها، في قصيدتها "حقول هضبة البرلمان"، تصف معاناتها الرهيبة. وفي رسالة كتبتها إلى أحد أطبائها النفسانيين، قالت بلاث إن تيد هيوز ضربها ضرباً مبرحاً قبل يومين من الإجهاض. خلال هذه الفترة، أكملت روايتها، التي تشبه كثيراً السيرة الذاتية، (النّاقوس الزجاجي)، والتي نُشرت تحت اسم مستعار هو فيكتوريا لوكاس. خلال هذه الفترة، بدأ هيوز يهتمّ بتربية النحل، وشاركته بلاث هذا الاهتمام، وكتبت العديدَ من القصائد عن هذا الموضوع، كما أشرنا. وبعد وقت قصير، اكتشفت سيلفيا أن هيوز على علاقة غرامية، مع امرأة أخرى، ما جعلها أكثر تشتتاً، وضياعاً، وقرر الاثنان الانفصال في أيلول عام 1962. لقد أحبّت سيلفيا الشاعر تيد هيوز، وتزوّجته لسبعة أعوام متواصلة، وكانت تتمنى أن تظل عاشقة مثالية معه، لكن الخيانة الزوجية كان لها وقع الصاعقة، لتجد نفسها مجبرة على أن تسقط من علياء العاشقة المثالية، وتتخلّى عن صورة فينوس الحبيبة، وتهبط إلى قاع الحياة اليومية، عبر وقوعها في غرامِ عشيقٍ لا يخون أبداً اسمه الموت. بعد الانفصال شهدت حياتها الإبداعية غزارة في الإنتاج، وكتبت قصائدها الأكثر شهرة، وبخاصّة تلك التي شكّلت قوام ديوانها (آرييل)، الذي صدر، بعد وفاتها، عام 1965. بعد الانفصال عادت إلى لندن، مع طفليها، واستأجرت شقة، اتضح لاحقاً أن الشاعر ويليام بتلر ييتس سبق وسكن فيها، وهذه الحقيقة كانت مدعاة سعادة

للشاعرة. خلال هذه الفترة، شهدت إنكلترا شتاءً قاسياً، يقال إنه الأبرد خلال مئة عام، إذ تجمدت أنابيب المياه، وكثرت أمراضُ طفليها، في منزلٍ بلا تلفون، أو معيلٍ. هنا، عادتْ إليها حالة الاكتئاب، على نحو أشدّ وأعنف. وكان من الواضح أنها بدأت تقترب رويداً رويداً من النهاية المأساوية لحادثة انتحارها.

VII

كيف وقعتْ حادثة الانتحار؟ حاولت سيلفيا أكثر مرة أن تنهي حياتَها، كما نوّهنا، ففي عام 1953، أخذت حبوباً منوّمة، وظلت ثلاثة أيام غائبة عن الوعي، ومن ثم في عام 1962، قادت السيارة بسرعة جنونية، وخرجت عن مسارها، وسقطت في نهر مجاور، واعترفت، لاحقاً، بأنّ هذه كانت محاولة انتحار حقيقية. في كانون الثاني من عام 1963، تحدّث المقربون بأنّها دخلت في مرحلة حرجة جداً من الاكتئاب، قبيل انتحارها بأيام معدودة، وعانتْ من أفكار سوداوية، وقلة نوم، وخسارة وزن، ومع ذلك رفضت دخول المشفى، ما جعل المعنيين يقرّرون إرسال ممرّضة نهارية، تقيمُ معها في المنزل، وتساعدها في تدبير أمور البيت. في صباح حادثة انتحارها، وتحديداً في 11 شباط، من عام 1963، كان من المفترض أن تصل الممرضة في التاسعة صباحاً، ولدى وصولها، لم تستطعْ الدخول إلى المنزل، وطلبت مساعدة أحد العمال، الذي تدبّر أمر الدخول. في الدّاخل، وُجدت سيلفيا ميتةً، بعد استنشاقها غاز ثاني أكسيد الكربون، واضعة رأسها داخل الفرن المنزلي، بعد أن كانت قد أحكمتْ إغلاق الغرف، على طفليها النائمين، مستخدمة الشرائط اللاصقة، والملابس، والمناشف، منعاً لتسرب الغاز إلى الدّاخل. وبحسب التقديرات الطبية، فقد وضعت سيلفيا رأسها داخل الفرن في

الرابعة والنصف فجراً، بعد أن تركت الغاز يتسرّب، مفتوحاً، حتى الصباح، ما أودى بحياتها. وتناقلت الصحف، في اليوم التالي خبر رحيلها، وبدأت تتشكّلُ سرديةً موازية (metanarrative) لسيرة حياتها، ما لبثتْ تكبر، وتتأسطرُ، مع مرور السّنوات، لتصبح بلاث شخصية مركبة، ومزيجاً معقداً من التاريخ الحقيقي، والتأمّلات النقدية، وخاصّة لدى نقّاد النسوية.

VIII

بهذا الانتحار، على قسوته، وفداحته، أرادت سيلفيا، مجازياً، صقلَ أناها الجوّانية، كامرأة متمرّدة، عبر الخروج من ميثولوجيا المرأة الأيقونة، أو المرأة التحفة المنزلية، أو المرأة الشّهوة الجنسية. كأنّ الانتحار هو شكلٌ من أشكالِ اكتمال الأنا المتخيّلة، تلك الأنا المبدعة، القلقة، التي ترى في العالم نقصاً، وترى في الموت امتلاءً أو اكتمالاً. وهذا ما عبّرتْ عنه، في آخر قصيدة كتبتها، بعنوان (حافّة)، مؤرّخة في الخامس من شباط، عام 1963، أي قبل أيامٍ قليلة على واقعةِ انتحارها:

المرأةُ اكتملتْ.
جسدُها الميتُ

يرتدي ابتسامةَ الإنجاز.
وهمُ الضرورةِ الإغريقيةِ

يسيلُ من طيّاتِ ردائها،
قدماها العاريتان،

كما يبدو، تقولان:
قطعْنا مسافةً بعيدةً، وانتهى كلُّ شيء.

انتهى كلّ شيءٍ، بالطبع، على صعيد كينونتها الحسّية، وبدأ كلّ شيءٍ، بالفعل، على صعيد سيرتها الشعرية. في نهايتِها، تلك، بدايةٌ لا تنتهي، أو بدايةٌ تستمرُّ، فيما وراء النّهاية. قررت سيلفيا الإصغاء إلى موسيقا جسدٍ آخر، وموسيقا عشقٍ آخر، وربّما موسيقا كوكبٍ آخر، خارج إطار الزّمان والمكان. رحل التّاريخُ الشخصي، بجزئياته الضيقة، وبقيت الرّوح الشعرية حاضرة بفضائها الذي لا تخوم له. رحلت سيلفيا ـ الشّخص (person)، وبقيت سيلفيا ـ الشّخصية (personality)، الشعرية المركبة، بكلّ تناقضاتها وصراعاتها وصبواتها. وإذ يذهبُ كلُّ شيءٍ آخر إلى مثواه الأخير، تبقى قصيدة سيلفيا شفافةً مثل ناقوسها الزجاجي، عصيةً على التواري والذبول، يشدّها صفاؤها بعيداً، وعالياً، صوب سماءٍ شاهقةِ الفصاحة، شديدة الزرقة، مرصّعة بحرارة البوح الذّاتي.

د. عابد إسماعيل
دمشق، 2020

مكتبة
t.me/t_pdf

مقدمة الشاعر تيد هيوز

كَتَبَتْ سيلفيا بلاث الكثيرَ من الشعر، قبيل انتحارهـا، في الحـادي عشر من شباط، عام 1963. وحسبما أعلم، لم تهمـلْ يومـاً أيـاً مـن محاولاتها الشعرية. وباستثناء شذرةٍ أو اثنتين، كانت تعمل جاهدةً مـن أجل خلقِ شكل نهائيٍ لقصيدتها، تراهُ مقبولاً بالنسبة إليهـا، رافضةً، في أكثر الأحيان، الشعرَ النافر، والبداية الزائفةَ، والخاتمة المخادعـةَ. موقفها من قصيدتها يتّسم بالحِرفية العالية، فإذا لم تستطعْ صنعَ طاولـة من مادّتها الخام، تأتي بكرسي، أو حـتى بدميـة صـغيرة. والمحصلة النهائية التي تصبو إليها ليست، بالضرورة، قـصيدة ناجحـة، بـل ذاك المنتج الذي استنفذَ، آنياً، جميـع مهاراتِهـا. وبالتـالي، لا يـضمّ هـذا الكتاب، فقط، شِعرها الذي أبقتْ عليه، بل ـ وبعد عـام 1956 ـ كـلّ ما كانت قد كتبته.

بـدأت سـيلفيا، في وقـت مبكّـر، تجمـعُ قـصائدها، واضـعةً في حسبانها نشرها في مجموعة شعرية مـستقلة، وفي مناسـبات عديـدة، كانت تعرضها،ـ مفعمةً بالتفاؤل ـ على الناشرين، ولجان التحكيم، في المسابقات الشعرية. وكانت المجموعة تكبرُ مـع الأعـوام، علـى نحـوٍ طبيعي، وكانت سيلفيا، من خلالها، إمّا تهجرُ بعض القصائد القديمة، وإمّا تضمُّ أخرى، جديدة، وحين أزف الوقتُ، ووقّعت عقداً مـع دار هينمن، في لندن، في الحادي عشر مـن شـباط، عـام 1960، لنـشر ديوانها، (الصَّرْح)، كان عنوانُ الكتاب قد تبدّل لأكثرَ من مرّةٍ، ناهيك عن التغييرات الـتي طـرأتْ علـى محتـواه. "رؤيـا أتـتني داخـل غرفـة المحاضرات المظلمة، تتعلّق بعنوان كتابي"، كتبت سـيلفيا في أوائـل

عام 1956، "إنهّا رؤيا هبطت عليّ، بغتةً، بكثيرٍ من الوضوح، مفادها أنّ (رأسٌ من خزف) سيكون هو العنوان الصحيح لمجموعتي، بل هو العنوان الوحيد". ثم تتابع: "هذا العنوان الجديد يمثّل، بالنسبة لي، تحرّراً من ذاك الصوت ـ كريستاليٌّ، هشٌّ ومعسّلٌ ـ يمكن التقاطه في (سيرك بحلقاتٍ ثلاثٍ) أو (عاشقان ومشّاطُ شواطئ)" ـ وهما العنوانان اللذان سبقا، مباشرةً، ذاكَ الأخير. بعد مضي شهرين فقط، قامت باستبدال عنوانها (رأسٌ من خزف)، ولو لوقتٍ قصير، بعنوان آخر هو (يوم الإثنين الأزليّ). وبعد أقلّ من أسبوعين، صار العنوان (على عمقِ خمسة فراسخ بحرية)، "تيمناً بما أعتبرهُ أفضل قصائدي، وأكثرها تأثيراً، عن أبي ـ البحر، الملهم ـ الربّ".

خلال السنوات التي أعقبت تلك الفترة، استبدلتْ سيلفيا عنوان (على عمق خمسة فراسخ بحرية) بعنوان آخر هو (ثور بنديلو)، لكنها كتبت في عام 1959 تقول: "بدّلتُ عنوان كتابي الشعري كنوعٍ من الإلهام لكتابِ (شيطان الدَرج) ... هذا العنوانُ يضم بين حناياه كتابي برمّته، ويشرحُ قصائد اليأس، التي لا تقلّ خداعاً عن الأمل ذاته". وصمد هذا العنوان حتى تشرين الأوّل، حين كانت سيلفيا ما تزال في (يادو Yaddo)(*)، لتعودَ وتكتب عن نوع آخر من الإلهام قائلةً: "كتبتُ قصيدتين أحببتهما، واحدة عن نيكولاس (كانت تنتظر مولوداً) واخترتُ لها عنوان (حديقة المزرعة)، وآخر عن موضوع الشعائر القديمة لعبادة الأب (والتي وضعتْ لها عنوان "الصرْح"). ثم تضيف قائلةً: "إنه مختلفٌ. وأكثر غرابةً. أرى صورةً وطقساً، في هذه القصائد. استبعدتُ قصيدة "الميدالية" من كتابي الأول، وعقدتُ العزم

(*) بلاث وزوجها الشاعر تيد هيوز أمضيا بضعة أسابيع في ساراتوغا سبرينغز، في مدينة نيويورك، وتحديداً بين 9 أيلول و19 تشرين الثاني، بدعوة من الكاتبين نيوتن أرفين ورتشارد ايبرهارت. المترجم

للبدء بكتاب ثانٍ، بغضّ النظر عن أيّ شيء آخر. الأمر الرئيسي هو أن استبعدَ فكرةً أنّ ما أكتبه، الآن، يعودُ للكتاب القديم. ذاك الكتاب الرّطب، اللّزج. إذن، لديّ قصائد ثلاث للكتاب الجديد، الذي سوف أسمّيه، آنياً، (الصرْح وقصائد أخرى)".

هذا القرار للبدء بكتاب جديد، "بغض النظر عن أي شيء آخر"، والتخلّص من كلّ ما كانت قد كتبته حتى تلك اللحظة، تزامنَ مع الخرق الحقيقي الأوّل في كتابتِها، مثلما بات واضحاً الآن بالنسبة لنا. هذا المسار النفسي الحقيقي من التطور المفاجئ سجّلته مجازياً في قصيدتها (قصيدةُ ميلاد)، والتي كانت تراودها منذ 22 تشرين الأول من عام 1959. في الرابع من تشرين الثاني كتبت سيلفيا ما يلي: "على نحوٍ لا يخلو من المعجزة، كتبتُ سبع قصائد في سلسلة (قصيدةُ ميلاد)، واثنتين صغيرتين قبلها، هما "حديقة العزبة" و "الصرْح"، وهاتان أجدهما زاخرتين بالألوان والمتعة. مخطوطةُ كتابي (القديم) أضحت ميتة بالنسبة لي. نائية، وبعيدة المنال. ويبدو أن حظّها قليل جدّاً بالعثور على ناشر. ... ها قد أرسلتها تواً للناشر السابع. لا أمل لها سوى أن أنشرها في بريطانيا". وبعد مضي بضعة أيامٍ كتبت ملحوظة تقول: "كتبتُ قصيدةً جيدةً هذا الأسبوع، خلال نزهتنا، نهار الأحد، إلى منتجع المياه الكبريتية، وهي قصيدة للكتاب الثاني. يا لها من مواساة كبيرة تجاه فكرة كتابٍ ثانٍ، مع هذه القصائد الجديدة، وهي (حديقة المزرعة) و (الصرْح)، وقصائد عيد الميلاد السبع، وربّما (الميدالية)، هذا إذا لم أضمّها إلى كتابي الحالي". لكنها تستدركُ لتقول: "إذا حصلتُ على موافقةِ أحد الناشرين ... سأشعر بالحاجة لضمّ جميع قصائدي الجديدة، وزجّها معاً، من أجلِ تدعيم الكتاب ...".

وهذا ما حصل بالضبط. ولأنّ وقتها كان قد بدأ ينفدُ في يادو (Yaddo)، التي بدت، فجأةً، مثمرةً جداً بالنسبة لها، وما تبع ذلك من رجّة الرجوع إلى انكلترا، في كانون الأول، استطاعت سيلفيا أن تضيف القليلَ إلى كتابِها "الثاني". شكّل ذاك الخليط من القصائد القديمة، التي رفضتها في أعماق نفسها، مع تلك القصائد الجديدة، لكنّها القليلة، التي رأت فيها شيئاً مختلفاً، قوامَ كتابِها، حين أخبرها جميس ميتشي ـ في كانون الثاني من عام 1960 ـ أنّ الناشر هينمن مهتمٌّ بنشر ديوانها، تحت عنوان (الصرْح).

ما إن تمّ توقيع العقد، استأنفت سيلفيا الكتابة، ولكن بشيءٍ من الاختلاف الملحوظ. وكما كان الحال في السابق، فالقصيدة التي تكتبها، إمّا أن تكون "قصيدة كتاب" أو "لا تكون قصيدة كتاب"، لكنّ الشاعرة بدت، الآن، أكثر شعوراً بالارتياح، ولم تقم بأية محاولة للبحث عن عنوانٍ قلقٍ لنتاجِها المتواتر، خلال السنتين التاليتين، إلى أن تملّكها الإلهامُ، الذي كان سبباً بكتابة قصائد الشهور الستّة الأخيرة من حياتِها.

قبيل أيام قليلة من عيد الميلاد، عام 1962، قامت سيلفيا بجمع النصوص كافة التي تُعرف الآن بقصائد "آرييل (Ariel)"، ووضعتها داخل مصنّف قاتم اللون، ورتّبتها بعناية فائقة، بحسب التسلسل الزمني. (في ذلك الوقت، قالت إنها بدأت بكلمة "حبّ"، وختمت بكلمة "ربيع". لقد تمت الاشارة في الهوامش إلى الترتيب الدقيق لنصوصها). هذه المجموعة من القصائد بالذات أقصت كلّ شيءٍ تقريباً. كانت سيلفيا قد كتبتها في الفترة بين تاريخ صدور (الصرْح)، وبين حزيران من عام 1962 ـ أي ما يقارب العامين والنصف من العمل. ثم واجهتها، كالمعتاد، معضلةُ العنوان. على صفحة العنوان، داخل

مخطوطتها، استبدلتْ عنوانَ (الخصم) بعنوان (هدية عيد الميلاد)، لتغيّر هذا الأخير، لاحقاً، إلى (أبي). وقبيل وفاتها، بقليل، استبدلت العنوان ليصبحَ (آرييل).

ديوان (آرييل)، الذي نُشر عام 1965، كان كتاباً مختلفاً عن ذاك الذي خطّطتْ له الشاعرة. لقد ضمّ اثنتا عشرة قصيدة ونيف، من تلك التي كتبتها خلال عام 1963، رغم أنها ـ بسبب الإلهام المختلف الذي أوحى بتلك القصائد الجديدة ـ كانت تعتبرها، أي القصائد، بمثابة البدايات لكتابٍ ثالث. وتم حذف بعض من قصائدها، ذات النبرة الشخصية، الشرِسة، التي تعودُ للعام 1962، وكان يمكن التخلّي عن قصيدة أخرى أو حتى اثنتينِ، لو لمِ تكن سيلفيا قد نشرتها سابقاً في المجلاّت ـ حيث باتت تواً نصوصاً ذائعة الصيت بحلول عام 1965. والمجموعة التي ظهرت كانت بمثابة الحلّ الوسط، من قبلي أنا، بين خيار نشر العدد الأكبر من قصائدها ـ بما في ذلك تلك التي تلت ديوان (الصرْح)، مع تلك التي سبقت (آرييل) ـ وبين تقديم نتاجِها المتأخِّر بحذرٍ أكبر، عبر طباعة، ربّما، ما لا يزيد عن عشرين قصيدة، كبدايةٍ فحسب. (لقد شعر بعض أصحاب المشورة بأنّ العواطف العنيفة المتناقضة، المعبّر عنها في هذه النصوص، قد لا يستسيغها جمهور القراء. وقد اتضح لاحقاً، بمعنىً من المعاني، أنّ هذه الرؤيا تنطوي على بعض التبصّر).

وضمّت مجموعة شعرية أخرى، هي (عبور الماء)، 1971، معظم القصائد التي كُتبت خلال الفترة الفاصلة بين الكتابين السابقين، وفي السنة ذاتها، نُشرتْ مجموعةُ (شجر الشتاء)، وقد ضمّت ثماني عشرة قصيدة، لم تظهر في كتابٍ من قبل، تنتمي للفترة المتأخّرة، إلى جانب مسرحيتها الشعرية، التي كتبتها للإذاعة، بعنوان (ثلاث نساء)، والتي كتبتها في أوائل عام 1962.

إنّ الهدف من الطبعة الكاملة الحالية، التي تضمّ سلسلةً مرقّمة من 224 قصيدة، وجميعها كُتبت بعد عام 1956، إلى جانب 50 قصيدة أخرى، تم اختيارها من نصوصها التي تعود لفترة ما قبل 1956، الهدف هو تقديم شعر سيلفيا بلاث، كاملاً، في مجلّدٍ واحدٍ، بما في ذلك نصوصها غير المنشورة، وغير المجموعة، ووضع كلّ شيءٍ ضمن سياقٍ زمنيٍ حقيقيّ، وبالتالي يصبح مسارُ تطور وإنجازِ هذه الشاعرة، غير العادية، متاحاً أمام القراء جميعاً.

المخطوطات التي استندت إليها هذه الأعمال الكاملة تندرج ضمن أطوارٍ ثلاثة، يطرح كلٌّ منها صعاباً مختلفة، قليلاً، أمام المحرّر.

الطور الأول يمكن أن ندعوه، جزافاً، بأعمال الصِّبا، والمشكلة البسيطة الأولى هنا هي أن تقرّر أين انتهت. انقسامٌ منطقيٌّ وقع، على نحوٍ ملائم، عام 1955، بعد نهاية سنتها الثالثة والعشرين بقليل. القصائد المئتان والعشرين التي كُتبت قبل هذه الأعوام، تهمّ المختصّين بشكلٍ رئيسي. كانت سيلفيا بلاث قد وضعت، بحزم، هذه النصوص خلف ظهرها، (العديد منها كُتب في أثناء سنيّ المراهقة)، ولم تكن لتعيد نشرها، بأيّ حالٍ من الأحوال. مع ذلك، ثمة العديد منها يستحقّ المحافظة عليه من أجل القارئ العامّ. وفي أحسن حالاتها، تبرزُ بعض هذه القصائد مكتملةً، ومتميزةً، ككلّ شيءٍ آخر كتبته الشاعرة، فيما بعد. قد تكون الصنعةُ باديةً بشكلٍ نافر، لكنّ قصائدها تظل مضاءةً بحماسةٍ فريدة. فضلاً عن أنّ إحساساً بقدرية فنّية عميقة، في مستوى نسيج وإيقاع أبياتها، كان، منذ البدء، ناضجاً ومتطوّراً. ويمكن للمرء أن يلاحظ، هنا، كيف أن كتاباتها اعتمدت، حصرياً، نظاماً مشحوناً بالرموز والصور الجوانية، ودارةً كونيةً مغلقة. وإذا كان بإمكاننا التعبير، بصرياً، عن هذه الحالة، نقول، إنّ مضمون وأسلوب تنسيق

هذه القصائد يشبه، إلى حد بعيد، ابتكار أطياف هندسية شيقة، ترمز إلى وحدة الوجود. وهي، كقصائد، تشبه دوماً نثرات رفيعة من الإلهام، بل "حذف الفاصة والواو"، في أغلب الأحيان، تتجاوز هذا بكثير. وفي أضعف نماذجها، ترسم خريطةً لتسارع موهبتها قبل الإقلاع الكامل.

القسم الأكبر من هذه القصائد الأولى وصلنا في شكل نسخٍ نهائية مطبوعة على الآلة الكاتبة، بعضها الآخر تمّ استنساخه من المجلات، وبعضها الآخر لم نعثر عليه، لا مطبوعاً، ولا منشوراً، بل مبعثراً في الرّسائل، وفي نصوص أخرى. نظرياً، ثمة المزيد من القصائد، مازال خبيئاً، إذ من الصعوبة حسم مسألة التسلسل التاريخي لهذا الطور الأول، إلاّ في خطوطه العريضة. يمكن تثبيت التاريخ، أحياناً، بالاستناد إلى رسالة أو تاريخ نشرٍ في مجلّة، لكنها، أي سيلفيا، كانت، أحياناً، تعودُ لبعض هذه القصائد نفسها، وتُعمل فيها قلمَها، وتعيدُ صياغةَ بعض منها بعد عدة سنوات.

من هذه الفترة، التي سبقت عام 1956، اخترتُ ما بدا لي أفضل قصائدها، وهي تربو على الخمسين قطعة، وهذه مطبوعة ـ وفقاً لتسلسل كتابتها زمنياً ـ في آخر الكتاب في شكلٍ ملحقٍ. وثمة قائمة كاملة، مرتبة أبجدياً بحسب العنوان، لجميع القصائد الناجية، التي كُتبت قبل عام 1956، مزوّدة بتواريخ النشر حيث أمكن ذلك.

الطور الثاني لكتابات سيلفيا بلاث ينحصر بين بدايات عام 1956 وأواخر عام 1960. وتمثل المرحلةُ المبكرة من عام 1956 مفترق طرقٍ، بالنسبة للشاعرة، إذ من نصوصها ولدت القصائدُ الأولى لمجموعتِها الأولى (الصرْح). ومن هذه النقطة بدأتُ العمل، معها، عن كثبٍ، وشاهدتُ القصائد وهي تُكتبُ، وبالتالي أنا متأكدٌ،

منطقياً، أن كلّ شيءٍ هنا في مكانه المناسب. وقد بحثنا، على مدى سنوات عدّة، عن قصائد أخرى، لكننا فشلنا بالعثور على المزيد. المسودات النهائية لهذه القصائد متوفرة جميعها لدينا. كما أن التسلسل الزمني للقصائد أقلّ عرضةً للشكّ، مع أنّ المشكلة ظلت تحوم فوق رؤوسنا. إنّ تطورها كشاعرة انطلق سريعاً من خلال أشكال عدة من الأسلوب، بعد أن اكتشفت موضوعها الحقيقي، ووجدتْ صوتها. ومع كلّ مرحلة، كانت تولد مجموعة من القصائد، تحملُ معها عبقاً عائلياً، أجدها، في الواقع، مرتبطة بذاكرتي، بمكانٍ وزمان معينين. إذ في كلّ خطوةٍ كنّا نمشيها، بدت سيلفيا وكأنها تبتكرُ أسلوباً آخر مختلفاً.

إذاً، يمكن القول إن التسلسل الزمني لمجموعة القصائد المدرجة، في هذا الطور، يقيني إلى حدّ بعيد. لكنني لستُ متأكداً تماماً أيّة قصائد في هذه المجموعة أو تلك سبقت الأخرى. في بعض الأحيان، كانت سيلفيا نفسها تتوقع أنها كتبت قصيدة قبل أخرى، ليتضح لاحقاً أن الأمر ليس كذلك، فقصيدة (عاشقان ومشاط شواطئ)، المدرجة في مختارات ما قبل 1956، أو قصيدة (حجارة) من سلسلة (قصائد عيد الميلاد)، عام 1959، تنتمي، زمانياً، إلى مرحلة لاحقة، بعض الشيء. في حالات عدة، كان بمقدوري تثبيت تاريخ ومكان كتابة القصيدة بدقة كاملة (كتبت قصيدة "السيدة دريك تأتي إلى العشاء" فوق رصيف نهر السين، في 21 حزيران، عام 1956). مع ذلك، في حالة أو حالتين، كانت التواريخ التي وضعتها لبعض المخطوطات تتعارض مع ما بدا ذكريات دامغة بالنسبة لي، وغير قابلة للدحض. مع ذلك، لم أحاول تثبيت أي تاريخٍ لم يكن موضوعاً للتوّ في المخطوطة. لحسن الحظ، وبعد عام 1956، كانت سيلفيا تحتفظ

بسجل كامل للتواريخ التي أرسلت فيها قصائدها إلى المجلات، وكانت تفعل ذلك، روتينياً، حالما تنتهي من كتابتها لها، وهذا ما ضبطَ، إلى حدّ ما، الخطّ البياني التقريبي، الذي اعتمدته لقصائدها.

من وجهة نظر تحريرية، يبتدأ الطورُ الثالث والأخير لأعمالها في أيلول عام 1960. خلال هذه المرحلة، درجت سيلفيا على عادة وضع تاريخ للمسودة النهائية لكلّ قصيدة من قصائدها. في مثالين أو ثلاثة، حين قامت بتنقيح القصيدة، لاحقاً، كانت تدرجُ تاريخَ التنقيح أيضاً. مع بدايات عام 1962، بدأت سيلفيا تحتفظ بالمسودات المكتوبة بخط يدها، (والتي، قبل ذلك الحين، كانت تقوم بإتلافها بشكلٍ منتظم)، وتضع تواريخ لمسودات النسخ النهائية. وبالتالي، وخلال هذا الطور، فإن تقويم التسلسل الزمني للقصائد صحيح تماماً، والريبة الوحيدة التي تكتنفه، هو نسق التأليف بين القصائد المكتوبة، خلال يومٍ واحد.

لقد قاومتُ إغراء إعادة نشر مسودات هذه القصائد الأخيرة، في طبعة كاملة محققة. جدلياً، هذه المسودات هي جزءٌ من الأعمال الكاملة لسيلفيا بلاث. إنّ الصفحات المكتوبة بخطّ يدها زاخرة بعبارات وأبيات جميلة، ومباغتة، وهي تغمر بياض الصفحة بالدفء. إنّ بعض هذه الأبيات المتروكة، لا تقلّ جمالاً عن تلك التي اختارتها الشاعرة لتكمل قصيدتها النهائية. لكنّ طباعة جميع هذه المسودات كانت ستجعل من هذا الكتاب مجلداً ضخماً.

وردت قصيدة "إلى صوتين"، التي لم تُنشر أو تصغ سابقاً، في الهوامش التي تزيل قصيدة "لوحة الأبجدية" (رقم 62)، وكان هذا مناسباً. قصائد أخرى تم حذفها كاملاً، وبعضها ورد منها شذراتٍ ومزقاً ذُكرتْ في الهوامش أيضاً، فضلاً عن صياغة الشاعرة الحرفية

لقصيدة ريلكه (نبيّ). تقدم الهوامش أيضاً معلومات مرتبطة بسيرة الشاعرة لكلّ عامٍ من الأعوام بين 1956-1963، وتوصيفاً دقيقاً لخلفية قصائد بعينها. كما تمت إضافة فهرس أبجدي لمحتويات كلّ ديوان من الدواوين الأربعة المنشورة استناداً إلى الترقيم الكرونولوجي المعتمد في هذه الطبعة الكاملة.

أوجه الشكر، وشعوري بالعرفان لجوديث كرول، التي راجعت المخطوطات، وفعلت الكثير لوضع اللمسات الأخيرة على النصوص النهائية، مزودة بالتفاصيل الكاملة، كما أوجه الشكر لمكتبة (ليللي)، في جامعة إنديانا، بلومينغتون، لإتاحة الفرصة لي الاطلاع على أرشيف سيلفيا بلاث المتعلّق بأعمالها الأولى في فترة الصِّبا.

تيد هيوز،

آب، 1980

مكتبة
t.me/t_pdf

قصائد

1963_1956

1956

1- حديثٌ بين الأطلال

عبر ردهاتِ منزلي الأنيقِ ألمحكَ تمشي،
بكلّ ضراوتك المتوحّشِة، توزّعُ أكاليلَ الثمرِ
والقيثارات الخرافية، والطواويس،
ممزقاً شبكةَ الاحتشامِ التي تلجمُ العاصفةَ.
الآنَ، الإطارُ الباذخُ للجدرانِ يتهاوى،
والغربانُ تنعقُ فوق الأطلال الموحشة.
في الضّوء المعتمِ لنظرتكَ الهوجاء،
تُقلعُ الفتنةُ، مثل ساحرةٍ مرعوبةٍ،
هاجرةً القلعةَ حين تتحطّمُ الأيام.

الأعمدةُ المهشّمةُ تغلّفُ حوافّ الصخور.
وبينما تقفُ، أنتَ، شامخاً، بمعطفكَ، وربطةِ عنقك،
أجلسُ، أنا، خاشعةً برداءٍ إغريقي، وعقدةِ الذات،
مبهورةً بنظرتكَ القاتمةِ، حيث المسرحيةُ تنقلبُ مأساةً:
مع هذا البلاءِ الذي ضربَ بستانكَ المفلسَ
أيّ طقسٍ من الكلمات يستطيعُ أن يرتقَ هذا الهباء؟

مكتبة
t.me/t_pdf

2- أفقٌ شتوي مع الغربان

يندفعُ الماءُ في مجرى الطّاحونة، عبر قناةٍ من حجر،
هابطاً، باتجاه البركةِ الداكنةِ،
حيث بجعةٌ وحيدةٌ، في غير موسِمها،
تطفو، بكلّ سذاجةٍ، صافيةً كالثّلج،
ساخرةً من العقلِ الغائمِ الذي يصبو
لالتقاط انعكاسها الأبيض النّاصع.

الشمسُ الصارمةُ تنحدرُ فوق المستنقعِ،
أرجوانيةً مثل عين السيكلوب، مشمئزةً
من إطالةِ النظرِ إلى هذا الأفقِ العكِر.
بالرّيشِ الفاحمِ للتفكير، أتمشّى كالغراب،
غارقةً في التأمّل، فيما اللّيلُ الشتويّ يهبطُ وئيداً.
عيدانُ قصَبِ السنة الفائتةِ محفورةٌ على الجليد،
كمثلِ صورتكَ في بؤبؤِ عيني.
صقيعٌ جافّ ينيرُ نافذةَ وجعي.
أية سلوى يمكن استلالها من الحجر
تجعلُ قفارَ القلبِ تخضرُّ من جديد؟
من تراهُ يمشي في هذا المكان المكفهرّ؟

3- مطاردة

في عمق الغابات تطاردني صورتك
راسين

ثمة نمرٌ يطبقُ عليّ.
ذاتَ يومٍ، سوف أقنصُ منه موتي.
شبقُهُ أضرمَ النّارَ في الغابات،
إنّه يجوسُ خلسةً أكثر خيلاءً من الشّمس.
بنعومةٍ، دائماً، ولباقةٍ، دائماً،
ينسلّ ورائي على ذاكَ الدَرجِ
متقدّماً أكثر فأكثر نحوي.
كأنّما احتستْ سماً زعافاً
الغربانُ تنعبُ منذرةً بالخراب.
لعبةُ الصيدِ على أشدّها
والفخاخُ جميعاً نُصبتْ.
بالشّوكِ مدمىً جسدي، أشقُّ طريقي بين الصخور،
مرهقةً، وشاحبةً، تحت هجيرِ ظهيرةٍ بيضاء حارّة.
عبر شَبَكةِ عروقهِ الحمراء أيُّ توقٍ يصحو؟
أيةُ نيرانٍ تشتعلُ؟

نهِماً يعيثُ خراباً باليابسة
الموبوءة بخطيئةِ أجدادنا،
صارخاً: "الدماء، هيّا، لتُسفح الدماء".
اللّحمُ يتخمُ جرحَ فمِهِ النيءَ،
حادّةً وقاطعةً أنيابه التي تطحنُ،
وحلوٌ الهيجانُ اللافحُ لفرائِهِ.

قبلاتُهُ تحرقُ، ولمسةُ أظافره تُدمي كالأشواك،
القضاءُ وحده يكلّلُ تلك الشهوة.
وعلى إثرِ ذاك النّمرِ المهتاج،
نسوةٌ، يتوهجّن كالمشاعل، لتلبية شبقِهِ،
يتمدّدْنَ، ممزقاتٍ، منهوباتٍ،
طعْماً لجسدِهِ المتضوّرِ.

الآن الهضابُ تفقّسُ خطراً، وتبيضُ فيئاً.
منتصفُ اللّيلِ يحجبُ الجسدَ المنهكَ للأيكةِ.
هذا الغازي الأسودُ، الممسوس بالحبّ،
يطلقُ وركيه السّريعين، للحاقِ بي.
خلف الأكمة المتشابكة لعينيّ
يربضُ ذاك الرّشيقُ، وفي كمينِ الحلمِ
تشعُّ تلك المخالبُ التي تمزّقُ الجسدَ.

تلك الأفخاذُ المشدودةُ تتضوّرُ، ثم تتضورُ.
وهجُهُ ينصبُ لي شركاً، ويضيءُ الأشجارَ
فأركضُ مشتعلةً بجسدي.
أية برودةٍ، وأيةُ هدهدةٍ يمكن أن تحضنني
حين تحرقني، وتدميني، تلك النظرةُ الصفراءُ؟

أرمي قلبي لأوقفَ اندفاعتَه
وأنزفُ دماً لأروي عطشَه.
يلتهمُ فريستَه، متضوراً، ويطلبُ المزيدَ،
باحثاً عن أضحيةٍ مطلقة.
صوتُهُ ينصبُ لي كميناً، ويشيعُ ذهولاً.
أحشاءُ الغابةِ تهوي رماداً.
مذعورةً من حاجةٍ سريةٍ
أفرُّ هاربةً من وهجِ ذاك الهجوم.
داخلةً برجَ خوفي
أوصدُ الأبوابَ على ذاكَ الإثمِ الأسود،
وأحكمُ رتاجَ البابِ، ورتاجَ كلِّ الأبواب.
يتسارعُ الدمُ، متجمهراً في أذنيّ:
إنها دعساتُ النّمرِ على الدرَج،
تصعدُ، ثم تصعدُ، تلك الدرَجات.

4- رعويات

نداءُ خَطر: اثنان أتيا إلى الحقل في ذاك الاتجاه:
"خمرةٌ معطّرة بالأقحوان"، قال أحدهما للآخر.
هكذا كانا شيئاً واحداً، وراحا يبحثان عن سرير،
عبر ثغرةٍ في السياج، بين قطيع الأبقار الرّمادية.

"لا أريدُ فلاّحاً بمذراةٍ، من فضلكَ"، قالتْ.
"ليحرسَ الديكُ سلامتَنا"، قال.
بالقرب من أيكة برقوق السّياج، ورذاذِ الزّهر،
خلعا معطفيهما، وأتيا على سريرٍ أخضر.

في الأسفل: مستنقعُ مياهٍ راكدة؛
على الجهةِ المائلةِ: هضبةٌ من الأشواكِ المدبّبة؛
وهناك قطيعُ الماشيةِ الأخرس، الملزمِ بالشَرف؛
في الأعلى: هواءٌ أبيض مكلّلٌ بورقِ الوردِ،
وسحابةٌ ناصعة.

طوال ما بعد الظهيرةِ ظلَّ هذان العاشقان نائمين
حتى صار لونُ الشّمسِ شاحباً بسببِ الدفءِ،
وتبدّلتْ نبرةُ الريحِ الحلوةِ، وصارت تهبّ شريرةً:

الأشواكُ القاسيةُ لسعَت كاحليها العاريين.

تشعرُ بالحزنِ، وتشعرُ بالمهانةِ،
لأنّ بشرتَها الرقيقةَ تلقّتْ جرحاً مميتاً كهذا.
داسَ عيداناً كثيرةً، وهشَّمها أرضاً،
ما سبّب ألماً لحبيبةِ قلبهِ.

الآن، هو، يسلكُ دربَه الصحيحةَ،
وبقوة الشّرفِ ذاتِه سوف يرحلُ،
بينما تقفُ، هي، تحترقُ ألماً،
كمن تجرّع سمّاً.
إنّها تنتظرُ ألقاً آخر،
أكثرَ حدّةَ، يتلاشى بعيداً.

5- حكايةُ حوضِ الاستحمام

الحجرةُ الفوتوغرافية للعين
تسجّلُ صورةَ جدرانٍ عاريةٍ مطليةٍ
فيما ضوءٌ كهربائيٌّ يفضحُ بقسوة
الأعصابَ الفلزية لأنابيبِ المياه؛
فقرٌ كهذا يهاجمُ الأنا.
عارياً، في الحجرةِ الواقعيةِ فحسب،
يرسمُ الغريبُ في مرآةِ المرحاضِ
ابتسامةً عامّةً، ويكرّرُ اسمينا معاً،
عاكساً، بريبةٍ، الرّعبَ المعتادَ.

إلى أيّ حدٍّ نحن مذنبون
حين لا يكشفُ السقفُ
تصدّعاتٍ يمكنُ فكّ شيفرتِها،
وحين تصرّ المغسلةُ
أنّها لم تعدْ تملكُ نداءً مقدّساً،
سوى الوضوء الجسدي،
وتنكرُ المنشفةُ بازدراءٍ
أن ثمة وجوهاً خرافيةً شرسةً تختبئُ
بين طيّاتها العلنية؟
أو حين لا تعترفُ النافذةُ،

التي أعماها البخارُ، بالظّلام
الذي يكفّن إرهاصاتنا بظلالٍ غامضةٍ؟

قبل عشرين عاماً، فرّخ الحوضُ المألوفُ
طيفاً واسعاً من إشارات السوء،
لكنّ حنفيات الماء، الآن،
لا تفقّسُ أيَّ خطرٍ،
إذ لم يبقَ سلطعونٌ واحدٌ لم يمضِ، أو أخطبوطٌ أيضاً ـ
إنّها تخربشُ خلف المشهد، منتظرةً لحظةَ استراحة تلقائية،
في الشّعائر، لكي تنقضّ.
البحرُ الحقيقيّ يحرمُها من هذا، ويسلخُ اللّحمَ الخارقَ
حتى آخرِ عظمٍ صادقٍ.

نقومُ بالغطس معاً،
أعضاؤنا ترتجُّ تحت الماء،
وتصير خضراء باهتة،
مبتعدةً عن اللّون الحقيقي للبشرة.
هل يمكن لأحلامنا أن تمحوَ الخطوطَ العنيدةَ
التي ترسمُ الهيئةَ التي سُجنّا في إهابِها؟
الحقيقةُ المطلقةُ تقتحمُ المشهدَ
حتى عندما تكون العينُ نائمةً.
الحوضُ موجودٌ خلف ظَهرنا؛
سطوحُهُ المتلألئةُ عمياء وحقيقية.

مع ذلك تظلّ الحوافّ العاريةُ لجسدكَ تحثكّ
بفبركةِ وشاحٍ تسترُ فيه كلّ هذا الصفَاء المطلق.
لا ينبغي للدقّةِ أن تهيمنَ على الأشياء:
في كلّ نهارٍ علينا أن نبتكرَ عالمنا من جديدٍ،
لكي نسترَ الرّعبَ الدائمَ، داخلَ معطفٍ
من أكاذيبَ ملوّنة؛
نزيّفُ ماضينا بسندسِ الجنَّة،
وندّعي بأنّ ثمرةَ الغدِ المشرقِ
ستورقُ من سرّةِ هذا الحاضر العفن.

في هذا الحوضِ بالذّاتِ، الركبتان تبرزان ناتئتين
كمثلِ لسانين من جليدٍ،
فيما الوبرُ البنيُّ الدَقيقُ يطفو
على الذّراعين والسّاقين
كفهرسٍ من عشبِ البحرِ.
صابونٌ أخضر يبحرُ في غياهبِ
دفقِ المدِّ العالي للبحرِ
ثم يتحطّمُ فوق شواطئ خرافية.
بإيمانٍ راسخٍ سوف نركبُ سفينتَنا المتخيّلةَ
ونبحرُ، بلا هوادة، بين الجزر المقدّسة للمجانين،
حتى يأتي الموتُ ويهشّمَ النجومَ الرّائعةَ
ويجعلَنا حقيقيين.

6- شروق شمسٍ في الجنوب

بألوانِ اللّيمون، والمانغا، والدرّاق،
ما تزالُ هذه البيوت القرميديةُ
في كتبِ الحكايات تحلمُ خلفَ الشبابيك،
شرفاتُها ناعمةٌ كراحةِ اليد ـ
إنّها من حريرٍ،
أو من رسمٍ بقلمِ الزّهرِ والأوراق.

يميلُ مع الرّيح،
فوق سويقاتِه السَهميةِ،
الأناناسُ المقشّر،
هلالٌ أخضر من النّخيل،
يطلقُ عالياً شهبَه المتشعّبةَ من الأوراق.

فجرٌ صافٍ كحجرِ الياقوت
يذهّبُ ردهاتِنا
فرسخاً بعدَ فرسخٍ،
ومن البلَل الأزرقِ
لخليج الملائكة،
حمراءَ، مدوّرةً، كثمرةِ البطيخِ،
تشرقُ الشمسُ.

7- عبور القنال

فوق دكّة موشومةٍ بالعواصفِ، تموءُ أبواقُ الرّيحِ كالقطط، ومع كلّ رجّةٍ، وكلّ رجفةٍ، تشقُّ سفينتُنا العاريةُ عبابَ الماءِ صوبَ الهياج الكبير. الموجُ الأسودُ كالغضب يندفعُ مهاجماً الهيكلَ العنيد. ملفوحين بالرّذاذ نرفعُ التحدّي إلى أقصاه، نتمسّكُ بالدربزين، وننظرُ، حَوَلاً، إلى الأمام، متسائلين:

كم سيطولُ أمدُ هذه القوّةِ الغامضةِ،
لكن، في البعيدِ، موجاً فوقَ موجٍ،
يعكسُ الأفقُ الحياديُّ البحارَ الجائعةَ وهي تتقدّمُ.
في الأسفلِ، يستلقي البحّارةُ منهكين من الارتجاج
يتقيأون في طاساتٍ أرجوانيةٍ لامعةٍ؛ وثمة لاجئٌ
يتمدّدُ، ملفوفاً بالسّواد، بين الأمتعةِ، ويرتجفُ
تحت القناع المشدودِ لوجعِهِ.

بعيداً من الرّائحة الحلوة للهواءِ المدمّرِ
الذي خانَ رفاقَنا، نقفُ متجمّدين برْداً،
مذهولِين إزاءَ اللامبالاةِ الصّارخة للطبيعةِ:
هل ثمة من طريقة لاختبارِ حبلٍ مشدودٍ

أكثر نجاعةً من وضعه أمام هذا الانقضاض الجارف،
وتلك الانفجارات الآنية للجليد
التي تتصارعُ معنا كالملائكة.

إنّ الوصولَ، بمحضِ الصّدفة، إلى الميناء،
عبر هذا العَصفِ الباهظِ، يحرّكُ فينا الشّجاعةَ.
كان البحّارةُ الزرقُ قد تغنّوا بأنّ رحلتنَا
ستكون مليئةً بالشّموس، وطيورِ النورس البيضاء،
وبالمياهِ المطرّزة بالألق، وبشتّى ألوانِ الطّاووس،
لكن، عوضاً عن هذا، برزتْ صخورٌ كأُداء أمامنا
منذ أوّل إبحارنا، والسماءُ فوقنا تلبّدتْ بالغيوم،
والجروف الكلسيةُ الناصعةُ أضحتْ باهتةً

في الضّوء الرّزينِ للنّهارِ المنحوسِ.
الآن، وبفعل نزوةِ المخاطرة، وبعد أن تحرّرنا
من البلاء الشّامل، الذي أوقعَ أخوتَنا أرضاً،
قرّرنا أن نأخذ موقفاً، جوهرهُ بطولةٌ ساخرةٌ،
من أجل أن نموّهَ رعبَنا المستيقظَ
إزاءَ تلك الضوضاء التي لا يمكن لإنسانٍ ضبطَها:
سقطَ الجميعُ، الضعيفُ والقويُّ، المتواضعُ والمتكبّرُ،

العنفُ الصرفُ أطاح بَكلّ الجدران،
والمزارعُ الخاصّة تفتّتتْ مزقاً،
وباتتْ منهوبةً أمام مرأى الجميع.
هنا نهجرُ حظّنا الوحيدَ، إذْ أجبرتنا
روابطُ الدمِ والصّداقة، أن ننفّذ ميثاقاً صامتاً.
ربمّا كان الشعورُ بالقلقِ هنا عديمَ الفائدة،
وشيئاً فائضاً عن الحاجة، مع ذلك،
ينبغي أن نعطي الإشارةَ، وننحني ونمسكُ،
برأسِ الرّجل الممدّدِ أمامنا.

هكذا نبحرُ صوبَ المدنِ، والشوارعِ، وبيوتِ الآخرين،
حيث التماثيل تحتفلُ بأفعالٍ بطولية
تُؤدّى في أوقاتِ السّلمِ، وأوقاتِ الحرب.
كلّ المخاطر تنتهي: الشّواطئُ الخضرُ تطلّ من بعيدٍ،
هنا نستعيدُ أسماءَنا، ونستعيدُ أمتعتَنا،
وأرصفةُ الموانئ تضعُ حدّاً لملحمتِنا القصيرةِ.
لا شيءَ، لا ديونَ تبقى، بعد الوصول،
ونحنُ نغادرُ الدكّةَ الخشبيةَ مع الغرباء.

8- احتمال

بين سقوفِ الآجرّ الأصفرِ
وأحواضِ المداخنِ،
ينسلّ ضبابُ المستنقعِ
رمادياً كالفئران،

وعلى الغصنِ المرقّطِ
لشجرةِ القيقبِ
يحطُّ غرابان فاحمان،
يحدّقان بحزن،

وهما يرقبان هبوطَ اللّيل،
فيما عشبةٌ ثملةٌ تتأوّهُ
أمام عابرِ سبيلٍ، وحيدٍ،
ومتأخّر.

9- شكوى الملكة

بين هرجٍ ومرجِ الحشودِ في بلاط القصرِ،
نزلَ هذا العملاقُ ـ أقولُ لكَ ـ مقتحماً مشهدَها،
بيدين ضخمتين كرافعاتِ الموانئِ،
ونظراتٍ حادّةٍ وفاحمةٍ كطيورِ الرخّ.
أجل، كلُّ الشبابيكِ تهشّمتْ إبان دخولِهِ.

حرثَ حقولهَا الخصبةَ، جيئةً وذهاباً،
وأجفلَ حمامَها الوديعَ بطريقةٍ فظّةٍ.
لا أعلمُ البتّةَ أيّ غضبٍ ساقَهُ ليذبحَ
ظبْيها حين لم تكن تتربّصُ به شرّاً أبداً.

همستْ في أذنه كلماتِ التأنيبِ،
حتى شعَرَ بالشفقةِ، ورقّ لبكائِها؛
ما جعله يعرّي كتفيها تماماً
من فستانِها الباهظِ، ويواسيها،
لكنّهُ هجرَها مع أوّلِ صياحٍ للدّيك.

هي، أرسلتْ مئات المبعوثين
كي يجلبوا كلّ الرجال الشجعان

الذين تلائمُ قوّتهُم
هيئةَ نومِها، وأفكارِها ـ
لا أحدَ من هؤلاء الأغرارِ
استحقَّ تاجَها البرّاق.

هكذا وجدتْ نفسَها في مأزقٍ نادرٍ،
تخوضُ في الدّم،
وسطَ هجيرِ الشّمسِ والصّراخ،
وتغنّي النشيدَ التالي:
"كم محزنٌ، يا للحسرةِ،
أن أرىَ شعبي
يتضاءلُ كثيراً، ... كثيراً يتضاءلُ".

10- أنشودة من أجل تيد

من دعسات حذاءِ حبيبي
تورقُ براعمُ الشوفان،
هو يسمّي طائرَ الماءِ،
ويطلقُ سراحَ الأرانبِ،
كي تعدو مجنونةً،
صوبَ سياجِ الشّجرِ الوارفِ.
يطاردُ خلسةً الثعلبَ الأحمرَ،
والسنجابَ الحاذقَ.

يصرخُ: محدودباتُ رملٍ، سردابُ خلدٍ،
مأوى الدودةِ الواطئ،
فروٌ أزرق لحيوانِ الخلدِ.
حاملاً بيديه حجرَ صوّانٍ ثقيلٍ
مغلّفٍ بقشرةِ الطبشور،
يشقّ نصفين، بوساطة صخرةٍ،
حجرَ الكوارتز ذا المقبض.
الألوانُ المسلوخةُ تنضجُ،
ثريةً، بنيةً، مشعةً في ضوءِ الشّمسِ.

أمام نظرتهِ المحضة، تنحني الأرضُ الشحيحةُ:
كلّ حقلٍ محروثٍ بإصبعٍ
يُنْبتُ سويقةً، ورقةً، ثمرةً خضراءَ كالزمرّدِ؛
القمحُ السّاطعُ، الذي اخضوضرَ في غيرِ موعده،
يستسلمُ، باكراً، لقوّةِ إرادتهِ،
تحت يديهِ، تبني الطيورُ أعشاشَها الرّصينةَ.

حمائمُ الخرزِ تحطّ هانئةً في غاباتِهِ،
تهدلُ ترانيم تناسبُ مزاجَهُ الوئيدَ،
كيف لا تكونُ الأكثر سعادةً
تلك الحواءُ التي تختارُه آدمَ لها،
حين الأرضُ، برمّتها، تستحضرُ كلماته،
وتقفزُ لتمتدحَ دماءَ رجلٍ كهذا.

11- أغنيةُ النّار

ولدنا خضراً،
هابطين إلى هذه الحديقةِ الناقصةِ،
ولكن بين الأدغال الشوكية،
كامناً كالثعبان،
ينسلّ حارسُنا خلسةً،
ناصباً شركه،
ساحباً الظبي والطيرَ والسلمونَ إلى حتوفِها،
حتى أنّها جميعاً تترنّحُ في الدّمِ المسفوحِ.

الآن، جلّ مهمّتنا تكمنُ
في اقتطاع قناعِ ملاكٍ، يصلحُ للارتداء،
من زبالته النتنة، حيث كلّ ما فيها
مائلٌ، رأساً على عقب،
إذ لا يقدرُ أيُّ استقصاءٍ صريحٍ
أن يفكّ شفرةَ
الاكتشافِ الحاذقِ
الذي يعفّرُ كلّ فعلٍ باهرٍ من أفعالِنا،
ويعيدُها إلى الطّين البدئيّ الأوّلِ،
الملتحفِ بسماءٍ شرسة.

ملحٌ حلوٌ يكسو
العشبَ البريَّ
الذي نركلُهُ باتجاه النّهايةِ النتنةِ للطّريق.
موشومين بالشّمسِ الحمراء اللّهابة،
نرفعُ حجرَ الصّوان الدائريّ،
الملفوفَ بضماداتِ شرايين سِلْكية.
أيها الحبُّ الجريءُ،
لا تحلمْ بإطفاءِ ذاكَ اللهبِ العارمِ،
ولتأتي، وتنحني على جرحي؛
وابقَ مشتعلاً، مشتعلاً،
إلى ما لانهاية.

12- أغنية من أجل نهارٍ صيفي

عبر سبخة ماءٍ، وأرضٍ زراعية،
بينما كنتُ أمشي مع عشيقي الريفيّ،
رأيتُ قطيعاً من أبقارٍ بطيئة، تتحركُ
كهياكل سفنٍ بيضاء، خلال إبحارِ يومِها.
العشبُ اللّذيذُ اشرأبَّ كي يلاقي شهوتَها.

كان الهواءُ شفافاً، على مدّ النظر:
بعيداً في أقصى الزرقةِ، وعلى علوٍّ شاهقٍ،
ساقتِ الغيومُ متاهاً صقيلاً.
غمزُ ولمزُ طائرِ القبرّة يتعالى
كأنّما في مديحِ عشيقي.

بريقُ شمسِ الظّهيرةِ النازلُ
أصاب قلبي، كأنّه ورقة خضراء،
وزادَهُ هيجاناً مديحُ عشيقي،
ليصيرَ جمراً يشتعلُ.

هكذا، ونحن معاً، نتبادلُ أطرافَ الحديث،
يلفحُ وجوهَنا هواءُ الأحدِ العذبُ،
تابعنا سيرنا، (مازلنا نسيرُ هناك ـ
هاربين من لسعاتِ الشّمسِ)
حتى تصاعدَ ضبابُ اللّيل.

13- شقيقتان للربّة "بيرسِفيني"

ثمة فتاتان: واحدة تجلسُ داخل المنزلِ، وأخرى خارجه.
بينهما، طوال النّهارِ، ثنائيةٌ من الظّلِّ والضّوءِ
تظلّ ترقصُ.

في حجرتهِا المظلمةِ،
المؤثثة من خشبِ السنديان،
تحلّ الأولى المشاكلَ
كمثلِ آلةٍ حاسبةٍ.
الدقّاتُ الملساءُ تدلُّ على الوقتِ

حين تحصي كلَّ مبلغٍ.
إزاء هذه المغامرةِ الجرداءِ،
وبحصافة الجرذ، تدورُ عيناها الحولاوان،
كي تستكشفا نحولهَا الشّديدَ.

برونزيةً كالتراب، تستلقي الأخرى،
تصغي لدقّات السّاعة تنثرُ ذهباً
كمثل غبار الطّلعِ على جسدِ الهواء.
سعيدةً قرب سريرٍ من شقائق النّعمان

تتأمّل حريرَها الأحمرَ يتأجّجُ
براعمَ من دم،
وتتفتّحُ وهّاجةً أمام نصلِ الشّمس.
فوق ذاك المذبحِ الأخضرِ

تصيرُ، سريعاً، عروسَ الشّمس،
التي سرعان ما تأتيها بالبذار.
مستلقيةً فوق سريرِ العشبِ، وفي كبرياءِ مخاضِها،
تصيرُ حبلى بملكٍ. أما الأخرى،

شاحبةً، ومستاءةً، كبرعمِ اللّيمون،
تظلّ بتولاً حتّى آخر الدّهرِ،
وتذهبُ إلى قبرها هباءً من جسدٍ،
زوجةً للدودِ، لا ككلّ النساء.

14- دارُ الغرور

في طقسٍ مثقلٍ بالصّقيع،
تنسلُّ تلك السّاحرةُ، بأصابعِها المعوجّة،
كأنّها تهوي في هواءٍ خطرٍ
يكفي، في أثناء هبوبِهِ الدائمِ،
أن يلصقَها بالسّماء.

عند زاوية العينِ الحسودةِ،
تستنسخُ ساقا الغرابِ عروقاً
فوق وريقةٍ منقّطة.
البردُ الأحولُ يسرقُ لونَ السَماء.
حين تنادي الأجراسُ القدّيسين للصلاة،
ينشغلُ لسانُ السّاحرة بالشّتائمِ مع الغراب

مبعثرةً فروَ الهواءِ
فوق نتنِ جمجمتِها. لا سكّينَ
تضاهي حدّةَ نظرتِها الثاقبة،
مبتكرةً كلّ الغرور الذي
يوقعُ بالفتيات البسيطات،
وبالذهابِ إلى الكنيسة،

وكلّ ما يتوقُ إليه لهبُ القلب
لطهوِ خليطٍ غنيٍ بالتسكّع،
مع كلّ مغفّلة ولهانةٍ، جاهزةٍ،
لقاء قطعةِ مجوهراتٍ رخيصة،
وتهدرُ ساعاتٍ مشؤومةً
على أسرّة حمراء،
مع جسدٍ مثقلٍ بالذنوب.

أمام الصّلواتِ الطّاهرةِ
تضعُ هذه العرّافةُ ما يكفي من المرايا
كي تضلّلَ فِكرَ الجميلات.
مريضاتٍ بالحبّ، مع أوّل أغنيةِ ولهٍ،
تظنّ، طيشاً، فتياتُ الغرور، أن

لا نارَ تقعُ خارجَ لهبِ القلب،
ولا برهانَ في كتابٍ يقولُ إنّ الشمسَ
تنصبُ الروحَ عالياً كالرّاية
بعد أن تُطبقَ الجفونُ.
هكذا تنذرهنّ جميعاً للملكِ الأسودِ.
أسوأهنّ رثاثةً

تتنافسُ مع أفضل الملكاتِ جمالاً،
وحقُّها بأن تتوهّجَ كزوجةِ الشّيطان؛
مقيماتٍ في الأرضِ، تبكي الملايينُ من تلك النسوة:
بعضُهنّ يحترق لمدّةٍ قصيرة،
وبعضُهنّ الآخرُ لأمدٍ طويلٍ،
رهيناتِ الغرورِ في مجمعِ السّاحرات.

15- أغنية المومس

الآنَ، وقد تلاشى الصقيعُ الأبيضُ،
حيث الأحلامُ الخضرُ لا تساوي الكثيرَ،
وبعد يوم عملٍ شاقّ،
حان وقتُ تلكَ المومسِ المشاكسةِ:
ملمحٌ منها يستولي على شارعِنا،
ويهرعُ الرجالُ، كلّ الرجال،
الأحمر والأصفر والأسود،
زاحفين نحو مشيتِها.

أصرخُ، مارك، ذاكَ الفمُ
خُلِق لتمارسَ عليه العنفَ،
عليه، ذاكَ الوجه المتشقّق،
المشوّه بندبةٍ، بلطخةٍ، بثنيةٍ،
مع كلّ عامٍ قاسٍ يمضي.
الماشي هناك ليس بذاك الرّجلِ
الذي يمكن أن يتبرّع بآهةٍ
ليموّهَ، بماركةِ الحبّ، هذه الابتسامةِ النتنة،
ومن مستنقعٍ أو دغلٍ، أو أصيصٍ مظلمٍ،
يقفزُ نحو عينيّ الصّافيتين
ناظراً إلى الأعلى.

16- جاك السِمَكري والزّوجات الأنيقات

"هيا، أيتُها السيدة، أحضري الوعاءَ
الذي اختفى لمعانُه وصارَ أسودَ اللّون،
لا يهمّ أيّ إناءٍ نحصل عليه، فهذا الترميمُ
ينبغي أن يعيدَ القِدْرَ إلى شكلِهِ".
سوف أرمّمُ كلّ شائبةٍ،
فوق طبقِ الفضّةِ،
وأُلمّعُ الغلاّيةَ النّحاسيةَ
قرب مدفأتكِ
وأجعلُها ساطعةً كالدم.

"تعالي، أيتُها السّيدةُ، أحضري ذاكَ الوجهَ
الذي اختفى ألقُهُ.
هُبابُ الوقتِ في عينٍ عكرةٍ
يمكن أن أجعلَهُ يتلألأُ
لقاءَ أجرٍ زهيدٍ.
لا توجدُ هيئةٌ مائلةٌ، نهائياً،
محدودبَة الظّهر، أو مقوّسَة السّاقين،
فجاك السَمكريّ قادرٌ دائماً
أن يصلكّ من الشّمطاء حسناءَ جميلةً".

لا يهمّ الدمغةُ
التي تتركُها النارُ الملتهبةُ،
فجاك، بلمسةٍ واحدةٍ،
يجعلُها صالحةً للاستعمال.
وجاك يُرمّمُ
كلّ ندبةٍ ضربتْ
صميمَ قلبٍ متصدّعٍ.

"وإن كان ثمةَ
من زوجاتٍ في ريعان صباهنّ،
وما زلنا حسناوات،
ولم تطفئْ جذوةُ مخاضهنّ
بشرتهنّ الرقيقةَ، وتذبلُها ـ
فمن حرارتهنّ الناصعة،
وقبلَ أن يغادرَ،
دعي جاكَ السَمكري يوقدُ النارَ".

17- إلهُ الحقول

بفخذين ،كإلهِ الحقولِ، ارتفعَ صوتُهُ،
من أيكةٍ مرصّعة ببهاءِ القمر، وصقيعِ البحيرة،
حتى أنّ جميعَ طيورِ البومِ في الغابة الكثّة،
خفقتْ أجنحتُها، رعباً، وهي تنظرُ متأمّلةً
النداءَ الذي أطلقهُ هذا الآدميُّ.

لا صوتَ آخر سوى جلبةِ مغفّل ثملٍ
عائداً بتثاقل إلى بيتِهِ قربَ ضفّة النّهر.
النجومُ تتدلّى غارقةً في المياه، وثمة
سربٌ من شهبٍ، كالعيونِ، تضيء
الأغصانَ التي تحطُّ فوقها طيورُ البوم.

مسرحٌ من عيونٍ صُفرٍ
تراقبُ الشكلَ المتحوّل الذي انفردَ به لنفسِهِ.
رأت الحافرَ ينمو قاسياً من القدمِ
ورأت قرونَ الماعز على رأسِهِ.
ورأت، أخيراً، كيف نهضَ الإلهُ
وراحَ يعدو باتجاه الغابة،
مرتدياً تلك الهيئة.

18- أغنيةٌ في شارع

بفضلِ معجزةٍ مجنونةٍ
أمضي، ولا يمسّني شيءٌ،
بين ضجيجِ العامّة،
والأرصفةِ المزدحمةِ، والشّوارع،
والمتاجرِ المتخمة بالجدالات؛
لا أحدَ يرفّ له جفنٌ،
أو يعبّرُ عن ذهولٍ، أو يصرخُ
أنّ هذا اللّحمَ النيءَ يفوحُ منه
ساطورُ الجزّارِ،
وأنّ قلبَه وأحشاءَه معلّقة بخطّافٍ
ينزّ منه الدّمُ كهيكلِ بقرةٍ مشطورةٍ،
قُطّعتْ، إرباً، على يدِ قتلةٍ بستراتٍ بيض.

آهٍ، كلاّ، فأنا ألعبُها بذكاءٍ
كمثلِ معتوهٍ فرّ للتوّ،
أشتري الخبزَ والنبيذَ،
وزهورَ الأقحوان بتيجانِها الصفر ـ
أسلّحُ نفسي بكلّ الوسائلِ العمليةِ،
لأطردَ، بأي ثمنٍ، كلَّ الشُبهات التي تثيرُها

قدمان ويدان ورأسٌ، مكلّلة بالشّوكِ،
وذاك الجرح ُالعظيمُ
الذي ينزُّ دماً أحمرَ
من الخاصرةِ المكلومةِ.

وحتّى عندما يصرخُ ألماً
عصبٌ تالفٌ فيّ
فهذا يفوقُ إصغاءَ كلٍّ عابرِ سبيلٍ:
أنا، ربّما، بسبب غيابكَ
الذي صيّرني بكماء،
أستطيعُ وحدي أن أسمعَ
صرخةَ الشّمسِ الجافّةِ،
مع كلّ سقوطٍ، واصطدامٍ،
لنجمٍ ممزّقِ الأحشاء،
أسمعُ، أكثر من أية أوزة بلهاء،
الثرثرةَ، والهسيسَ المتواصلَ،
لهذا العالمِ المتصدّع.

19- رسالة إلى مثاليّ

ذاكَ الصّرحُ المهيبُ
الذي صمدَ، منفرجَ السّاقين،
في وجهِ أنواء البحرِ العاتيةِ
(مصرّةً، موجةً بعد موجةٍ،
ومدّاً بعد مدٍّ، لتدميرهِ، نهائياً)
ذاك التمثالُ لا يمتُّ إليكَ بصلةٍ،
آهِ، حبيبي،
يا أحمقي العظيم،
الذي، بساقٍ واحدةٍ
(كما هو الحال)
عالقةٍ في الفخّ الوحلي
للجلدِ والعظمِ،
تقفُ، مرتعشاً،
على السّاقِ الأخرى،
في الأقاليمِ السَّخيفةِ
لأرضِ الأحلامِ الصّافيةِ،
مشدوهاً، محدّقاً،
بالقمرِ المعصومِ.

20- مناجاةُ النّرجسيّ

أنا؟
أنا أمشي وحيدةً.
الشّارعُ، منتصفَ اللّيل،
يفتلُ ويدورُ تحت قدميّ.
حين أغمضُ عينيَّ
كلّ هذه البيوتِ الحالمةِ تنطفئُ؛
بهفوةٍ منّي،
فوق مثلثاتِ القرميدِ تلك
تتدلّى بصلةُ القمرِ النوارنيةُ
من أعلى السَماء.

أنا،
أجعلُ البيوتَ تتقلّصُ
والأشجارَ تتوارى،
حين أمضي بعيداً.
خيطُ نظراتي
يهزُّ هؤلاء البشر الدُّمى،
الذين ـ لا يعرفون لماذا يتضاءلون ـ
يضحكونَ، ويقبّلونَ، ويسكرونَ،
وهم لا يعلمونَ أنّني،

إذا اخترتُ أن أرمشَ فقط،
فإنّهم يموتون.

أنا
حين يكون مزاجي صافياً
أمنحُ العشبَ اخضرارَه،
وألوّنُ السماءَ بالأزرقِ،
وأصكُّ الشّمسَ ذهباً،
مع ذلك، في أشدّ حالاتي عكَراً،
أتفرّدُ بالقوّةِ المطلقةِ،
لمصادرةِ كلِّ لونٍ،
ومنعِ الزهرةِ من أن تكون.

أنا
أعرفُ أنّكَ تبدو
مشرقاً بجانبي،
ناكراً بأنّك بزغتَ من رأسي،
مدّعياً أنّكَ تشعرُ بلهبِ الحبّ،
الذي يكفي ليثبتَ أنّ الجسدَ حقيقيٌّ،
مع أنّه، من الجليِّ الواضحِ،
أنّ كلّ جمالكَ، كلّ ذكائكَ،
يا عزيزي، هبةٌ من هباتي.

21- حوار بين الشّبحِ والقسّ

إلى حديقةِ الديرِ، في نزهتِهِ المسائيةِ،
خرج الأبُ شوان يتمشّى جيئةً وذهاباً.
كان يوماً بارداً ورطباً من أيامِ تشرين الثاني المكفهرّة.
بعد مطرٍ غزيرٍ، انتصبَ النّدى،
يرتجفُ في الصقيعِ،
ويقطرُ فوق كلِّ نبتةٍ،
وكلِّ شوكةٍ.
من الأرضِ الرّطبةِ، بازغاً كالزَّرعِ،
طارَ سرابٌ أزرق،
ثم وقعَ في شركِ الأغصانِ الدّاكنةِ،
كمثلِ طائرِ البلشونِ الخرافيّ.

مسروقاً من خلوتِهِ،
بشعرٍ أشعث كالشّوك،
رأى الأبُ شوان شبحاً
يتشكّلُ طيفهُ من ذاكَ الغَبَش.

مكتبة
t.me/t_pdf

"ماذا، الآن"، بلباقةٍ خاطبَ الأبُ شوان الشَبحَ،
الذي كان يتمايلُ هناكَ، متدثّراً بأكثر من ضمادٍ،
تفوحُ منه رائحةُ غاباتٍ محترقة،

"ما المهمّة التي جئتَ من أجلها؟
من شجوبكَ الأزرق أحسبُ أنّكَ
تقطنُ الخلاءَ المتجمّدَ في الجحيم،
وليس الخلاءَ الملتهبَ. مع هذا،
إذا حكمتُ عليكَ من نظرتكَ المفتونة،
ومن هيئتكَ النبيلةِ، أقولُ
ربَّما إنّكَ هجرْتَ السّماءَ منذ وهلةٍ قصيرةٍ؟"

بصوتٍ متهدّجٍ بالصّقيع،
قال الشبحُ للقسّ:
"لا أقطنُ في أيٍّ من هاتين المملكتين.
الأرضُ هي مقامي".

معبّراً عن نفادِ الصبرِ، قال الأبُ شوان:
"تعالَ، تعالَ، أنا لا أسألُكَ
كي تخترعَ لي خرافةً سخيفةً
عن قيثاراتٍ مذهّبةٍ، ونارٍ تتلظّى:
قل لي، ببساطةٍ، بعد نهايةِ حياتكَ،
أيةُ خاتمةٍ عادلةٍ ارتأى الربّ أن يتحفكَ بها
لتلاحقَ أيامكَ. هل ثمة من معضلة
في الإجابة على أسئلةِ أحمق فضولي عجوز؟"

"في الحياةِ، فتكَ الحبُّ بي
مخترقاً بياضَ العظمِ النّاصعِ.
ما فعلهُ الحبُّ، وقتئذٍ، يفعله الحبُّ، الآن:
إنّهُ يخترقُ عظامي".

"أيّ حبٍّ"، سألَ الأبُ شوان،
"سوى حبٍّ هذه الأرضِ الخاطئةِ
يمكن أن يؤدّي إلى هذا العذابِ المؤسفِ؟
أنتَ في حالةٍ مزريةٍ حقّاً:
تندمُ لمغادرتِكَ الدُنيا، ثم تحزنُ
كأنّكَ ما زلتَ حيّاً،
تتلظّى عذاباً هكذا،
علّكَ تكفّرُ، كالظلِّ،
عن ذنبٍ اقترفَهُ أعمى".

"يومُ الحسابِ
لم يأتِ بعد.
حتّى ذلكَ الحين،
سيكونُ منزلي الوثير
شذرة من غبار".

"أيّها الطيفُ المغرمُ"،
صاحَ الأبُ شوان مصدوماً،
"أيوجدُ عنادٌ كهذا ـ
روحٌ محمومةٌ،
تتمسّكُ بشجرةِ جسدٍ ميتٍ،
كآخر ورقةٍ هبّتْ عليها الريحُ؟
الأفضل لكَ أن تطلبَ العدالةَ
لدى محكمةِ الرأفة الربّانية.
اطلبِ التوبةَ، ثم ارحلْ
قبل أن تفصدَ مزاميرُ الربِّ
السَماءَ إلى نصفين".

من ذاك الضبابِ الشّاحبِ
أقسمَ الشبحُ للقسِّ قائلاً:
لا توجدُ محكمةٌ أكثر علواً
من قلبِ الإنسانِ النّابضِ".

22- النّهِم

ملدوغاً بالجوع الذي يصعبُ إسكاته،
حتى أنه يشبه حظّي الأسودَ العاثرَ،
(مختلجاً بحرارةٍ يصعبُ على من اكتوى بها
أن يحافظَ على دماثتهِ)
كلُّ محاسنِ الجسدِ تصبح منذورةً
لإرضائه.
مرقُ الدَم،
مسروقاً بيديه،
يجعلُ منه حفلةَ صاخبةً،
بعد طهوهِ، ساخناً،
ثمّ يكرعُهُ، سريعاً، إلى فمِهِ.
ورغم التهامهِ الأجزاءَ الرئيسيةَ
في كلّ وجبةٍ غنيةٍ،
فإنه لا يتخلّى، أو يفرّط بنهمهِ،
حتى يفرّغ حافظةَ اللّحم
من كلّ عظمٍ،
ويحيلها أثراً بعد عين.

23- مونولوج الثالثة صباحاً

من الأفضل أن يتصدّع كلّ عصبٍ
ويندाحَ الصخبُ في كلّ مكان
ويطفو الدمُ طازجاً فوق
السريرِ، والسجادةِ، والرخام،
ويطلّ التقويمُ برأسِه كأفعى
ليبرهن أنكَ تبعدُ عنّي
ميلونَ بلدٍ أخضرَ من هنا،

أجل، هذا أفضل بكثير،
من أن أجلسَ، خرساء، هنا، أرتعشُ
تحت نجومٍ شوكيةٍ،
بنظراتٍ جامدة،
ولعناتٍ تصبغُ الوقتَ بالسَّواد،
حيث كلمات الوداع قيلتْ
والقطاراتُ غادرتْ،
وأنا هنا، تلك الحمقاء الهائلة،
أقفُ عزلاءَ، بعدما اقتُلعْتُ
من مملكتي الوحيدة، الأخيرة.

24- الآنسة دريك تذهبُ إلى العشاء

ليستْ مبتدئةً
في تلكَ الشّعائرِ المعقّدةِ
التي تسكّنُ آلامَ
الطّاولةِ، ذات المناديل المعقودة،
والكرسيّ المقوّس،
هذه المرأةُ الجديدةُ في الجناحِ
ترتدي الأرجوانيّ، وتخطو بتأنٍّ
بين المساراتِ السرّيةِ لقشورِ البيضِ
وعصافير الطنّان، القابلة للكسرِ،
تمشي بخفّةِ الفأرِ
بين زهورِ الملفوف
التي تتفتّحُ براعمُها المخمليةُ، بطيئةً،
كي تلتهمَ المرأةَ، وتسحبَها أرضاً،
باتجاه تصاميمِ السجّادة.

بلمحةِ عينِ العصفورِ المائلةِ
تستطيعُ أن ترى في اللّحظةِ الحرجةِ
كم هو مدمّرٌ لمعانُ الإبرِ
فوق الألواحِ الخشبيةِ لأرضية الحجرة،

وكم، هي، تبزّها ذكاءً
أحابيلها المتشابكة كنبات العلّيق.
الآنَ، وعبر كمينِ الهواءِ،
المتلألئ بفعلِ النثراتِ المهشّمةِ
للزّجاجِ المكسورِ،
تقتحمُ المشهدَ بأنفاسِها المتقطّعة
لتصدّ كلّ نتوءٍ وسنٍّ،
وحين تستديرُ، إلى الجهةِ الأخرى،
ترفعُ قدماً مطويةً، بعد أخرى،
باتجاه الطقسِ القائظِ، الرّاكدِ،
في حجرةِ عشاءِ المرضى.

25- نكوص

أقلعتُ عن ورقِ الشّاي،
وذاكَ الخطّ المقوّس
فوق راحة الملكة
لم يعد من اهتماماتي.
خلال رحلتي السّوداء،
تلك الكرة من الكريستال
التي يتخلّلها القمرُ
سوف تنكسرُ قبل أن تساعدني،
وبدل أن تنذرَني بنعيبِها
عمّا هو قادم،
غرباني تحلّقُ وتطيرُ.

"احنثي بوعدِكِ،
وبجميعِ حيلِ البصرِ المتجمّدةِ،
وكلّ ما كنتُ قد علّمتُهُ
ضدّ الوردةِ في الدّم.
لا الثروةُ، ولا الحكمةُ،
تعلو فوق الوريدِ البسيطِ،
والفمِ المستقيم.
اذهبي إلى شبابكِ الغرّ
قبل أن ينفدَ الوقتُ،
وافعلي الخيرَ
بيديكِ النّاصعتين".

26- طائرُ النهس

حين يهبطُ اللّيلُ، فاحماً،
تومئُ تلك الأحلامُ الملكيةُ لهذا الرّجلِ،
حتى أنّها تحملُهُ عالياً،
وتقتلعهُ من جانبِ زوجتِه الأرضية،
فيرفرفُ بجناحيه، نائماً،
ضارباً بريشِهِ الهواءَ الفريدَ،
بينما هي، العروسُ الحسودُ،
لا تستطيعُ اللّحاقَ به،
بل تستلقي، بعينين بنّيتين
زائغتين، متضوّرتين،
وترمي اللّعنات من تحت طيّات الشّرشف،
بمخالبِ أصابعها،
وتحرّكُ داخلَ قفصِ جمجمتِها
الصورةَ المنتفخةَ لشريكِها المهاجر،
الذي ضاعَ بين غرباءَ تلوّنَ ريشَهم بالقمر.
توّاقةً، ينبغي أن تنتظرَ حيرى،
الفجرَ الصاخبَ بالعصافيرِ،
حين وجهُها ـ النّهسُ، يمتدُّ
ليفتحَ تلك الجفونِ المطبقة،

كي تأكلَ التيجانَ، والقصرَ،
وكلّ من سرَقَ بعلَها
في بهيمِ اللّيل.
وبمنقارِها الأحمرِ، المدبّب،
تمصُّ آخرَ قطرةِ دمٍ
من ذاكَ القلبِ الشّريد.

27- ترنيمةُ أليكانتي

في بلدةِ أليكانتي يدحرجون البراميلَ
فوق المكعّباتِ الناتئةِ للأرصفةِ،
قبالةَ مطاعمِ الأرزّ الأصفرِ الفاخرِ
تحت شرفات الأزقّة الخلفيةِ المتهالكةِ،
فيما الدجاجُ والديكةُ
أعالي رفوفِ الحديقةِ
تخمشُ السكينةَ بزعيقِها،
وتيجانِها الحمرِ.

حافلاتُ النقلِ، بألوانها الصفراء كاللّيمون،
تزأرُ ناقلةً الركّابَ تحتَ الضبابِ الأزرقِ،
ترغي وتزبدُ تحت أسلاكِ الهاتفِ:
على طولِ الموانئ المهذارةِ يسمعُ العشّاقُ
هديرَ مكبّرات الصّوتِ، يعلو، قادماً
من كلّ نخلةٍ مضاءةٍ بقنديلٍ فوسفوريّ،
حيث ألحان السامبا والرومبا
لا تخطئها الأذنُ.

آهِ، يا جلبةَ الأصوات،
يا ربّةَ الجازِ والشجارات،
يا سيّدةَ المزامير والصنوج،
دعي أنغامك، ومقاماتك،
دعي إيقاعاتك، وألحانك،
نبركِ وتجويدكِ، دعيها تتهادى ...
رأسي فوق الوسادة
(بيانو، بيانو)
على هدهدةِ آلاتِ الكَمان
والقيثاراتِ الهامسة.

28- حلم مع المنقّبين عن الأصداف

هذا الحلمُ تبرعَمَ ساطعاً مع أوراقٍ على الحوافّ،
هواؤهُ الواضحُ غربلتهُ الملائكةُ. المرأةُ عادتْ
إلى منزلِها الأوّل في البلدةِ البحريةِ،
بعدما أدمتْها ووشَمتْها رحلاتُها المملّة.

حافيةَ القدمين، وقفتْ، مصدومةً، من تلك العودة،
بالقربِ من منزلِ الجيرانِ،
حيث الألواحُ الخشبيةُ مصقولةً كالزّجاج،
والستائرُ اسدُلتْ على ذاكَ الصباحِ السّاخن.

لم يقابلْها تغييرٌ يُذكَر: شرفةُ الحديقةِ، طوالَ الصّيف،
تفوحُ منها رائحةُ القطرانِ الذّائبِ،
وهي تنحدرُ باتجاه البحرِ لتغطسَ في الزّرقة.
النارُ البيضاءُ تشرئب في الخلفية،
المشهدُ بكلّيته نهضَ، متوهّجاً،
لاستقبالِ هذه المتسكّعة.

عالياً، صوبَ السّماءِ، تحلّقُ طيورُ النورسِ، بوداعةٍ،
فوق حجراتِ المدّ، حيث أطفالٌ ثلاثة يلعبون صامتين،
يتلألؤون فوق صخرةٍ خضراء، غاطسةٍ في الوحلِ،
حيث ذروةُ فرحِهم الخارقة لا نهايةَ لها.

إزاء الصخرة الخضراء، سفينةٌ جميلةٌ
رستْ، مزخرفةً بأصدافِ الرّخويات.
لقد أبحروا حتى غطّى الزبدُ كواحلَهم،
ثم غرقتِ السفينةُ الجميلةُ،
ودقّت أجراسُ طاقمِها إيذاناً بالعشاء.

عائدةً إلى تلك البراءةِ البعيدةِ،
راحت تمشي، بفستانِ السَفرِ الرثّ،
باتجاهِ الماء، متقدةً بالشّوق، حيث هناك،
نهض منقّبو الأصداف، الواحد تلو الآخر،
من أعماقِ الوحل الدّاكن لمواجهتِها.

كتماثيل شوّهتْها سنواتٌ
أُهدِرتْ على حافةِ البحرِ
ينتظرون، جالسين، وسط
فخاخِ الأشنيات، وحطامِ الموجِ،
ينصبون فخّاً لهذه الفتاة
عند أول نقلةٍ لها في لعبةِ الحبِّ،
والآنَ، بوتدٍ ومذراةٍ يتقدّمون،
في عيونِهم الصلدة كالصوان
تلمعُ جريمةٌ مؤكّدةٌ.

29- إكليلُ الزفاف

ما الذي تشهدُهُ، مع ذلك، تلك الأوراقُ الخضرُ،
سوى ذاكَ الميثاق المبرم لمرةٍ واحدة فقط.
ما يهمُّ صوتُ تلك البومةِ
وهي تنطقُ بكلمةٍ واحدةٍ هي "نعم"،
فيما الأبقارُ تُصدرُ أنيناً خافتاً علامةً على القبولِ.
دعْ تلك الشّمسَ المتدثّرةَ برداءِ السّطوعِ الكهنوتيّ
تقفُ، جامدةً، ثابتةً، كي تُسبّحَ بحمدِ هذين العروسين،
اللذين ينتظرهما فعلٌ أجردٌ، يرأبُهُ الحظُّ مضاعَفاً.

يستلقيان، طوالَ النهارِ، وسطَ دغلٍ
من الأشواكِ الحادّة، حيث العشبُ المحصودُ
يهاجمُ حواسّهما بعبقِهِ الضّائع.
متّحدّين، معاً، كنموذجين صافيين للاستمرارية،
الزّوجان يحلمان بحالةٍ مفردةٍ
من تلك المعركة المزدوجة.
الآنَ، كلماتُ القربانِ المقدّس تُقالُ
لتهدّئ من الوساوس،
عن زواجٍ صُكّ داخلَ أبرشيةِ الحبّ المناسبةِ.

ادعوا، هنا، بألوانٍ مرفرفةٍ، كلَّ الطّيورِ المترقّبة،
لتحطّ بين أغصانِ المقاعدِ (في الأبرشية)؛
ولتشكّل ألسنةُ الحيوانات قوامَ جوقة المنشدين:
"انظروا كيف تتدبّرُ الأجنحةُ
حرسَ الشّرفِ، على كلّ ما تقدّم".
مرصّعاً بكلماتٍ، كالنّجوم، دعوا اللّيلَ
يباركُ ذاك المزيجَ، الضارب بجذوره عميقاً،
في الفألِ الحسَنِ،
كشرابِ البرسيمِ المسكر،
حيث هنا، نائمان معاً كملاكين،
عاشقان اثنان، يتلظّيان بالحمّى، كشخصٍ واحدٍ.

بدءاً من هذا اليوم المقدّس، غبارُ الطلعِ المبثوث،
سوف تذروهُ الريحُ نسلاً نادراً،
حيث كلّ زفيرٍ، يهبُّ،
يجعلُ الأرضَ تخضرُّ نبتاً،
وثماراً، وزهوراً، وأطفالاً، هم الأكثر جمالاً،
يهيئون أنفسَهم كحشدٍ لبذرِ أسنانِ التنين:
ناطقاً بذاكَ الوعد،
ليلتحمَ الجسدُ بالجسدِ، من الآن فصاعداً،
ومع كلّ خطوةٍ، لتُطبِق شهرتُهما الآفاق.

30- نقشٌ على ضريحِ النّارِ والورد

يمكنكَ أن تسحبَ أيضاً
قمّةَ هذه الموجةِ الخضراء فوق السلك
لتتجنّبَ السّقوطَ،
أو تجعلَ الهواءَ الفصيحَ يرسو
داخل ذرّات الفلْز،
وتُحدثَ صدعاً في جمجمتكَ،
لتحرمَ هذين العاشقين، الأكثر هلاكاً،
اللّمسةَ التي ستُشعِلُ حسدَ الملائكة،
أو احرقْ، ثم ارمِ، هذين القلبين المغرمين،
ودعهما يتفحّمان كعودِ ثقاب.

لا تبحثْ عن عينِ الكاميرا الحجرية
كي تقبضَ على دهشةِ كلّ وجهٍ،
بالأبيض والأسود، أو لتضع على الجليدِ
توهّجَ الفمِ، تحسباً لنظراتٍ جديدة.
النجومُ ترمي بتلاتِها،
والشموسُ تهرعُ صوبَ البذورِ.
رغم ذلكَ، يمكن أن تتعرّقَ
وأنت تحملُ تلك الأطلالَ العزيزةَ التي
تكدّستْ كخلايا العسلِ في رأسكَ.

الآنَ، في صلبِ وعودهما، اصغِ مليّاً،
واجعل أذنكَ ساكنةً كصَدَفَةٍ:
اصغِ لعمرٍ من الزُّجاج
يتنبّأ به هذان العاشقان، قبضاً على العناقِ،
لتخليده كلؤلؤةِ المتحفِ، بدلاً من النظرةِ،
على مدى أجيالٍ مذهولةٍ.
ها هما يكافحان معاً
من أجل أن يهزما مملكةَ الرّمادِ
في غضون ساعةٍ واحدةٍ تدقّ،
ثم يحفظان الإيمانَ، سالماً، في أحفورٍ حجريّ.

ورغم أنَّهما يثبّتان الأعصابَ في الصّخرةِ،
ويجعلان من كلِّ قبلةٍ ناراً
يضاهيان بها لهبَ طائرِ العنقاء،
فإنّ دفقَ اللّحظةِ يحركُ الدمَ، سريعاً،
بحيث يصعبُ على الرّغبةِ لجمَ وثاقهِ.
طوال اللّيلِ يسافران عبر اللّهبِ المتأجّج
لدقّات قلبيهما، حتّى يقتلعَ ذاك الديكُ الأحمرُ
براعمَ الشُهبِ المتفتّحة.

الفجرُ يطفئُ ذؤابةَ النّجمة المتفحّمة،
رغم أنّ مغفّلي الحبّ ما يزالان يصرخان
إنَّ الرغبةَ جدٌّ خضراء، وإرهاقٌ من الشَّمع،
يخمدُ الوريدَ مهما حاولتَ، يائساً، إشعالَه.
العقودُ الراسخةُ تتكسّرُ،
وتُطوى في الضّوءِ المتبدّلِ:
الأطرافُ المتوهّجةُ تنفثُ رماداً
في عينِ العاشق، العاشقِ.
النظرةُ المتوقّدةُ تشمُّ الجسدَ بالسّواد،
مخترقةً بياضَ العظمِ، وتلتهم الجميع.

31- بطيخُ المهرجان

في "بنيدورم" بطيخٌ
يملأُ العرباتِ التي تجرّها الحميرُ.

بطيخٌ من أنواعٍ لا تُحصى
بيضاويّ وكرويّ

أخضر ساطعٌ، ناعمٌ
ومزوّقٌ بخطوط شتّى

كالاخضرارِ الداكنِ للسلحفاة.
ولكَ أن تختارَ الثمرةَ ـ البيضةَ، أو الثمرةَ ـ العالمَ،

واحملْ واحدةً إلى منزلكَ ثم تذوّقْها
في تلك الظهيرةِ البيضاءِ الحارّة:

طرية كالقشدة، حلوة كقطراتِ العسلِ،
وجوهرها ورديٌّ خلاّبٌ،

ثم شمّامٌ متورّمٌ ومقشّرٌ
بلبٍّ كالبرتقال.

فِي كلِّ حزٍّ ثمة صفٌّ
من بذورٍ سودٍ أو بيضٍ

تنثرها كقصاصاتٍ ملوّنةٍ
تحت أقدامِ

هذا السوقِ المكتظّ بالمحتفلين،
بالمتبارين بأكلِ البطيخِ، في المهرجان.

32- دمٌ مسفوحٌ

غبارُ حلبةٍ أحالُه دمُ ثيرانٍ أربعةٍ إلى سأمٍ أحمر،
هكذا تصلُ الظهيرةُ إلى نهايةٍ سيئةٍ، أمام وحشيةِ الحشود.
الموتُ الشعائريّ يحدثُ بفظاظةٍ، في كلّ مرةٍ،
بين قبعات منكّسة، وطعنات طائشة،
والإرادةُ الأقوى تبدو إرادةَ استمرارِ المناسبة.
قويّ الجسم، معتمَ الملامح، بسترتِه الصّفراءِ الباذخة،
وزينتِه المزركشة، وضفيرتِه، يمتطي مصارعُ الثيران صهوتَه

مهاجماً الثورَ الخامسَ، غارزاً نبلَه، عميقاً،
في الرّقبةِ المحنيةِ أرضاً. عملٌ روتينيٌّ، لا فنَّ فيه.
غريزةُ الفنّ تبدأُ مع قرنِ الثّورِ، يُرفعُ عالياً،
وسطَ دهشةِ الحشود، في هيئة رجلٍ مقوّس الظهر.
الفعلُ برمّته بليغٌ وشكلانيٌّ كالرّقصةِ.
الدمُ المسفوحُ ينظّفُ الهواءَ الملوّثَ،
ويطهّرُ جفافَ الأرض.

33- الشحّاذون

لا هبوط الليل، ولا النظرة الباردة
تثبطُ عزيمةَ هؤلاء التراجيديين الشغوفين
الذين يصطادون النّحسَ كالتّين والدّجاج.

ولأنهم يتذمّرون من كلّ يومٍ يمضي،
تراهم يشجبونَ بصمةَ الطبيعةِ التلقائية.
أسفلَ الحائطِ الأبيضِ والنافذةِ المغربيةِ

ابتسامةُ الحزنِ الصّافيةُ، التي عفّرها الزّمنُ،
تمسحُ نفسَها، وتنتعشُ
على دراهمِ الشفقةِ.

عشوائياً يقفُ شحّاذٌ بين البَيضِ والأرغفةِ
يسندُ قدماً مبتورةً على عكّازٍ،
يهزّ طاستَهُ النحاسيةَ أمام ربّات البيوت.

بالعَوَزِ والخسارةِ ينقضّ هؤلاء الشحّاذون
على أرواحٍ أكثر حناناً من أرواحِهم،
متصلّبينَ ضدّ الألم، متجاوزين أيّ ضميرٍ حيّ.

هبوطُ الليلُ يحجبُ
الزرقةَ الصافيةَ، والباذخةَ، للميناءِ،
وللمنزلِ الأبيضِ، وبستانِ اللّوز.

الشحّاذون يسبقون نجمتَهم الشّريرةَ،
وبحيويةٍ غادرةٍ، وفوضى عارمة،
يربكونَ الظلامَ، والنظرةَ المشفقةَ.

34- عنكبوت

"أنانسي"، الفضوليّ الداكنُ من كتب الخرافات،
ينزلقُ، تلقائياً، بدافعِ الغريزةِ المحضةِ،
صريحاً في التعبيرِ عن المصلحةِ الذاتيةِ،
كمثلِ مطرقةٍ ثقيلةٍ،
كمثلِ قبضةِ رجلٍ يتأهّب للضّرب،
لكنّكَ، بين معشر الجنّ، أنت الأذكى،
لسردِ حفلاتِ مجونكَ:
تحيكُ الشَبكةَ الكونيةَ،
مغمضَ العينين في مركزِ الحقل.

في الصيف الماضي، التقيتُ ابنَ خالكَ الاسبانيّ،
البارون، ذاكَ اللصّ البارز،
خلف كوخِ الراعي:
بالقرب من صرحِهِ الحجريّ الصغير، فوق دربِ النملِ،
ثلثٌ واحدٌ من حجمِ النملةِ، بقعةٌ من الأرجلِ،
أوقعَ بنملةٍ، بوساطة خيطٍ رفيعٍ، يكادُ لا يُرى.

حول منزلقٍ متراسهِ أطلقَ وشيعتَه الرشيقةَ،
التي راحت تلتفُّ، أضيقَ فأضيقَ،
حول النملةِ، وراح يسحبُها صوبَ الشرنقة،

فيزدادُ ملفّ الخيوطِ الرّمادية قتامةً فوق الحجر،
حيث بعض النمل السّاقط في المصيدة
يلتفّ ويلتفّ، محركاً أرجلَه، طلباً للنجدة،
وبعضه الآخر لا يحرّكُ ساكناً،
تاركاً زملاءَه الأكثر حيويةً يخوضون الصّراعَ المرير.

بعدئذٍ، وبرشاقةٍ قلّ نظيرها،
يعتلي مذبحَه المرصوفَ بالنّملِ الواقع في الأسْرِ
ثم يكبو، حيناً، ناعساً، في مشهدٍ مخيفٍ
لتلك النّظرة البربرية، حيث هناك
يختارُ شهيدَهُ القادمَ في سبيلِ
القضيةِ البذيئة للشّهوة الجنسيةِ.
مرّةً أخرى، وبخفّةٍ سوداءَ
يطبقُ الخناق على سجينِهِ.

النملُ ـ صفٌ ذاهبٌ وصفٌ عائدٌ ـ
ثابرَ على مسارٍ ثابتٍ
لا يعكّرُ صفوَه عائقٌ،
مطيعاً أوامرَ الغريزةِ،
حتى يختفي عن المسرحِ،
ويمسحُهُ على عجلٍ
إلهٌ داكنٌ، رشيقُ الحركة.
مع ذلك، لم يكن هذا
ليردعَ النملَ البتّةَ.

35- العانس

الآنَ، هذه الفتاةُ بالذّات،
خلال نزهةٍ معتادةٍ في نيسان،
مع آخرِ عشّاقها،
وجدتْ نفسَها، على حين غرّة،
مصدومةً من جَلَبة العصافيرِ العارمةِ
وحفيفِ الأوراقِ المتساقطةِ.

تحت وطأةِ هذا التوتّر الذي ألمّ بها،
شاهدتْ إيماءاتِ عشيقِها تخلخلُ الهواءَ،
وقدماه تتسكّعان، هائمتين، على غير هدىً،
عبر بريّة شاسعةٍ من السّرخسِ والأزهار.
اقتنعتْ، فجأةً، أنّ البراعمَ يعتريها الخللُ،
وأنّ الفصلَ برمّته رثّ الملابس.

لكم اشتاقتْ للشتاءِ، إذن! ـ
متقشّفٌ في نظامِهِ،
بالأبيضِ والأسودِ،
بالصّخرِ والجليدِ،
حيث لكلّ عاطفةٍ حدُودها المرسومةُ،

حيث الانضباطُ الصقيعيّ للقلب
يكون دقيقاً كنثرةِ الثلج.

ولكن هنا ـ ثمة تبرعمٌ عنيدٌ
بما فيه الكفاية يوقظُ
حواسّها الملكيةَ الخمسَ،
باتجاهِ ثراءٍ مبتذلٍ ـ
وتلكَ خيانةٌ لا يمكنُ احتمالها.
دعي الحمقى يُصابون بالدُّوار،
في الرّبيعِ الذي يشبهُ مشفى المجانين:
عندئذٍ، وبلباقةٍ فائقةٍ، تنسحبينَ من المشهد.

حولَ منزلِها أقامتْ حاجزاً ضدّ الطقسِ المتقلّب،
كيلا يستطيع أيُّ رجلٍ متمرّدٍ
اقتحامَ دائرتها، بلعنةٍ، أو قبضةٍ،
أو حتى حبٍّ.

36- قافية

لديّ إوزةٌ عنيدةٌ، أحشاؤها معسّلةٌ
ببيوضٍ من ذهبٍ،
مع ذلك ترفضُ أن تضعَ بيضةً واحدةً.
مبهورةً بفطنتِها، كإوزّة، تراها تختالُ
في باحةِ المخزنِ كمثلِ تلك السّاحرات
اللّواتي يغوين الرّجالَ بنظراتهنّ

وتتجعّدُ وجهوهنّ حين يبْتسمن،
يخشْخشْن بأكياسٍ نقودهنّ الكبيرة.
وإذ أتناولُ، أنا، البرغلَ،
تتنعّمُ، هي، بأفضلِ أنواعِ الحبوب.
والآن، حين أشحذُ سكّيني،
تتوسّلُ، هي، طالبةً الصفحَ،
وهذا ما أفعلهُ بتواضعٍ،

إذ أفضّل أن أوجّهَ
تلك الأداة الحادّة إلى نفسي
قبل التفكير بالربْحِ
من فعلٍ أرعنَ كذاك، ولكن -
يا للرّيش كيف يتوهّجُ!

من فتحةِ دخانيةٍ
تتطايرُ نثراتُ الياقوت.

37- رحيل

أخضر ثمرُ التّينِ على شجرةِ التّينِ في الباحةِ،
وأخضر، أيضاً، العنبُ على داليةِ العنب،
التي تظلّلُ أعمدةَ الآجرّ الحمراء.
لقد نفدتِ النقودُ.

وإذ تشعرُ الطبيعةُ بهذا، تراها تضاعفُ مراراتها.
بلا موهبةٍ، وبلا حزنٍ، نقولُ كلماتِ وداعِنا.
الشّمسُ تشرقُ على أقراطِ الذّرة التي لم تنضجْ.
القططُ تلعبُ بين الرّفوف.

التذكّرُ لن يلطّف من ذاكَ الشحّ البتّة ـ
نحاسُ الشّمسِ الأصفرُ،
والطلاءُ الفولاذيّ العتيقُ للقمر،
والنفاياتُ الرّصاصيةُ للعالم ـ

جميعها تكشفُ
أنّ الامتدادَ الصّخريَّ الضامرَ
الذي يحمي الميناءَ الأزرقَ كالدّرع،
وفوقه تتكسّرُ أختامُ البحر،
هذا الامتدادُ باتَ ضارياً ومتوحّشاً بلا نهاية.

مكشوفاً لطيورِ النّورس، ثمة كوخٌ حجريٌّ
يبسطُ عتبتَه الواطئةَ في وجهِ الرّيحِ العاتيةِ،
حيث، عبر نتوءاتِ الصّخرِ المؤكسدة،
تتعثّرُ، متثاقلةً، قطعانُ الماعزِ
وهي تلعقُ بألسنتِها ملحَ البحر.

38- العاطفة الثملة

مفترشةً الوحلَ تحت يافطةِ العرّافة،
في قبضةٍ من دمٍ، العذراءُ التي تغمغمُ في نومِها،
تشنقُ بلعناتِها رجلَ القمرِ،
ذاك اللوطيّ، الشاذّ، جاك،
في بيضتِهِ التي لا تنكسر:

موثوقاً إلى برميلٍ أحمر من النّبيذ،
يجلسُ ثملاً من نهمِ الشراب،
حبلُ سرّته بلا ألم،
ولكن مقابل جسدٍ مخاطٍ بالدبابيس
الفتياتُ بأذيالِ السمكَات
يبتعْن كلّ ساقٍ بيضاء.

39- عزيمة

يومٌ من ضباب: يومٌ بلا بريقٍ.

بيدين عاطلتين
أنتظرُ
حافلةَ الحليبِ.

القطّةُ ذاتُ الأذنِ الواحدة
تلعقُ كفّها الرّماديّة

ونيرانُ الفحمِ تحترقُ.

في الخارجِ
أوراقُ سياجِ الأيكةِ
تميلُ إلى الاصفرارِ
وثمة غبشٌ أبيض
يعكّرُ زجاجات الحليب الفارغة
خلف زجاجِ النّافذة.

لا مجدَ يهبطُ

وثمة نقطتان من الماء
عالقتان على ساقٍ خضراء مقوّسة
تنبتُ بين دغلِ الحبقِ، في منزلِ الجيران،

آهٍ، يا قوسَ الأشواك،

القطةُ تُنشبُ مخالبَها
والعالمُ يلتفتُ.

اليومَ،
اليومَ لن أحرّرَ من السّحرِ
اثني عشر مستجوباً حضروا بمعاطفِهم السّود،
أو أُشهِرَ قبضتي
في وجهِ الرّيحِ العاتيةِ.

مكتبة
t.me/t_pdf

40- مالكو الأرض

من شرفتي المستأجرةِ حيث لا أرضَ
أدعوها أرضي سوى ذرّاتِ الهواءِ،
أبصرُ، من منظوري الرّصاصي الكئيبِ،
بيوتَ الآجرّ الرّماديةَ المتشابهةَ،
وقرميدَ السطوح الأرجوانية،
وأصصَ المداخن الأرجوانية،
ثم أرى ذاك البيتَ الأوّلَ،
قابعاً بين المرايا، عاكساً ردهةً سرابيةً
من صورِ مستنسخةٍ فارغةٍ
لأناسٍ يحتشدون على غير هدىً.

بيد أنّ مالكي الأرض
يملكون جذورَ الملفوفِ، ومساحةً من النجومِ،
وسلاماً متأصّلاً. هذا الجوهرُ
يجعلُ ملءَ عيني من الصُّور
رؤىً لذاك الشّبحِ الحسودِ
الذي يعرّفُ الموتَ جذراً ضارباً
في خطّ الحراثةِ الأوحدِ،
والحياةَ تجوالَه المتلاشيَ في الضّباب.

41- الآنسة "إيلاّ ماسون" وقططها الأحد عشر

العجوزُ "إيلاّ ماسون" تربّي القططَ،
التي بلغتْ أحدَ عشرَ، في آخرِ إحصاءٍ،
في منزلها الآيلِ للسقوط قبالة شارع "سومرسيت".
الناسُ، كلّما رأوا مأوى جارتِنا العجوز،
استفسروا قائلين: "ثمة خَبلٌ ما، لا ريبَ،
يحيقُ بامرأةٍ تربّي كلَّ هذه القطط".

ورديةَ الوجهِ، وناصعةَ البشرة،
لكنّ صوتها لا يخلو من صفيرٍ وحشرجة،
تلعبُ "إيلا ماسون"، لسبب غير مفهوم،
دورَ المضيفةِ لـ"تابي" و"توم"، وأكثر،
إذ تقدّم القشدةَ وأحشاءَ الدّجاج
لقططِها النّهمةِ الجائعة.

حكاياتُ القرية تقولُ، في الأيام الخوالي،
كانت "إيلاّ" تتجوّلُ حرةً
نحيلةَ القدِّ، وقحةَ المزاجِ، متغطرسةً،
كحسناء جميلة تواكبُ الموضةَ
وتذبحُ العشاق بعينيها الياقوتيتين.

أما الآن، فقد أضحتْ سمينةً، وعانساً،
تغلق بابَها في وجهِ الجميعِ، ما عدا قططها.

ذات مرّةٍ، كنّا، نحن الأطفال، نتجسّسُ على الآنسةِ ماسون،
بينما كانت تأخذُ إغفاءةً في مطبخِها، بين الصّحون والأواني.
فوق أغطيةِ الكراسي، وأعلى الطّاولات، وعلى رفوفِ الخزانة،
رأينا القططَ تتمدّدُ بكلِّ وقاحةٍ:
مواءٌ أجشٌّ جافّ ينطلقُ من فروِ حناجرِها:
يا لها من قططٍ جهوريةٍ!

بالسخريةِ والقهقهةِ، ونحن على أهبةِ الهرب دائماً،
كنّا نختلسُ النظرَ عبر فتحاتِ البابِ المتهالكِ
إلى الحدقاتِ الصفر للقططِ الحارسة
التي تتحلّقُ حول صنمِها،
فيما العجوز "إيلاّ" تكبو
بوجهٍ أملس، ودهاءٍ غابر:
إنها ملكةُ القطط ـ إنها أبو الهول.

"انظروا! ها قد أتتْ سيّدةُ القططِ، ماسون!"
كنا نتهامسُ كلما رأيناها تعبرُ شارع سومرست
في طريقِها إلى السّوق، من أجل حيواناتِها العزيزة،

تزدادُ سمنةً وقذارةً مع كلّ فصلٍ.
"الآنسة إيلا أصيبتْ بالخَبَلِ
بعد اقتنائِها أحد عشر قطاً"

مع مرورِ الوقتِ صارتْ أكثرَ لطفاً،
وبتنا نلمحُ اخضرارَ نظرتِها، وعزلتِها،
وهي تنظرُ إلى الفتياتِ اللّواتي يتزوجنّ -
رشيقاتٍ، رزيناتٍ، لا يحتجْنَ للدروسِ،
عازباتٍ، تائهاتٍ، عبر ليالي الزّفاف،
لكنهنّ عاثراتُ الحظّ كالقططِ البرّية.

42- قارئةُ الكريستال

تجلسُ "جيرد" خلف مقودِ مغزلِها داخل حجرتِها المظلمة
بوجهِها الضامرِ، الذي اكتسبَ سمرةً صفراء مع السنين،
وبشرتها التي شفّتْ وجفّتْ حتى التصقتْ بالعظمِ،
بسبب مهنتِها القاسيةِ تلك. بلا وشمٍ للوقتِ،
الكرةُ المتلألئةُ ترمي لهباً بين يديها،
كمثلِ عدسةٍ تمزجُ الآفاقَ الثلاثةَ للزمن.

اثنان يدخلان، ليجرّبا حدسَها، زوجان أخضران،
أورقا توّاً في تبادل العهدِ بالعهدِ: "هيا، قولي،
كيف سيكون حالُنا معاً؟ هل حظوظنا سيئةٌ أم حسنةٌ؟"
تلقي "جيرد" نظرةً مائلةً على كلٍّ منهما: حميمان هما،
الواحد تجاه الآخر، عِرقٌ صالحٌ في وجهِ الأنواء الصعبة.
بتؤدةٍ تغزلُ كرتها وتقولُ:

"أرى شجرتي تفّاحٍ راسختين
أغصانُهما متداخلة، متشابكة،
وحولهما تنمو شتلاتٌ صالحةٌ. لهذا المنزلِ
ستجلبُ أيامُ الرّغدِ محصولاً وافراً،
ومع الرّيحِ العليلةِ يأتي قطافُ الثمار".

"لا مصاعبَ، إذن؟" يسألُ الرجلُ.
"سنخوضُ كلَّ امتحانٍ، إذا كان ما قلتِهِ صحيحاً".
وتردّدُ عروسَه الكلمات ذاتها. عندئذٍ،
تغزلُ "جيرد" كرتهَا، التي تزدادُ توهجاً:
"عاصفةٌ هوجاء"، تقولُ،
"يمكن أن تلحقَ أذىً بأحدِ الأغصان الغضّة،
لكنها سوف تمتّنُ، فيما بعد، الأيكةَ برمّتها".

يدفعُ هذان العروسان أجراً زهيداً،
ثم يخرجان إلى الهواءِ، المزدانِ بنقودِ الشّمسِ،
متلهفّين لتذوّقِ نكهةِ نجاحِهما معاً.
أما جيرد فبقيت وحيدةً، تشبهُ المومياءَ،
تتفحّصُ حجرَ نبوءتِها، الذي منحها، يوماً،
بصيرتَها الأولى عن هذه الدقيقةِ بالذّات.

بعدئذٍ، كطفلة ضائعة، هائمة على وجهها،
اشتاقت "جيرد" لأن توسّعَ أفقَ بصيرتِها، وتتجاوزَ
أيّ فطنةٍ أُعطيتْ لامرأةٍ: وكي تتنبّأ بإخلاصِ عشيقِها،
وحظّهما المشترك معاً، تجرّأتْ على لعنةٍ تصيبُ الكنيسةَ،
وتلغي ذاك القسَمَ المشروخَ
الذي يجعلُ المرءَ يستأجرُ شيطاناً.

برقٌ، يشبهُ الألعاب النارية، شقّ ظلامَ اللّيلِ:
إرادةُ الله رستْ في تلك النظرة
التي تكثّفُ شموسَ الوقتِ في بوتقةٍ واحدة
كي يتسنّى للشحّاذة "جيرد" أن تصوّبَ نظرتَها
على كائناتٍ مرعبةٍ تملكُ القوّةَ لتحيلَ إلى حجرٍ
قلوبَ أولئك الذين اخترقوا حجبَ الوقتِ.

ما رأتهُ "جيرد" أنهكَ عقلَها،
كمثلِ قمرٍ أصابَهُ الطاعون:
البراعمُ تفحّمتْ حتّى الجذور،
والنيرانُ أطاحتْ الحبَّ نحو نهايتِهِ الحزينة ـ
ثابتاً في مركزِ الكريستال، ومبتسماً بشراسةٍ:
أطلّ الموت في الأرضِ،
برأسِه الأخضر، أبداً.

43- مقبرة تشرين الثاني

المشهدُ ينتصبُ عنيداً: شجرٌ شحيحٌ
يدّخرُ أوراقَ العامِ الفائتِ، لا يحزنُ،
يرتدي خيشاً، أو يصغي لحورياتِ الشّجر الباكي،
والعشبُ الصارمُ يحرسُ ياقوتَ جوهرِهِ العشبيّ.
عقلٌ مفطورٌ على المبالغة،
يمكن أن يحتقر فقراً كهذا:

صيحاتُ الموتى لا تجعلُ براعمَ النسيان
تورقُ بين الشواهدِ، وتشقّ أرضَ القبور.
هنا نخرٌ صادقٌ يخلعُ شغافَ القلب،
ويحلجُ العظمَ عن العروق المتخيّلة.
حين يظهرُ هيكلٌ عظميٌّ واحدٌ
تخرسُ ألسنةُ جميعِ القدّيسين:
الذبابُ لا يرى قيامةً تحت الشّمس.

باتجاهِ الأفقِ الجوهريّ حدّقْ،
ثم حدّقْ حتى ترسمَ عيناك رؤيا تتوهّجُ في الرّيحِ:
ومهما يكن كبيراً غضبُ الأشباحِ الضائعةِ،
الملعونةِ، وهي تولولُ في الأرضِ البورِ،
قاومْ بشدّة دِينَ العقلِ المتضوّر،
الذي يملأُ الغرفَ العاريةَ
ويفرشُ الهواءَ الخاوي بالأوهام.

44- غرابٌ أسود في طقسٍ ماطر

على غصنٍ يابسٍ، في الأعلى هناك،
يحطّ غرابٌ أسود مبلولٌ،
يفلّي، ثم يفلّي، ريشَه تحت المطر.
لا أتوقّعُ معجزةً أو صدفةً
تضرمُ النّارَ في المشهدِ أمام عيني،
أو تكتشفُ في المطر المنهمرِ حبكةً ما،
بل تدعُ الأوراقَ تسقطُ مثلما تسقطُ،
بلا مغزىً أو رمزٍ.

ورغم أنّي أرغبُ ـ أنا أعترفُ ـ
بأن أسمعَ السماءَ البكماءَ، بين الحين والحين،
تبادلُني بعضَ أطرافِ الحديثِ، لكننّي، حقّاً،
لا يمكنُ أن أحتجّ أو أتذمّر:
ضوءٌ ثانويٌّ ما
يمكنُ أن يشيعَ اتّقاداً

من طاولةِ المطبخِ أو الكرسيّ
كأنّ احتراقاً سماوياً هيمنَ
على أكثرِ الأشياءِ جلافةً ـ
من هنا تبجيلُ فاصلٍ ما
لا قيمةَ له في سياقٍ آخر

من خلال إغداقِ السخاء، أو الشرف
أو قد نقول الحبّ. مهما يكن الأمر،
أنا، الآن، أمشي متيقّظةً، (إذ قد يحدثُ أمرٌ ما
حتى في هذا المدى المضجرِ، والمحطّم)،
أمشي مرتابةً، حصيفةً مع ذلك،

جاهلةً بما سيرميه الملاكُ أمامي
على حين غرّة. كلّ ما أعرفُهُ
هو أنّ الغرابَ الذي يمشّطُ ريشَه الفاحمَ،
بكلّ هذه التلألؤ، بحيث يسلبُ حواسّي جميعاً،
يجعلني أفتحُ عينيّ على وسعِهما،
ويوفّر هدنةً قصيرةً مع الخوف،
خوفِ الحياديةِ الكلّية.

بالحظّ، شاقةً طريقي بعنادٍ،
في هذا الفصلِ من الإرهاقِ،
سوف أجمعُ شتاتَ المضمون بطريقة ما.

المعجزاتُ تحدثُ،
إذا كنت ميالاً لأنّ تسمّي
تلك الشذراتِ المتقطّعة من الوهج بالمعجزات.
ها قد بدأ الانتظارُ من جديدٍ،
الانتظارُ الطّويلُ لذاكَ الملاكِ،
ولهبوطِهِ العشوائي النّادر.

1957

45- رجلُ الثّلجِ فوق اليباب

متعادلة، تقفُ جيوشُهما براياتِها الممزّقة:
المرأةُ، فرّتْ هاربةً من الحجرةِ،
ترفلُ بوابلٍ من الشّتائمِ والإهانات،

هجرتْهُ غاضبةً جداً، تحدّقُ بانشداهٍ
إلى مدفأةِ الفحمِ: "تعالَ، واعثرْ عليّ"،
كانت تلك كلماتُ التوبيخِ الأخيرةِ. لم يلحقْ بها

بل ظلّ جالساً يحرسُ ميدان المعركة.
خلفَ عتبةِ البابِ زهورها الأقحوان،
الهزيلة، الذابلة، المقطوعةِ الرأس،

حذّرتْها كي تبقى في الدّاخلِ، مطواعةً، حصيفةً،
وأن لا تسرعَ بالخروجِ
إلى أفقٍ

من التلالِ الجرداءِ التي تسوطُها الريحُ، ويكسوها الضباب.
لكنّها هرعتْ خارجةً من المنزلِ
متواريةً كالشّبحِ

عبر أرضٍ بورٍ يغطّيها الثلجُ
محروثةٍ بمخلبِ غرابٍ وسكّةِ أرنب:
ينبغي أن تستعيدَه راكعاً على ركبتيهِ -

دعْهُ يرسلِ الشرطةَ والكلابَ لإرجاعِها.
مهدّئةً من غضبِها
في قفرٍ أجردَ يصفرُ،
فوق نتوءاتِ حجرٍ داكنٍ

ها قد أتتْ إلى حافّة العالمِ،
تنادي جحيماً لترويضِ رجلٍ جامحٍ،
يشاركُها حصارَها.

ليسَ الماردُ الذي ينفثُ ناراً
بذيلٍ متشعّبٍ يخرجُ حاراً
من كومةِ ثلجٍ متوهّجةٍ في اليباب

ماردٌ يحملُ امرأةً بمهمازٍ وسوطٍ،
بحجمِ الكبرياء: كلاّ، بل عملاقٌ جلفٌ،
أبيض كالجثّة، بعضلاتٍ رهيبةٍ،

يتنهّدُ في المدى، رأسُه مصكوكٌ من حجرٍ،
شاهقاً كالسماء، حيث الثلجُ
يندفُ من لحيتهِ الرّاجفةِ،
وتحت ارتجاجِ دعستهِ،

مئات العصافيرِ تسقطُ
ميتةً في الأدغال: ها إنّها لم تشعرْ
حبّاً في عينيهِ،

الأسوأ ـ رأتْ جماجمَ نسوةٍ مقطّعة
تتدلّى من أسياخِ حزامهِ:
ألسنتهنّ الجافّة تنطقُ، باكيةً، بآثامهنّ:

"ذكاؤنا جعلَ الملوكَ يتصرّفون كحمقى،
وسلبَ الرجولةَ من أبناءِ الملوكِ. مهاراتُنا
أدخلتِ الحبورَ إلى حجراتِ القصر:

وبسببِ هذا التبجّح ها نحن نرسفُ بأغلالٍ فولاذيةٍ".
فوق عرشٍ صلدٍ من الثّلج الكثيفِ،
وقفَ العملاقُ يزأرُ، تتدلّى منه ميدالياتُه الثرثارة.

من هولِ رميةِ فأسٍ
مالتْ منحرفةً إلى جهةٍ أخرى: فورانٌ أبيض!
العملاقُ، الذي كان يطاردُها، صار دخاناً.

فجأةً اعتراها شعورٌ بالتواضعِ، وعادتْ أدراجَها
باكيةً إلى منزلِها، تطفحُ بالكلامِ اللّطيفِ،
والطّاعةِ الوديعة.

46- زهرةُ أيّار

عبر شتاءٍ أسود، قاومَ الزعرورُ الأحمرُ
هجمات الرّيحِ الثلجية من السّماءِ الصّارمة،
وأثبتَ، ساطعاً كقطراتِ الدّم، أنّ الغصنَ الشجاعَ لا يموتُ
إذا كان الجذرُ راسخاً، والعزيمةُ متينةً.
الآن، بما أنّ النسغَ يصعدُ قبّةَ الغابةِ
يبهرُ نظرَنا كلُّ سياجٍ ببراعمِهِ النّاصعةِ،
كأنها بزغَتْ من عصا يوسف، مبرهناً
أنّ الجمالَ يولدُ دائماً من القسوة.

وهكذا، حين اختارَ نسلُ الجزيرة الصلدُ ضريبةَ
موقدِ الوطنِ، لشقِّ طريقٍ أمامَ المهاجرين،
عبر أثلامِ المحيط الأطلسي، الداكنة، الغامضة ـ
تذكّروا الرذاذ النّاصعَ، المنتصرَ
فوق أغصانِ الزّعرورِ الشوكيةِ، بقدرتِها على التحمّل،
وسمّوا سفينتهم على اسمِ زهرةِ أيّار.

47- أنثى الخنزير

اللهُ وحدهُ يعلمُ كيف استطاعَ جارُنا
أن ينجبَ خنزيرتَه العظيمةَ:
مهما كان سرّه، فقد أبقاهُ طيَّ الكتمانِ

تماماً مثلما أبقى الخنزيرةَ طيَّ الكتمان،
متواريةً عن نظرات العامةِ،
وشرائطِ الجوائز، ومعرضِ الخنازيرِ.

لكن، ذاتَ غسقٍ، قادتنا أسئلتُنا للتجوالِ
عبر متاهةِ مخازنِهِ المضاءةِ بالقناديل،
وصولاً إلى عتبةِ بابِ الزريبةِ المتهاويةِ

وحدّقنا ملياً في المكان:
لم تكن قطعة خزفٍ صينية مزخرفة بالوردِ وريشِ الطيرِ،
وترضعُ حليبها من فتحةٍ صغيرةٍ كحجمِ البنس،

إرضاءً للأطفالِ البخلاء، أو خنزيراً مغفّلاً
صار جاهزاً للمساومةِ
من أجل لحمِهِ الغضِّ، ونكهتِهِ الذهبيةِ،

بهالةِ البقدونس، بل إنّها لم تكن حتّى واحدة
من خنزيراتِ المخازنِ المألوفة،
معفّرةً بالوحلِ، شعثاء المظهرِ

تطحنُ الشوكَ بخرطومِها، وتدرّ
وابلاً من حليبٍ في أثناءِ حركتِها،
محاطةً بزبالةِ صغارِها،

وهم يتدافعون نحو جسمِها الثقيلِ
لأخذِ رشفةٍ من حلمةِ ثديها المتورّد. كلاّ.
هذه الضخامةُ العجيبةُ من اللّحم

لخنزيرةٍ منفوخةِ البطن، فوق ذاك الخليطِ الأسودِ،
بعينين متورّمتين، كانت ضرباً من الوهم.
أية رؤيا تلك أو هالة عن جنسِها العتيق

أحاطتْ، كلّياً، بهذه العجوزِ العظيمة! ـ
خيالُنا تصوّر فارساً،
يرتدي خوذةً ودرعاً

سقطَ عن ظهرِ حصانه، ممزَقاً إرباً فوق ساح المعركة،
بسببِ خنزيرٍ، مرعبِ الملامحِ،
خرافيٍّ، بما يفوق التصوّر، ينسفُ حرارةَ تلك الخنزيرةِ!

لكنّ فلاّحنا أطلقَ صفيراً، بعدئذٍ، وبقبضةٍ مداعبةٍ،
ضربَ عنقَ ذاكَ البرميل،
فأطلقت الأيكةُ الخضراءُ

زفرةَ خنزيرٍ، تاركةً الخرافةَ تسقطُ كطينٍ جافّ
بطيئة، نخيراً فوق نخيرٍ،
هناك في الضّوء الرّاجفِ، لتصوغَ

نُصباً
يضجُّ بكائناتٍ نهمةٍ، مثل ذاك الأبلهِ الخنزير،
الذي تسبّب بجعلِ الصبيّ
الضامرِ في المطبخ ينزلقُ أرضاً،

ولأنه لا يتقيّدُ بأيّ رادعٍ
راحَ يعفّرُ بطعامِ الخنازيرِ
كهوفَ البحارِ السّبعةِ،
وكلَّ قارّة ترتجُّ بالبراكين.

48-"الإثنين" الاثنين الأزلي

"سيكونُ لكَ يومَ الأثنين أزلياً
وستقفُ أنتَ على القمر"

رجلُ القمرِ يقفُ داخل صومعتِه،
محنياً تحت كومةٍ
من العيدانِ. الضوءُ يسقطُ بارداً وأبيضَ
فوق غطاءِ سريرِنا. أسنانه تثرثرُ
بين تلك الذرى المجذومةِ،
وحفرِ البراكينِ الخامدةِ تلك.

هو أيضاً ضدّ الصقيعِ الأسودِ
يلتقطُ عيداناً، ولا يهنأُ له بالٌ
حتى تبزَّ غرفتُه المضاءةُ ألقاً
شبحَ الشّمسِ نهارَ الأحدِ.
الآنَ، من لدنِ أيامِ الأثنين
يبتكرُ جحيمَهُ فوق كرةِ القمرِ،
بلا نيرانٍ، حيث سبعةُ بحارٍ باردةٍ
تظلّ موثوقةً إلى كاحليهِ.

49- انحداراتٌ قاسية

كأنّهما من الصوّان. قدماها تصنعان
خفقاً من الأصداءِ في الشّارعِ الفولاذيّ،
ساحبةً إليها التواءاتٍ قمريةً زرقاء،
من البلدةِ الدّاكنةِ المشادةِ من الحجر،
حتى أنّها سمعتِ الهواءَ السّريعَ يُشعِلُ
صواعقَه، محدثاً فرقعةً من الأصداء

تتردّدُ من حائطٍ إلى حائطٍ
في الأكواخ الواطئة المظلمة.
لكنّ الأصداءَ سرعانَ ما همدتْ خلفَها
ما إن رأتْ، وراء الجدران، الحقولَ،
والغضبَ اللامتناهي للعشبِ،
نائماً في ضوء قمرٍ مكتملٍ:

صهواتُه تعبثُ فيها الرّيحُ، التي لا تتعبُ،
فيما بحرٌ مقيدٌ إلى قمرٍ يدورُ حول جذورِهِ.
وإذْ شبحٌ ينهضُ بغتةً من غياهبِ الضّباب،
من الوادي المثخنِ بالأخاديدِ، رافعاً كتفيهِ عالياً،
لكنّه لم يكن يشبهُ أيّ شبحٍ بملامحَ مألوفة،

حيث لا مفردةَ، ولا اسمَ، يمكنُ أن تصفَ
المزاجَ الخاويَ الذي وجدتْ نفسَها فيه.
ما إن غادرتِ القريةَ المأهولةَ بالحلم،
لم تشأ عيناها النظرَ إلى أيّ حلم،

هكذا فقَدَ غبارُ رجلِ الرّملِ وهجَه
تحت سيّورِ قدمِها. الرّيحُ الطّويلةُ، التي هبتْ،
صيّرتْها قبضةً من لهب،
وتفختْ صفّارتها المهمومةَ في طبلة أذنها،
وكتاج زهرةِ الملفوفِ المقطوفةِ،
رأسُها تتوّجَ بالضجيجِ.

كان كلُّ ما أعطاهُ اللّيلُ لها
لقاء الهديةِ التافهةِ لجسدِها ولدقّات قلبِها،
الحديدَ المقوّسَ للامبالاة فوق تلالهِ
وفوق مروجِهِ المحاطةِ بحجارةٍ سودٍ،
تكدّستْ فوق حجارةٍ سود.

كانت المخازنُ تحرسُ الصغارَ ومهادنَ التبن
خلف الأبواب المغلقة، والقطيعُ الصبورُ
يركعَ فوق المروجِ، أبكمَ كمدماك الحائط،

والأغنامُ تكبو نحو الصخرِ المائلِ،
بصوفِ جلودِها، والعصافيرُ، التي تغفو فوق أغصانِها،
حين ارتدتْ ريشاً من الغرانيت،

وارتدتْ ظلالها هيئةَ الأوراق.
بدا الأفقُ بالمطلق نذيرَ شؤمٍ
مثلما كان العالمُ القديمُ يوماً
في تأرجحِهِ الأوّلِ بين الطّاقةِ والنّسغِ،
ولم يكن قد تبدّلَ بالأعينِ.

وهذا كان كافياً لاستنشاقِ حرارتِها الصغيرةِ،
ولكن قبل أن يفتّتها ثقلُ الحجارةِ، والتلالُ الصخريةُ،
إلى ذرّاتٍ صغيرةٍ، في ذاك الضوء الحجري،
عادتْ أدراجَها من حيث جاءتْ.

50- النحيلون

هم دائماً معي، النحيلون
بهيئاتِهم الثّانوية، كأولئكِ الرّماديين

على شاشةِ السينما. هؤلاء
ليسوا حقيقيين، كنّا نقولُ:

هذا صحيحٌ فقط في فيلم ما، حين كنّا صغاراً
أو فقط في الحربِ، بافتتاحياتٍ شريرة تقولُ،

كيف أنّهم تضوّروا جوعاً وصاروا ضامرين،
ولن يعرضوا أعضاءَهم الهزيلةَ، كسويقاتِ النبات،

رغم أنّ الحرب انتهتْ
وانتفخت بطون الفئران تحت الطاولات اللئيمة.

فقط خلال معاركِ الجوعِ الطّويلةِ
وجدوا موهبتَهم لتحمّلِ نحولهم،

ليزورونا، لاحقاً، في مناماتِنا السيئة.
خطرُهم ليس سلاحهم، أو إهاناتهم،

بل صمتهم النحيل. يرتدون جلودَ الحميرِ
الموبوءة بالبراغيث،

لا شكوى لديهم، دائماً يحتسون الخلّ
من أكوابٍ نحاسيةٍ، ودائماً تلفّهم

الهالةُ العنيدةُ للضّحيةِ العاثرة الحظّ.
لكنهم نحيلون جدّاً،

ونسلٌ بريٌّ كهذا لا يمكنُ أن يبقى في الأحلامِ،
وهؤلاء لا يمكن أن يبقوا ضحايا خرافيين،

في البلدِ المنكمشِ للعقلِ، على الأقلّ،
ليسَ أكثر من تلك المرأةِ العجوزِ في كوخِها الطيني،

تظلّ تقطّعُ لحمَ الضأن
من خاصرة القمرِ المعطاءِ،

ما إن ينزلْ إلى باحةِ دارِها، ليلاً،
وتظلّ سكّينُها تقشرُ القمرَ

حتى يصيرَ لحاءً من ضوءٍ صغيرٍ.
النحيلون لم يبْروا أنفسَهم بالمبراةِ

حين يزرقُّ الفجرُ الرماديّ أو يحمرُّ
وينجلي وجهُ العالمِ ليطفحَ اللّونُ.

هؤلاء مستمرّون في الحجرةِ المضاءة:
زهرُ الملفوفِ، وزهرُ العنبرِي، فوق إفريز الجدارِ

تميلُ للشحوبِ أمام ابتساماتِهِم النحيلةِ،
ومتاعِهم المتلاشي. وكيف يسندُ بعضُهم بعضاً!

لسنا نملكُ سهوباً، عميقةً وغنيةً بما يكفي،
تصلحُ حصوناً لمواجهةِ كتائبهِم العنيدةِ.

انظرْ كيف يعرى لحاءُ الشجرِ
ويفقدُ ألوانَه البنّيةَ

إذا وقفَ النحيلون في الغابةِ
جاعلين العالمَ نحيلاً كعشٍّ الدبّور،

وأكثر رماديةً، حتى وهم لم يحرّكوا عظامَهم بعدُ.

15- عن صعوبةِ استحضارِ حوريةِ الشَجر

العقلُ المتفاخرُ، متجوّلاً عبر خردواتٍ كثيرة،
من أقلامٍ مبريّةٍ، وفناجين قهوة مزينّة بالزّهور،
وطوابع بريدية، وهسيس كتبٍ مكدّسة،
وصياحُ ديكِ الحيّ ـ وكلّ أصداءِ الطّبيعةِ السخيّة،
هذا العقلُ يرفضُ هبّاتٍ ارتجاليةً معسّلةً من الرّيحِ،
ويصارعُ، جاهداً، لفرضِ قوانينِهِ
على ما هو كائنٌ.

"بتخيّلاتي فحسبُ"، يتبجّحُ الرأسُ العنيدُ،
متعجرفاً بين فضاءاتٍ ناعبةٍ بألسنةِ الغربان،
ومروجِ الأغنامِ الخضرِ، والشلاّلات ذات الزعانف،
"سوف أبتكرُ أزمةً تصعقُ رحابةَ السَّماء بالسَّواد،
وتدفعُ نحو حافةِ الجنونِ
سمكَةَ السلمونِ، والديكَ، والحمَلَ،
تلكَ الكائنات التي تظلُّ هادئةً جداً
إزاءَ نظرتي الحسودة،
لأنّهامكتفيةٌ بذاتها".

ولكن لا هراءَ من ملائكةٍ خضرٍ
تلوّنُ، بالتوهّجِ الورديّ، العينَ الرثّةَ.
"مشكلتي، يا دكتور، أنّني أرى شجرةً،

وتلك الشجرة الملعونة، كثيرة الوساوس،
لا تلعبُ الحيلَ لتخدعَ البصرَ:
"مثلاً، بمزقةٍ من ضوءٍ
تخترعُ حوريةً (اسمها دافني، إلهة شجرِ الغار) ـ
لكنّ شجرتي تظلُّ شجرةً.

"لكنني، بعنادٍ أنزعُ اللحاءَ، والجذعَ،
طوعاً لإرادتي العذبة، ولكن لا طيفَ يخرجُ،
لا وهجَ يكلّلُ عينَه، يدَه، حوضَه،
ويخدعَ، بمظهرِهِ الكاذبِ، الأرضَ الصّادقةَ،
التي ترفضُ بازدراءٍ أوهاماً عن الحوريات.
الرؤيا الباردةُ لا تقبلُ تمويهاً
يتكدّسُ فوقها كالطلاء.

"لا شكّ الآن في السقوطِ المملوءِ بالأحلام،
الشخصُ المولعُ بالقمرِ، المحظوظُ بالنّجوم،
يراقبُ ببراعة وخفّةٍ سيدتي المهاجرةَ
وهي تبدّدُ النقودَ، والوهادَ المرصوفة بورقٍ ذهبيٍ،
حيث الهواءُ الثريّ يهبُّ مسكوناً بالبذار،
بينما هذا الدماغُ المتسوّلُ
لا ينجبُ أيةَ حظوظٍ تُذكر،
ولكن من عشبةٍ، ومن وريقةِ شجرٍ،
يسرقُ كاللصّ ما يملكُهُ".

52- عن جمهرة الحوريات

حين سماعي لقدّيسٍ أبيض يهذي
عن الجمالِ الجوهريّ الخالص،
الجمال المرئي للقلبِ المثالي،
رميتُ نظرةً إلى شجرةِ تفاحٍ
فازتْ بحبّي كلّه بسبب أكثر
من عقدةٍ ونتوءٍ فوق لحائِها.

من دون مأكلٍ أو مشربٍ جلستُ،
بينما خيالاتي تتضوّرُ، أحاولُ أن أكتشفَ
تلك الشجرة الميتافيزيقية التي خبّأتْ
عن نظراتي الدنيوية شريانَها السّاحرَ
داخل سحيقِ الخشبِ الصّلدِ
بحيث لا يمكنُ للفأسِ أن تقطعَه.

ولكن قبل أن أغلقَ الحسَّ
وأرى بروحي الصّافيةِ وحدها
سحرتْ لبّي كلّ انحناءةٍ
وكلّ لطخةٍ، وكلّ ثؤلولٍ،
وبانتْ أكثر جمالاً من أي جسدٍ
تبقّعُه أختامُ الحبّ.

أسعى لأن أمخرَ عبابَ الأوراقِ
وأفهمَ حفيفَها على ألسنةٍ ثرثارةٍ،
أرى الخطوطَ الرقطَاء على اللّحاءِ الأصفر،
بلا بروقٍ رؤيوية
تخترقُ جفنيّ الثقيلين.

بدلاً من هذا، ثمة نوبةٌ شهوانيةٌ
اخترقتْ حواسّي الخمسَ في الصّميم
وأتخمتِ العينَ، والأذنَ، والذوقَ، واللمسَ، والشمَّ.
ولأني وقعتُ في مصيدةِ هذا الفنّ المعجزِ
أمتطي الدوّامةَ فوق هذه الأرض المشتعلة،
يوماً وراء يوم،

ولأنّ غبارَ الصلصالِ يُدمي عينيّ،
كان ينبغي أن أراقبَ الحوريات الدّاعرات
وهنّ ينفضْن حريرهنّ المزركشَ في البستان المقدّس
بحيث لا تبقى شجرةٌ عفيفةٌ واحدةٌ
إلاّ وتتلطّخُ بذاكَ الفيضِ من غوايات
الأحمرِ والأخضرِ والأزرقِ.

53- الاثنان الآخران

طوالَ الصيفِ، كنا نقيمُ في شقّةٍ تطفحُ بالأصداء،
باردةٍ كالدّاخلِ اللؤلؤي للمحارة.
توقظُنا حوافرُ وأجراسُ الماعزِ في التلالِ العاليةِ.
حول سريرِنا كان الأثاثُ الفاخرُ معشّقاً بدرجاتِ
الأخضرِ البحريّ الخفيفِ والغريبِ.
ولم يكن ثمة من ورقةٍ ذابلة في الهواءِ العذبِ.
حَلُمنا كم كنّا كاملَين، وقد كنّا كذلك.

أمام جدرانٍ عاريةٍ، مطليةٍ ببياضٍ ناصعٍ،
انبسطَ الأثاثُ، بأرجلٍ خرافيةٍ، معرّقةٍ بالسّواد.
كنّا اثنين في المكانِ الذي يتّسعُ لعشرةٍ آخرين ـ
خطواتُنا تتضاعفُ في الحجراتِ الشّبحية،
وأصواتُنا تستكشفُ إيقاعاتٍ أعمق.
طاولةُ خشبِ الجوزِ بكراسيها الاثني عشر
تعكسُ الحركاتِ الغامضةَ لاثنينِ آخرَين.

ثقيلةً كالتماثيل، أطيافٌ ليستْ لنا،
تؤدّي مسرحيةً صامتةً، في الخشبِ الصقيلِ،
في تلكَ الخزانة التي بلا أبوابٍ أو نوافذ:

يرفعُ ذراعَه ليقرّبها أكثر إليه، لكنّها
تهربُ من لمستهِ: مزاجهُ من حديدِ الآن.
حين رآها تتجمّدُ، أشاحَ بوجههِ بعيداً.
يتوقّفان، ويحزنان، كأنّهما في تراجيديا قديمةٍ.

مغسولان بضوء القمرِ، عنيدان،
لا يهدأان، لا يتحرّران. الحنانُ المطلقُ
يهبطُ على مطهرهِما كمثلِ كوكبٍ،
كحجرٍ ابتلعهُ الظّلامُ العظيمُ.
لا دربَ يتوهّجُ خلفَهما، لا تموّجات.
في اللّيلِ نتركُهما في مكانِهما المهجورِ.
وحين تنطفئُ الأضواءُ، يطاردونَنا،
غيورَين، بلا نومٍ:

لقد حلمنا جدالاتِهما، وصوتَيهِما المشروخَين.
نحن نتعانقُ، وهذان الاثنان لم يتعانقا قطّ،
ولا يختلفان عنّا كثيراً، فقد وصلا إلى مأزقٍ صعبٍ،
مع هذا، مقارنةً بثقلِ همومِهما، كنّا أكثر خفّةً:
نحن، كنّا الأشباح، وهما كانا من لحمٍ ودم.
كأنّنا، فوق أطلالِ الحبّ، لم نكن سوى
الجنةِ التي حلم بها هذان الاثنان بيأسٍ مطبقٍ.

54- السيّدةُ ورأسُ الخزَف

مصهوراً من الأجرّ الأحمرِ، هذا الرأسُ ـ النموذجُ،
لا يجدُ مكاناً يحتويه: مجبولاً من غبارِ القرميدِ،
بعينٍ تحت جفنٍ كثيفٍ، ينتصبُ فوق الرفّ الطّويلِ،
يسندُ، متبلّدَ الإحساسِ، مجلّداتٍ سميكةً من النثر:
يا له من رمزٍ للكراهيةِ في عينيها.
الأفضلُ تطهيرُ المصطلى، على الفورِ، من الرأسِ الشَنيع؛
رغم أنّها ما تزالُ تمقتُ فكرةَ التخلّصِ منه وكأنّهُ نفاية.

لا مكانَ لتلك المنحوتة، كما يبدو،
من دون بعضِ الاحتقار. أولادٌ أجلافٌ
يتجسّسون على رأسٍ يحملقُ متجهّماً، نافراً،
من خلف تلّةٍ من رمادٍ،
يمكن أن يحصلوا على هذه الجائزة،
ويسيئون كثيراً معاملةَ الرأسِ كرهينةٍ
ويوقظون العصبَ الماكرَ

الذي يحبكُ الأصلَ بصورتِهِ الخشنةِ.
فكّرتِ السيّدةُ، عندئذٍ، بمستنقعٍ داكنٍ،
متشابكِ الطّحالبِ، تكسوهُ الأعشابُ البريةُ،
وقالت في سرها ربّما يفي بغرضِها الذي تبحثُ عنه:
ولكن من أتونِ المرَقِ المائي الذي تكلّله الزعانفُ،

يطلّ الرأسُ الشبحِيُّ، ويومئُ بشهوانيةٍ،
ما يجعلُ شجاعتَها تترنحُ. فتعدلُ عن فكرتِها،
وكمثلِ شخصٍ على وشكِ أن يغرقَ

قررتْ، شكلياً، الاحتفاظَ بالرأسِ ـ النسخةِ،
داخل جذعِ شجرةِ صفصافٍ، مطمورةٍ
بالطحالب الخضر، وقالت في نفسها:
لتهبط العصافير بأصواتها التي كالأجراس،
وريشها الأكثر سواداً، فوق تلك المنحوتة،
وحبّةً، حبّةً، من ذاكَ الرأسِ الأخرقِ،
دعْها تصغْ بمناقيرها شكلاً أبسطَ
في الطقسِ الدّافئ والصّافي.

مع ذلك، منتصباً فوقها رفّها كالنُصبِ،
استمرّ الشكلُ النافرُ بالتحديقِ،
رغم توتّر أصابعِها، وهطْل دموعِها، وصلواتهِا:
"هيا، تلاشى! "، قالتْ.
لكنّ الرأسَ المصنوعَ من صدوعِ الصّخرِ
ظل ثابتاً، ملتحفاً نجومَ النّحس،
لا تؤثّرُ فيه هبّاتُ الرّيحِ أو ضرباتُ الموجِ ـ
رأسٌ، كمثل منحوتةٍ موغلةٍ في الزّمن،
يصعبُ على أيّ سكّينٍ استكمال ملامحِه،
ويرفضُ أن يُخفي، ولو مثقالَ ذرّةٍ،
نظرة الحبّ الخزفيةَ عن محياه.

55- كلّ الأعزّاء الموتى

"في المتحف الأثري في كمبريدج تابوتٌ حجري يعودُ للقرن الرّابع الميلادي، ويضمّ رفات امرأةٍ، وجرذٍ، وفأرٍ. على عظمِ كاحلِ المرأةِ بدتْ علاماتُ نهشٍ خفيفة".

مقوّسةً عند منحنى الظّهرِ،
مع ابتسامةٍ من الغرانيت،
تستلقي هذه السيّدة المحفوظةُ في المتحفِ،
بصحبةِ بقايا هيكلٍ عظمي لجرذٍ وفأرٍ،
عاشا يوماً كاملاً يقرضان عظمَ كاحلِها.

هؤلاء الثلاثة، بعد أن كُشفَ النقابُ عنهم،
يشهدون بشكلٍ صارخٍ
على لعبةِ الطّحنِ الرّهيبة
التي كانت ستفزعُنا لولا أنّنا لم نسمعِ
النجومَ تطحنُ، كسرةً بعد كسرةٍ،
حصادَنا، حتى آخر قشّةٍ فيه.

كيف يستحوذون علينا، ليلَ نهارَ،
هؤلاء الموتى الدبقون!
هذه السيّدةُ هنا ليستْ قريبةً لي
لكنّها، مع ذلك، من نسْلي،
وتشتهي أن تمصّ دمي،

وتجفّف لبّ عظامي لكي تثبتَ ذلك.
وإذْ أفكّرُ الآنَ برأسِها،

تسحبُني، بأصابعهنّ الساحرات،
من خلف الزّجاج الزئبقي
الأمّ والجدّةُ، وجدّةُ الجدّةِ،
وتحضرُ تلك الصورةُ، فوق حوضِ الأسماكِ،
حيث غطسَ والدي الأحمقُ غريقاً
تلعبُ بشعرهِ أرجلٌ أرجوانيةٌ -

كلّ الأعزاء الذين رحلوا منذ زمن،
يعودون سريعاً، أجل يعودون:
في الأعراس كما في المآتم،
في أعياد ميلاد الأطفال،
أو حفلات الشواء العالية:
كلّ لمسة، كلّ طعمٍ، كلّ نكهة،
تكفي هؤلاء العصاة للعودةِ راجعين،

والاحتماء في المنازل: يحتلّون الكرسيّ الوثيرَ
بين كلّ دقّةٍ ودقّةٍ للسّاعة، حتّى نذهبَ نحنُ،
كلّ منهم يشبهُ المغامرَ "غلليفر"،
بجمجمةٍ مسطّحةٍ، وعظامٍ ناتئةٍ،
تصحبُهم أشباحٌ غامضةٌ،
مسجونةٌ معهم،
تتجذّرُ في الأرضِ مع كلِّ هزّةِ مهد.

56- تاريخٌ طبيعيٌّ

الملكُ العظيمُ، "العقلُ ـ الملكُ"،
حكمَ بدمٍ أزرقَ بلاداً جلفةً،
ورغم أنّه ينامُ على فروٍ، ويتخمُهُ الشواءُ،
لكنّ "الفلسفةَ" الصّافيةَ استحوذتْ على عشقِهِ.
وإذ جاعتِ الرعيةُ، وأضحتْ جيوبها خاويةً،
تراهُ يحادثُ النجومَ، ويحاورُ الملائكةَ

حتى يضيق العوامُ ذرعاً بأوهامِ حاكمِهم
فينتفضون، كأرضيين، جسداً واحداً،
ويتلفون أعصابَ جلالتِهِ:
هكذا يرى عرشَه يتهاوى، وتاجَه يُغتَصبُ،
على يدِ أميرٍ وضيعٍ، بربريٍّ، اسمه "آه".

57- مشهدان لمنزل وايثنس

فوق نباتِ "الجولقِ" الحلزوني، الهزيلِ ،
والأعشابِ الممهورة بأقدامِ الماعزِ،
يرتفعُ حائطٌ حجريٌّ ورافدةُ سقفٍ،
تشبهُ مقدمةَ السفينةِ في الضباب،
في منطقةٍ ساحليةٍ نائيةٍ
يصعبُ على أي متنزّهٍ الوصول إليها.

هي موطنٌ للدجاج البرّي الجامح
والأرانب الرشيقة الحركة،
حيث تعصف الريح الخفيفة.
هناك، أتسلقُ التلةَ بعد التلّةِ
مرتديةً جزمةً عاليةً
وأخوضُ في ماءٍ نتنٍ
وأجد أرضاً بوراً

وطقساً بلا ألوانٍ،
وأعثرُ على "منزلِ ايروس"
بعتبتهِ الواطئةِ،
ولا أرى قصراً.
وأنتِ، الأكثر حظّاً،
تصفين أعمدةً ناصعةً، وسماءً زرقاء،
وأشباحاً تتخايلُ بلطفٍ في البعيد.

58- العقيقُ العظيم

في هبوبِ الهواءِ وصلْنا ذروةَ القفرِ
مضاءين بالاخضرار.
المزارعُ الحجريةُ تتهادى أمامنا،
ووديانُ العشبِ تبدّلُ ألوانَها
في ضوءٍ لا يشبهُ ضوءَ الفجرِ

أو ضوءَ هبوط المساءِ. أيدينا، ووجوهُنا،
شفّافةٌ كالبورسلان، كأنّ لونَ الأرضِ وثقلِها
اختفى عنها. بعضُ هذا التبدّل الكلي
دفعَ المسافرين الثمانية للبحثِ عن المصدرِ -

عندَ تلك الجوهرةِ العظيمةِ: إنّها تظهرُ، حيناً،
لكنّها لا تُعطى. لا مرئية، لكنّنا
نراها في القفرِ، أو في قعرِ البحرِ،
ونستدلّ إليها فقط من خلال ضوءٍ

لا يشبهُ الظهيرةَ، أو القمرَ، أو النجومَ -
الدربُ التي كانت مألوفةً، يوماً،
أضحتْ، بكلّيتها، طريقاً آخر،

ونحن اغتربْنا عن أنفسِنا، وتبدّلنا،
وتوقّفْنا حيث كانت تطفو الملائكةُ

بين الطاولات والكراسي الطّافية.
الجاذبيةُ اختفتْ في هبوطِ وصعودِ
عنصرٍ أكثر سهولةً من الأرضِ،

ولم يكن ثمة من شيءٍ نادرٍ

لم نكنْ بقادرين على القيامِ به.
لكن القريب يعني البعيد:
عند العودةِ المألوفةِ إلى بيوتِنا
ينسحبُ الضّوءُ. الطاولاتُ والكراسي
تقعُ أرضاً: الجسدُ يسقطُ ثقيلاً كحجر.

59- كلمات لحاضنةِ ورود

برعمُ زهرةٍ، عقدةُ دودٍ،
وريثةُ أوّل المكوّناتِ الخمسة، أنا أتفتّحُ:
خمسة أهلّة قمريةٍ تنيرُ، كالنّظرات،
ما أريدُ الامساكَ به.
نافورةُ حليبٍ، اصبعٌ كبيرةٌ،
سلالم كثيرةٌ لا تُحصى،
تقودني صعوداً
إلى هذه الخُطّافات اللّينة

أتعلّمُ، أنا كلبةُ السيركِ المطيعة،
أتحركُ، وأخدمُ، وأجلبُ الطعامَ،
وأجهّزُ السهمَ، وأشيرُ بإصبعي، وأساعدُ،
وأحملُ السّوطَ، وأشفي الحكّةَ،
لكنني لا أغافلُ جيباً،
بل أتستّر على مفتاحِ
هذه الدميةِ الزّرقاء والخضراء.

متشعّبةً كقرونِ الوعل،
أمدُّ أغصانَ استشعارٍ حسّاسةً

وأتشمّمُ رائحةَ الشّوكِ والحريرِ،
القطبَ الباردَ، والصحنَ السّاخنَ.
ولأني مؤرخةٌ قديمةٌ،
صفحتي هذه الصحراء،
التي تخدّدها ثلاث طرقٍ معبدة،
مدبوغة اللّون، لا شجرَ حولها،
مع خمس تلالٍ حلزونية.

•

سوداء الظَهر، وبيضاء البطن،
كمثلِ سمكةٍ مفلطحة،
أسبحُ عبر "بحرِ الفعلِ"،
اليسارُ خادمي،
بل صورتي المتخلّفة.
حاملةُ القلم، ممرضةُ الفراش،
مرسالُ القبطانِ،
عن ظهرِ قلبٍ أحملُ
اللّيرةَ، والزرَّ، والزّنادَ،
وجسدَ حبّهِ.

ستسوءُ خدمتي له
حين يصفعني العمرُ بيدهِ الخشنة،

(سلطعونٌ يكبو
فوق الكراسي الوثيرة، والطّاولات،
وخمس شموعٍ، بلا فتيلٍ،
أهزّها في وجهِ الظّلامِ)
والخدمةُ تسوءُ أكثر فأكثر
حين يطيحُ الموتُ بهذه الزّهرةِ،
حين خمسُ ديدانٍ في صندوقٍ،
تمتصُّ الأجسادَ النحيلةَ للغربان.

60- ملهماتٌ يثرْنَ القلقَ

أمّاه، أمّاه، أية عمّةٍ، سيئة التربية،
أو أيّ ابنة عمّ مشوّهة، كريهة المظهرِ،
تحرصين، من دون حكمة، "ألا" أن لا تدعيها،
إلى عمادتي، فترسلُ بالنيابة عنها هؤلاء النسوة،
برؤوسهنّ المضمّدة كالبيض، يومئن برؤوسهنّ،
ويومئن، ويومئن، عند قمّةٍ، وأسفلِ،
والجانبِ الأيسرِ، من سريري؟

أمّاه، من أمرَ بسردِ حكاياتِ
"ميكسي بلاكْ شورتْ"، الدبّ البطل.
أمّاه، لمن هذه السّاحرات، اللّواتي
دائماً، دائماً، نخبزهنّ كأرغفةِ الزّنجبيل،
وأتعجّبُ، هل رأيتهنّ من قبل،
أو قلتِ كلماتٍ تخلّصني من
تلك السّيدات الثلاث،
اللّواتي يومئن قربَ سريري، كلّ ليلة،
بلا فمٍ، بلا عيونٍ،
برؤوسهنّ الصلعاء المضمّدة.

في أثناءِ الإعصارِ، حين نوافذ أبي الاثنتي عشرة،
في غرفة الدراسةِ، انتفختْ نحو الداخل،
كمثلِ فقاعاتٍ على وشكِ أن تنفجرَ،
أطعمتِني، وشقيقيَ، عندئذٍ، الكعكَ المحلّى،
وسقيتِنا حليبَ "أوفالتين"، ثم أخذْتِنا إلى الجوقة:
"(ثورْ)، إلهُ الرّعدِ والبرقِ، غاضبٌ: بومْ، بومْ، بومْ!
الإلهُ، (ثورْ)، غاضبٌ: ونحنُ لا نأبه لذلك".
لكنّ تلك النسوة يهشّمن ألواحَ الزّجاجِ.

حين على رؤوس أصابعهنّ رقصتْ بناتُ المدرسة،
يتلألأ الضوءُ من ثيابهنّ كالحباحب،
ورحْن ينشدْن أغنيةَ سراجِ اللّيل، لم أستطعْ
أن أرفعَ قدماً واحدةً في فستاني اللؤلؤي،
بل بخطواتٍ ثقيلةٍ تنحّيتُ جانباً،
في الظلّ الذي فرضتهُ عرّاباتُ تعميدي
ورحتِ تبكينَ، وتبكينَ:
والظلّ امتدَّ أكثر فأكثر، والأضواءُ انطفأتْ.

أمّاه، أرسلتني إلى دروس البيانو،
وامتدحتِ مهاراتي وزخرفاتي،
رغم أنّ كلّ أستاذٍ علّمني،
وجدَ لمستي خشبية على المفاتيح
برغم ساعات التدريب الطّويلة،

بل إنّ أذني غير موسيقية، وصمّاء، نعم،
وغير قابلةٍ للتعلّم.
لكني تعلّمتُ، وتعلّمتُ، وتعلّمتُ في مكانٍ آخر
من ملهماتٍ لم تستأجريهنّ، أنتِ، يا أمّاه.

ذاتَ يومٍ، استيقظتُ لأراكِ، يا أمّاه،
تسبحينَ في الهواءِ الأزرقِ، فوقي،
على منطادٍ أخضرَ يسطعُ بملايين
الأزهارِ والعصافيرِ الزرقاءِ التي
لم يسبقْ لها أن وُجدتْ، لم يسبقْ،
لم يسبقْ أن وُجدتْ في أيّ مكانٍ آخر.
لكنّ الكوكبَ الصغيرَ تلاشى بعيداً،
مثل فقاعةِ الصّابون حين ناديتِ: تعالي إلى هنا!
وهنا التقيتُ وجهاً لوجهٍ مع النسوة المسافرات معي.

ليلَ نهارَ، الآنَ، عند قمّةِ وأسفلِ وجانبِ السّريرِ،
أراهنّ يقفْن حارساتٍ حولي بمعاطفهنّ الحجرية.
وجوههنّ ملساء، خاويةٌ، كاليوم الذي ولدتُ فيه،
ظلالهنّ طويلةٌ في الشّمسِ الغاربةِ،
التي لا تسطعُ أبداً، ولا تغربُ أبداً.
هذه هي المملكةُ التي أتيتِ بي إليها،
أمّاهُ، يا أمّاه. ولكن لا عبوسَ على وجهي
يعبّرُ حقّاً عن تلكَ الصّحبةِ التي تحيطُ بي.

61- مناوبة ليلية

لم يكن قلباً يخفقُ
ذاك الصوتُ المخنوقُ، وتلك الضجّةُ
في البعيدِ، ولم يكن دماً في الأذنين
يدقُّ طبولَ الحمّى

ويفرضُها على المساء.
الضجّةُ أتتْ من الخارج:
تفجيرٌ معدنيٌّ
يخصُّ، على ما يبدو،

هذه الضّواحي الهادئة:
لا أحدَ ارتعبَ منهُ، رغم أنّ الصوتَ
هزّ الأرضَ بارتجاجِهِ العنيف.
لقد ضربَ جذورَه عميقاً لحظةَ قدومي

إلى أن أربْكَ، كصوتٍ مكتومٍ، بعد انكشافِهِ،
كلَّ تكهّنٍ سخيفٍ:
خلف نوافذِ مصنعِ النُحاس
في الشّارع الرئيسي، فجأةً،

مطارق عملاقة، ودواليب تدورُ،
سقطتْ عمودياً،
بثقلِها المعدنيّ والخشبي
حتّى صُعِق لبُّ العظم.

رجالٌ بملابس داخليةٍ بيض
تحلّقوا، محاولين، بلا توقّفٍ، إصلاحَ
تلك الآلات المبقّعة بالزيوت،
محاولين، بلا توقّفٍ، إصلاحَ
تلك الحقيقةِ الصّريحةِ الدامغةِ.

62- اللّوحُ الناطقُ

إنّهُ إلهٌ من صقيعٍ، إنّه إلهُ الظّلالِ،
ناهضاً إلى الزجاجِ من الأعماقِ الفاحمةِ.
خلف النّافذة أولئكَ الذين لم يولدوا، ولم يرحلوا،
يتجمهرون مع الشّحوبِ الهشّ لليراعات،
حيث السّطوع الفوسفوري يتلألأُ بين أجنحتِها.
ألوانٌ قرمزيةٌ، وألوانٌ برونزيةٌ، وألوانُ الشّمسِ
في نارِ الجمرِ تلك لن تواسيَها البتّةَ.
تخيّلْ جوعَها السحيقَ، العميقَ كالظّلام،
لحرارة الدم التي تتوهّجُ أو تعودُ أدراجَها.
الفمُ الزّجاجيُّ يمتصُّ حرارةَ الدّم من سبابتي.
الإلهُ القديمُ، يبعثرُ، بالمقابلِ، كلماتِه كالرّذاذ.

الإلهُ القديمُ يكتبُ، أيضاً، قصائدَ ذهبيةَ اللّون،
بأشكالٍ منسيةٍ، هاذياً بين القفار،
مؤرّخاً لكلّ تصريفٍ لغويٍ خطير.
عصرٌ من النثرِ، بل عصورٌ، حلّتْ
وثاقَ زوبعتِه الناطقةِ، وهدّأتْ من روعهِ العارم،
حين الكلمات، كالجنادب، استوطنت الهواء المعتمَ،
تاركةً الجيادَ الصغيرةَ، ملدوغةً، تخشخشُ بالألم.

السماوات التي كانت يوماً ترتدي الزرقةَ، والغطرسةَ الإلهيةَ،
تكفهرُّ فوق رؤوسِنا، وتنحدرُ ضبابيةً،
كثيفةً بالذرّات، للزواجِ من مستنقع.

إنه ينشدُ للملكةِ الفاسدةِ ذاتِ الشَعر الأصفرِ
التي تملكُ مثيراتٍ للشّهوة أكثر من دموعِ العذارى.
ملكةُ الموتِ الفاجرة، تلك. سعاتهُا يتجمهرون كالديدان
حول عظامِهِ. ومع ذلك يظلُّ ينشدُ ترانيمَ عذبةً
من أجلِ رحيقِها الحارّ. أراهُ صلباً، شغوفاً، يتمعّنُ
بالفقاعاتِ الفلزيةِ التي تكشفُها شفرةُ المحراث،
بوصفها علاماتٍ لماحة لحبّها له.
أما هو، كإلهٍ يرتعشُ وهناً،
فإنّه لا يتهجّى جبرائيلَ المختصرَ في حروفه،
بل حنينَه العشقيَّ الرّهيف.

63- عن تدهورِ النبوءات

كان أبي يحتفظُ بمحارةٍ مغلّفة،
يسندها بقطعٍ برونزيةٍ لسفنٍ مبحرة.
وإذ كنتُ أسمع أسنانَها الباردةَ
تصفرُ بأصواتِ ذاك البحرِ الغامضِ
الذي افتقدَهُ العجوزُ (بوكلين)،
والذي لطالما حمَلَ صدفةً كي يسمعَ البحرَ،
الذي لا يستطيعُ أن يسمعَه.
وحده كان يعرفُ ما تقولُهُ
الصدفةُ لأذنهِ الدّاخلية
ولا فلاّحَ آخرَ يعرفُ.

مات أبي، وحين ماتَ
أوصى بكتبِهِ ورفوفِهِ بعيداً.
الكتبُ حُرقتْ، والمحارةُ أخذها البحرُ
أما أنا فأحتفظ بالأصواتِ،
التي وضعها في أذني،
وفي عينيّ أحتفظُ بمنظرِ
تلك الأمواج الزّرقِ، اللامرئية
التي يبكي عليها شبحُ "بوكلين".
الفلاحون يحتفلون ويتكاثرون

حاجباً، كالكسوف، الثورَ الملفوظَ،
لا أرى بجعةً نحاسيةً أو نجمةً تحترقُ،
أو أثراً لعصرٍ أكثرَ يباباً،
بل ثلاثة رجالٍ يدخلون السّاحةَ،
ثم يصعدون الدَرَجَ أنفسهم.
صورهم الثرثارةُ، التي لا طائلَ منها
تغزو العينَ الشَاكيةَ مثل صفحاتٍ
من كتابٍ إباحي صفيقٍ، وباتجاهِ

هذا الحدث الذي ما يفتأُ يحدثُ
تدورُ الأرضُ. خلال نصفِ ساعةٍ من الآن
سأنزلُ الدرجَ العتيقَ وألتقي بالثّلاثة الصّاعدين.
الحاضرُ، والماضي أقلّ بكثير من ـ هذا المستقبل.
لا قيمةَ لهذه الرؤيا لعينين باتتا بلا إحساسٍ،
هما اللّتان لمحتا ذاتَ يومٍ أبراجَ طروادةَ تسقطُ،
ورأتا الشرّ يندلعُ من الشّمال.

64- ساحرُ الأفاعي

مثلما اخترعتِ الآلهةُ عالماً، والإنسانُ عالماً آخر،
ابتكرَ ساحرُ الأفاعي كوناً من أفاعٍ،
بعينٍ كالقمرِ، وفمٍ كالمزمار.
إنّه يعزفُ. يعزفُ الاخضرارَ. يعزفُ الماءَ.

يعزفُ الماءَ أخضرَ حتّى يرتعشَ الماءُ الأخضرُ
بمسافاتِ القصبِ، والأعناقِ، والتموّجات.
وإذ تقترنُ أنغامُهُ باللّونِ الأخضرِ

يشكّلُ النهرُ الأخضرُ صورَهُ حول أغانيه.
يعزفُ كي ينهضَ المكانُ، ولكن لا صخورَ،
لا أرضَ: موجةٌ من ألسنةِ العشبِ المائج

تسندُ قدمَه. إنه يعزفُ عالماً من الأفاعي،
عالماً من الميلانِ والانحناءِ، من قعرِ عقلِهِ
المفروش بالأفاعي. والآن، لا شيءَ يبدو مرئياً

سوى الأفاعي. حراشفُ الأفاعي صارتْ
ورقاً، ورموشَ عيونٍ، وأجسادُ الأفاعي صارتْ
غصناً، وصدراً للشّجرةِ وللإنسان. هو، السّاحرُ،

داخلَ مملكةِ الأفاعي، الحاكمُ على الالتواءاتِ،
التي تكشفُ معدنَ الأفعى فيه، وتشي بقوّة النغماتِ
من مزمارهِ النحيلِ. من هذا العشّ الأخضرِ،

كأنّما من سرّة الجنّةِ الخضراء، تتلوّى
أجيالٌ من الأفاعي: ليكنْ هناك أفاعٍ!
فكانتِ الأفاعي، وها هي هنا، الآنَ، وستكونُ غداً أبداً ـ

حتى يغالبَ النّعاسُ هذا العازفَ، ويتعبَ من العزفِ،
فيعزفُ العالمَ القديمَ، عائداً إلى قماشتِهِ البسيطةِ الأولى،
من رتقٍ هنا، ورفوٍ هناك، في كون الأفاعي. ثم يعزفُ

نسيجَ الأفاعي حتى يذوبَ مياهاً خضراً،
ويعزفُ حتى لا تطلّ أفعى برأسِها،
وكي تعودَ تلك المياهُ الخضرُ إلى المياهِ،

إلى الأخضر النقيّ، الصّافي،
إلى الشّيءِ الذي لا يشبهُ الأفعى.
ها إنّهُ يضعُ مزمارَه جانباً، ويطبقُ عينَ القمر.

65- درسٌ في الانتقام

في العصورِ الجلفةِ،
من زنزاناتٍ مفتوحةٍ على الرّيحِ،
وقلاعٍ مشرعةٍ على الأعاصيرِ،
ومن تنانينَ تنفثُ النّار خارجَ إطارِ الخرافاتِ،
كان الملكُ والقدّيسُ يفكّان مفاصلَ المعضلةِ،
لا باللّجوءِ إلى معجزةٍ أو إجراءٍ ملكيٍّ،

بل من خلال انتهاكاتٍ جمّة من مثلِ
الصفعةِ المفاجئةِ، أو ليِّ إصبعِ الإبهامِ المؤلمِ:
أو ربطِ روحٍ بوتدٍ، أو رمي حصانٍ أبيضَ في اللجّةِ.
وكان على الصّروحِ الشامخةِ التي لم تُقهَرُ
في مدينةِ "الربّ"، ومدينةِ "بابل"، كان عليها

أن تنتظرَ، فيما، هنا، يدُ (سوسو)
تشحذُ مساميرَهُ وإبرَهُ،
وتسوطُ بلا رحمةٍ صمّامات قلبِهِ الحمراء،
لأنّ نكهةَ السّماءِ، التي لا تُقاومُ، العامرةَ بوخزِ
شعرِ الحصانِ والقملِ، تُلهبُ عانتَه الشّبقة؛
بينما، هناك، (سايروس)، الغاضب

يبعثرُ الصيفَ، ويستنفرُ عضلاتِ أبطالِه،
لتوبيخ نهرِ (جايندز) الذي ابتلعَ الحصان:
لقد مزّق النهرَ إلى ثلاثمئةٍ وستّين قطرةً
وبات بمقدورِ فتاةٍ صغيرةٍ أن تخوضَ في مائِهِ
من دون أن تبتلّ قصبةُ ساقِها.

مع ذلك، حكماءُ العصورِ اللاّحقة،
المبتسمون المتهمكّون، من سلوكٍ كهذا،
القاهرون أعداءَهم بأناقةٍ، وسلاسةٍ،
إما بالتكفيرِ أو بالرّمي من أعلى الجسورِ، لم يلقوا القبضَ البتّةَ،
كما فعلَ أسلافُهم العظام، على ذاكَ الشّيطان،
الذي ما زالَ يقهقهُ من لبِّ العظمِ،
ومن أغوارِ سريرِ النّهرِ المطعونِ.

مكتبة
t.me/t_pdf

1958

66- عذراء في الشّجرة

يا لهذه الخرافةِ اللاّذعةِ كيف تُعلّمُنا الكثيرَ
ثم تسخرُ منّا في آنٍ واحدٍ! هنا محاكاةٌ للفخّ الأخلاقي
المصوغِ في الأمثالِ المكتوبةِ على قماشٍ مشغولٍ بالإبرةِ
يمتدحُ الفتيات الطّاهرات اللّواتي يأخذْن تلك العيّناتِ
ويضعْنها فوق لحاءِ الشجرةِ، كعادةِ الرّاهبات القاتمةِ

من أجل أن تُصدّ كلّ سهامِ الحبِّ بعيداً عنهنّ.
فأن تُحفظَ الفتاةُ في غمدٍ من خشبٍ
يعني أن يُضلَّلَ عشّاقُها اللاّهثون،
سواء أكانوا شبقين كالتيوس أو عفيفين كالآلهة.
ومنذ أن بادلتِ الإلهةُ الأولى، "دافني"،
ظهرَها السّاحرَ بمخبأِ شجرةِ الغارِ الدائمةِ الخضرة،
التصقَ الشّرفُ بعضلاتِها القاسيةِ كالعاج
وصرختِ الشفةُ الطّهرانيةُ: "احتفلي بالإلهِ (سايرنكس)
الذي أدّت شكواهُ الدائمةُ بأن منحَها جلدَ الضفدعةِ المرقّط،
وجوهرَ الثمرةِ الشّاحبِ، وسريراً مائياً من القصب. انظري:

الدرعُ من أوراقِ الصّنوبر الإبرية يحمي
(بيتيس) من هجومِ (بان) الشّرس!

ورغم أنّ التقدم في السنّ قد أسقطَ
أوراقَ تيجانهما، غير أنّ شهرتهما غزتِ الآفاق،
وحجبتْ شهرةَ الحسناوات (إيفا)
و (كليو) و (هيلين الطروادية):
فأيّ منهنّ يمكن أن تتحدّثَ

عن عادةِ حبسِ الأجساد الناصعةِ
داخلَ حلقةٍ من خشبٍ،
من الجذرِ إلى القمّة، بلا بوجهٍ، بلا هيئةٍ،
حيث الزهورُ الحلمية علاها الصدأُ
وهي ترضعُ حليبَ الظّلمة؟
فقط أولئك الأتقياء، رابطو الجأش،
الذين يبنون صومعةً لجذبِ
العذارى الخضراوات، ويقهرون الجسدَ
شفةً، شفةً، وعضواً، عضواً،
خدمةً للطّهارةِ: مثلهم كمثل الأنبياءِ، وكمثلِ الكهنةِ،
وحدهم يهبطون على الجَمالِ الإلهيّ، الوديعِ للعذارى،
حبّاً بعذريةِ العذارى فحسب".

كنْ متأكّداً أنّ بعضَ تلك الصفَقات قد أُبرِمتْ
كي تُبقي المجدَ كلَّه في قبضةِ

العوانسِ القبيحاتِ، والرّجالِ الجوف،
بينما أنت تتشوّقُ من خلف النّافذة
الداخلية لعينيكَ، وترمقُ العذراء
التي تتضوّرُ فوق غصنِها:

الحسناءُ، ناضجة وغير مقطوفة،
تُركِتْ طويلاً مكشوفةً على الأغصانِ المتمايلة،
وجهُها جفّ، الآنَ، وأصابعُها يبستْ كالعيدان،
وجسدها انحنى، متخشّباً، لكنّها تصحو وتتشوّقُ

حتى وإن أزهرَ، اللّحظةَ، يومُ القيامةِ.
الإهمالُ جعلَ لشفتيها طعمَ اللّيمون المندّى:
حين لا يذوقُه لسانٌ، عصيرُ الجمالِ يصيرُ حامضاً.
إنّ ازدواجيةَ الشّجرةِ ـ العذراء محاكاةٌ لهذا التشريحِ
حتى يأتي يومٌ وينكسرَ فيه غصنُ التهكّمِ.

67- بيرسيوس
انتصارُ الفطنةِ على المعاناة

شخصية في الميثولوجيا اليونانية كانت
وراء قتل ميدوزا ،وإنقاذ أندروميدا
المترجم

الرأسُ فحسب يُظهِركَ في ذاكَ الفعلِ الجبّارِ
هاضماً ما تعجزُ قرونٌ بحالِها على هضمِهِ.
الفيلُ المنقرضُ، متحركاً بتثاقلٍ، تحت وطأةِ الحزنِ،
عنيدٌ بما يكفي ليربكَ أحشاءَ الحوتِ
بثقوبٍ، وثقوبٍ، ويجعله ينزفُ ناصعاً،
باتجاه البحرِ المالحِ. هرقل أمضى وقتاً بسيطاً
يشطفُ تلك الاسطبلات:
دموعُ طفلٍ كانت قادرة على فعلِ ذلك أيضاً.
ولكن من سيتطوّع لابتلاعِ "لاكون" (كاهنُ أبوللو)،
ورجلِ "الغال" المحتضرِ، وصورِ العذراء الباكيةِ،
تلك التي تتعفّنُ على الجدرانِ المعتمةِ
لكاتدرائياتِ أوروبا،
وفي المتاحفِ، وعلى الأضرحةِ؟ أنتَ.

من استعارَ ريشاً لقدميكَ، وليس المطّاط، أو المساميرَ،
ومرآةً تُبقي رأسَ الأفعى في دائرةٍ آمنة؟
من يقدرُ أن يواجهَ التكشيرةَ القبيحةَ
للمعاناةِ الإنسانية: نظرةٌ تخدّرُ الأطرافَ،
ليستْ رمشةَ الحيوانِ الخرافي الزّاحفِ،
أو العين الشريرة، التي تجلبُ النّحسَ المضاعف،
بل جميع الحشرجاتِ، والآهاتِ، والصَرخات، المتراكمة،
التي تختتمُ التراجيديات، فوق هذه الألواحِ المبلّلةِ بالدّم،
فكلّ لدغةٍ خاصّةٍ لثعبانٍ سامّ غايتُها شلّ عينيكَ،
وكلّ كارثةٍ في قريةٍ هي أفعى (الكوبرا) الملتفّة،
وكلّ سقوطٍ لإمبراطوريةٍ هو التكوّرُ المفزعُ
لأفعى (أناكوندا) الضّخمة.

تخيّلْ: العالمُ
مكوّرٌ في شكلِ رأس جنينٍ، مدمّىً، وجريحٍ،
بسبب المعاناةِ منذ بدءِ التكوينِ، حتى الآن،
وأنتَ تمسكهُ بيدكَ تلك. ذرّةُ رملٍ في عينٍ
أو ثؤلولٌ في إبهامٍ، تجعلُ أيَّ امرئٍ يجفلُ،
أمّا المعمورةُ كلّها، المعبّرةُ عن الحزن،
فتحيلُ الآلهةَ، كالملوكِ، إلى صخور.
الصخورُ، مفتتةً ومكلومةً، تصبحُ ذاتُها،

كئيبةً، وتنشرُ اليأسَ، فوق وجهِ الأرضِ المظلم.
هكذا تأتي القوةُ الجبّارة، وتجعلُ الخلقَ برمّته متخشّباً،
لولا ذاك البطنُ الأكبرُ الذي يبتلعُ ما هو أكثر من اللّذة.

أنتَ تدخلُ، الآنَ،
مسلّحاً بالرّيش، للّعبِ والطّيرانِ،
وبمرآةٍ منزليةٍ، للتسلية، تحيلُ الملهمةَ التراجيديةَ،
إلى الرأس المقطوعِ، لتلك الدميةِ المتجهّمة،
وإلى ضفيرةٍ واحدةٍ،
وإلى أفعى تتلوّى في السّرير، تتدلّى مائلةً
مثلما يتدلّى الفمُ السخيفُ وقتَ الحداد.
أين هي الأطرافُ الكلاسيكيةُ لـ(أنتغون) العنيدة؟
والأثوابُ الملكيةُ الحمراءُ لـ(فيدر)؟
والأحزانُ المبللّة بالدّموع لدوقةِ (ملفي) اللّطيفة؟

ذاهباً في التشنّجِ العميقِ،
الذي يستحوذُ على وجهِكَ، وعضلاتِك،
وأليافِك المصعوقةِ، منتصراً كمثلِ الضحكةِ الكونيةِ،
التي تشفي الجراحَ الطّاعونيةَ، غير المخيّطة،
للمتألمّ الأزليّ.

إليكَ، بيرسيوس، السعفةَ،
وليتكَ تتوازنُ، ثم تعيدُ التوازنَ، حتّى آخر الوقتِ،
هذا التوازنُ الأثيريُّ الذي يساوي بين جنونِنا وحكمتِنا.

68- معركة ـ مشهد

من الفانتازيا الأوبرالية الهزلية لقصيدةِ (الملاّح)

إنّها تضلّلنا ـ
هذه الأوديسّة الصغيرة،
بالأرجواني والقرنفليّ،
فوق سطحٍ من قرميدٍ
التركوازِ المتدّرجِ اللّطيفِ
الذي يمثّلُ البحرَ،
فوق أمواجٍ مربّعةٍ، متعدّدةِ الألوان،
تحملُ، مبتهجةً، الملاّحَ،
بابتهاجٍ، بمرحٍ، تحملُهُ،
مع ريشتِهِ القرنفليةِ ودرعِه.

زورقٌ من ورقٍ، مع قنديلٍ شحيحٍ،
ينقلُ سندبادَ بركةِ الأسماكِ، الذي
يشهرُ رمحَه الفاتحَ اللّون،
صوب مَردةٍ ثلاثةٍ، بالأرجوانيّ والقرنفلي،
نهضوا من أعماق المحيط،
كلٌّ برأسٍ قبيحٍ، شائكٍ.
احذرْ، احذرْ،
الحوتَ، والقرشَ، والجبّارَ.

لكنّ حراشفَ ومسامّات
كلّ حيوانٍ بحريٍ منها
لم تسحبْ معها طحالبَ أو وحلَ.
إنهّا مصقولةٌ، ملساء، جاهزةٌ للنزال،
وهي تبرقُ مثل بيضِ عيدِ الفصحِ،
ومثل الوردِ والياقوت.
أيها البحّار، (إيهاب)، متّنْ كبرياءَك:
اجلبْ معكَ كلّ رأسٍ مسرودٍ.
رمية واحدة، رمية واحدة،
رمية واحدة: وتشتّتُ شملَهم.
أو هكذا تقولُ الخرافاتُ.
هنا يمجّدُ الأطفالُ جميعاً
معاركَ حوضِ الاستحمامِ،
عميقاً، وطويلاً، عند حافّة الخطرِ،
ولكن، آه، العجائز الحكماء يخطئون
تنينَ البحرِ بالمقعدِ،
والطحالبَ بعجينةِ المنزل، وأغنيةَ السمندرِ
بحمّى في أثناءِ النوم.
الضحكُ، الضحكُ
من اللّحى البيضاء يوقظُنا جميعاً.

69- (الحسناء "يادويغا"، فوق سريرٍ أحمر، بين زهورِ الزنبق)
قصيدة سداسية مهداة إلى رجل

يادويغا، الواقعيون تعجّبوا كيف أنّكِ
تستلقينَ فوق سريرِ الباروك هذا،
محاطةً بالمخملِ الأحمرِ،
تحت أنظار نمورٍ غير مروّضة، وقمرٍ استوائيٍّ،
في بريةٍ شاسعةٍ لانهائيةٍ من أوارقٍ خضرٍ،
لها شكل القلب، وأوراق الدّلب، وزهورِ الزّنبقِ

ذاتُ الحجومِ العملاقة، التي لا تشبهُ الزنبقَ أبداً.
يبدو أنّ نقادك المثابرين أرادوكِ أن تختاري
بين عالمٍ من خضرةِ الغابات
والعالم الرائجِ لسريركِ الأحمرِ
بتحفهِ الثمينةِ، العتيقةِ، من دون قمرٍ
يجعلكِ أكثر سطوعاً، ومن دونِ نظراتِ النّمورِ،

التي تهدأُ من روعِها عيونُكِ السّودُ،
وجسدكِ الأكثر بياضاً من هُدبِ الزّنبقِ:
كانوا يفضّلون الحريرَ الأصفرَ على القمرِ،

الأوراقَ والزنابقَ مرسومةً على حائطٍ خلفكِ،
أو، في أحسنِ الأحوالِ، بساطاً من زهرِ النّرجس.
لكنّ السريرَ انتصب، عنيداً، في غابتِهِ: الأحمرُ مقابل الأخضر،

والأحمرُ مقابلَ خمسين تنويعةٍ من الأخضر،
حيث السريرُ يسطعُ بهياً أمام العينِ الناظرة.
ولهذا، (روسّو)، الذي أراد أن يشرحَ لماذا السّرير الأحمر
ظلّ قائماً في الصّورة مع الزنبقِ،
ومع النمورِ، والأفاعي، وساحرِ الأفاعي، وأنتِ،
ومع عصافيرِ الجنّة، والقمرِ المستديرِ،

وصفَ، أي روسّو، كيفَ سقطتِ وأنتِ تحلمينَ، عند اكتمال القمرِ
فوق سريرٍ مخمليٍّ أحمر، داخلَ مخدعك الأخضر المرصّع بالفسيفساء.
وأنتِ تصغين لعزفِ النايات، حلمتِ بأنّكِ في مقلةِ القمرِ،
داخل غابةٍ شعثاء، وحلمْتِ بأنّ تلك الزّنابقَ القمريةَ السّاطعةَ،
تومئ برؤوسِها المبرعمة، نحو سريركِ.

وهذا هو السبب، كما أخبر روسّو النقّاد، الذي جعلَ السّريرَ
يرافقُكِ. لهذا أشاروا بالبنان إلى السّرير بمحاذاة القمرِ،
وإلى أغنيةِ ساحرِ الأفاعي، وأغصانِ الزّنبقِ العملاقةِ،
التي تتناوبُ الإدهاشَ مع ظلالِ اللّونِ الأخضرِ.

ولكن إلى صديقٍ، في الخفاءِ، اعترفَ روسّو بأنّ عينَه
باتتْ ممسوسةً جداً بالأحمرِ المتوهّج للسّريرِ، الذي

تستلقين فوقه أنتِ، يا يادويغا، حيث فضاؤكِ،
ليشبعَ عينَه من الأحمرِ: يا له من أحمرَ! تحت القمرِ،
وسط كلّ ذاك الاخضرار، وبين تلك الزّنابق العظيمة.

27- آذار، 1958

70- حكايةُ شتاء

فوق مبنى برلمان بوسطن نجمةٌ حمراء تتلألأُ،
ملتصقةً بشجرةِ الحورِ الأمريكية الباسقة.
رجالٌ ثلاثةٌ (كمثلِ من جاؤوا من الشّرق ليعبدوا يسوعَ)
يقفون قرب قبّةِ مبنى المحافظة.

يوسف العجوزُ يحملُ عصاً مدبّبةً.
ثوْرانِ من الشّمعِ يحيطان بالطفل.
خروفٌ أسود يقودُ قطيعَ الرّاعي.
مريم تبدو وديعةً.

الملائكةُ ـ أكثر أنثويةً وأناقةً
من عارضي أزياء (بونويت) أو (جي)،
يسطعون بهالاتِهم كمثلِ (سايريوس).
الأبواقُ الذهبيةُ ترتفعُ.

قرب (س. س. بيرس)، قرب (س. س. بيرس)،
النسوة، بأنوفهنّ الحمر، وقبعاتهنّ الزرق،
يتجمهرْن، من أجل النقود. إلهي، شرسةٌ هذه الحشودُ!
ثمة إنشادٌ يتصاعدُ

من شارع (وينتر)، فوق (تيمبل بليس).
وثمة أشخاصٌ يخبزون الكعكَ
خلف نوافذ محلات (فيلن) للعرض.
امنحْنا البركةَ، والطّعامَ، وأيائلَ الرنّة،

ووعولكَ كلّها التي ترعى - يا سانتا كلوس -
بإذنٍ من مفوّضيةِ الحديقةِ فوق العشبِ
الذي أطعمَ يوماً أبقارَ بوسطن.

بالتناغم مع هذا،
عند (بينكني) و (جبل فيرنون)، وشجرة الكستناء،
الأبوابُ المزدانةُ بأكاليلِ الوردِ تُفتحُ أمام الحشدِ.
نويل! نويل! هنا لا يوجدُ فمٌ مغلقٌ.
عالياً، بإيقاعاتٍ نشازٍ،

يغنّي الحشدُ، مقترباً من إفريزِ النّافذةِ،
ذات الأطر البنفسجية الغريبة.
آهٍ! أيتُها المدينةُ الصغيرةُ فوق التلّة!
الألحانُ البهيجةُ

لقارعي الأجراسِ، والمنشدين، توقظُ
طيورَ الحمامِ الملسوعةَ بالصّقيعِ،
عابرةً شارع (تشارلز)، باتجاه مبنى الجمارك،
من محطّةِ الجنوبِ إلى محطّةِ الشّمال.

71- فوق منعطفِ النّهر

هنا، في هذا الوادي من الأكاديمياتِ الأنيقةِ،
ليس لدينا الجبال، بل التلال، أو الهضاب المبتورة،
مقارنة بجبال أديروندداكس، شمال جبل مونادنوك،
التي تبدو، نفسها، كالرّوابي الصّخرية، مقارنةً بقمّة إيفرست.

مع ذلك، تظلّ، تلك الجبال، مقياسُنا الأفضل لما ندعوهُ الارتفاع:
مقارنة مع الوادي الخلفي، الفضيّ الواطئِ،
المنقّط بالرّمادي، في مدينة كِنَيتيكيت،
أو مسطّحاتِ النّهرِ في مزارع (هادلي)، تبدو هذه الجبالُ
مرتفعةً بما يكفي لنطلقَ عليها شيئاً أكثرَ من مجرّد التّلال.
خضراء، بكلّيتها، ترتفعُ قمُمها المحدّبةُ صوبَ سمائِنا:
إنها ما ننظرُ إليه جنوباً، واقفين في شارع (بليزانت)، في مدينة (مين).
وإذ تشمخُ شاهقاتٍ بين البنايات الحمراء، المبعثرةِ،
فإنّها توفّرُ لنا برودةَ الصّيفِ على مدّ النظر.

بالنسبة للبشرِ الذين يعيشون أسفلَ الوديان،
فإنّ أيّ ارتفاعٍ في الأفْق، وأية رابيةٍ أو تلّة،
تعني دعوةً للتسلّقِ. منطقٌ لا يخلو من الغرابةِ،
أن تصعدَ لكي تهبطَ، إذا كانت النقطةُ التي

انطلقْتَ منها هي ذاتُها التي ستنتهي إليها.
لكنّه التبدّل الواضح على القمّة ما يجعلنا
نسلكُ الطريقَ المائل، بالرّغم من رغبتِنا الدفينةِ
بأرضٍ مستويةٍ، والنتوءُ الأخيرُ من كلّ جرفٍ
هو الذي يخلخلُ مفهومَنا المشروخَ عن المسافةِ،
ويطلقُ سراحَ الآفاقِ أمام النّظرِ، شاداً العينَ الضيّقةَ
إلى أبعدِ طاقةٍ لها. نتسلّقُ أملاً برؤية ما وراء الجروف،
المرصوفةِ بالأوراق، المرقّطة بالأخضرِ،
تحت سماءٍ مخضرّةٍ، خلف خطٍّ الزّرقةِ.

القممُ تعرّفُ نفسَها على أنّها تلك الأمكنة
التي لا يوجدُ ما ننظرُ إليه أكثرَ علواً منها.
النظراتُ نحو الأسفلِ تتبعُ السهامَ القاتمةَ
لطيورِ السمامة في مسارها فوق قوسِ الهواء
التي تبدو مستريحةً في طيرانها، بما أننا لا نرى
حافّةَ ورقةٍ ترتعشُ فوق جبلٍ مفروشٍ بالأوراق.
الفندقُ، صاحب المئة عام، بدهانه المتقشّرِ،
مازال يحافظُ على شرفتِهِ المتهالكةِ،
ذات البوابات الأربع، مع المنظرِ الممتدّ أمامها،
فوق الخشبِ السّاقطِ لما كان يوماً سكّةَ حديدٍ معلّقة،
الشاهد على زمنٍ ولّى، ولنَعمٍ ولّتْ مع الزّمن.

أحدُ حرّاسِ المناظرِ، الرّسميين، يجمعُ أنصافَ الدولارات،
لقاء التّمتعِ بمنحدراتِ المشهد الرّسمي، يبيع الصودا،
ويعرض العديد من وجهات النظر.
ضوءٌ ورديٌّ يصبغُ منعطفَ النّهر الرّمادي،
ويصبغُ الهدوءَ الشّاحبَ المطوّقَ للنّهرِ،
فيما الزهورُ تنشرُ لونهَا القرمزيَّ في المرآة.
دفقٌ من التيارات العشوائية ـ جمعُ الرّذاذِ الفريدِ
لرؤوسِ الأمواجِ، دائمة الحركة، تُسوّى كأنما بمكواة،
لتتلاشى في التناسق الإلهي المبسّط للسّماء في الأعلى.
كأنّما داخلَ خريطةٍ، الحقولِ البعيدةِ، تبدو تلك السهوب
محكومةً بخطوطٍ خضراء مستقيمة، ولا وجودَ لرؤوس الهليون
المشاع، المتاحِ للجميع. السّياراتُ تطأ بعجلاتها الأنيقةِ الملوّنةِ
الطُرقَ الملتويةَ، والناسُ يمشون مندفعين نحو الأمام،
عبر الخضرةِ النابتة.
السلامُ والاتزان يسودان هنا.
كنّا، حتى وقتٍ قريبٍ،
نعيشُ تحت ظلّ سقوفٍ حارّةٍ
ولم نكن نلحظُ كم كان بإمكاننا
أن نتحرّكَ، هادئين، نحو البرودةِ. على الأقلّ، لمرّةٍ واحدةٍ،
صمتٌ عالٍ يخمدُ غناءَ الجنادب.

72- مذكّراتُ قطفِ السّبانخ

سمّوا المكانَ مزرعةَ الحراسة.
في تلك الأيام، لم تكن الشمسُ تغربُ سريعاً هكذا.
كيفَ كانت تنيرُ الأشياءَ، مصباحُ الممكنِ تلك!
رطبةً كانت تستلقي فوق العشبِ كمثلِ سيلوفانٍ ساطعٍ،
شذراتٌ من جناحِ اليعسوبِ، حين تركوني مع مئة سلّةِ
قشّ صغيرةٍ عند حافّة مرجِ السّبانخ.

باقةً بعد أخرى، من رؤوسِ السبانخِ
الخضراءِ النّاهضة تتوزّع في محيطٍ دائريّ -
طبقةً فوق أخرى، وتمتلأ سلّتكِ، بالأوراقِ الغضّة،
مشكّلةً خضرةً صافيةً، على غرارِ رأسِ الخسّةِ.
مع انقضاءِ النّهار تكونين قد قطفْتِ مئة سلّة.

الشمسُ والسماءُ تعكسان اخضرارَ السّبانخ.
في الدلوِ النحاسيِ المغطّى بورقٍ أصفر
ماء البئرِ تظلُّ باردةً مع بدءِ صفوفِ الزّرعِ.
للماءِ طعمُ الحديدِ، وحتى الهواء الذي يهبّ،
كانتْ له رائحةُ المعدنِ.

يوماً وراء يوم،
أنحني فوق شتلاتِ السّبانخِ،
مرتديةً بذّتي الجلدية، فخورةً، كامرأةٍ في بحرٍ
من الزهورِ الثمينةِ، أقطفُ البتلاتِ الأكثر امتلاءً.
ها هو عالمي عامرٌ بأهراماتٍ من السّلال.

يكفي أن أضعَ قدماً واحدةً في هذه البرّيةِ الشاسعةِ ـ
بحرٌ لا متناهٍ من السَبانخِ يصبحُ طوعَ بناني.

73- وداعُ الشّبح

ادخلْ إلى الأرضِ الصقيعِ التي لم تدسْها قدمُ إنسانٍ،
حوالي الخامسة صباحاً، ذاك الخواءُ الذي بلا لونٍ،
حين ينفضُ الرأسُ المستيقظُ البقايا العالقةَ
من أحلامٍ فوسفوريةٍ، وألغازٍ قمريةٍ غامضةٍ،
بدتْ في أثناءِ الحلم، أنها ذات مغزىً أكبر بكثيرٍ،

يتهيّأُ، أي الخواءُ، لمواجهةِ هذا الخلقِ الجاهزِ التكوين،
المؤلّفِ من مناضدَ وكراسٍ، وشراشفَ للنّوم.
تلك هي مملكةُ الطيفِ المتلاشي،
شبحُ النبوءات الواقفُ على ساقين دقيقتين كالدّبوس،
فوق كومةٍ من الملابسِ،
مع حزمةٍ كلاسيكيةٍ من الشّراشف،

الناهضةِ عالياً كمثل يدٍ تلوّحُ في الوداع.
عند هذا المفترق بين عالمين،
بين نمطين، غير متّسقين، من الوقتِ،
ترسمُ المادةُ الأوليةُ لبطاطا ولحمِ أفكارِنا
الهالةَ النورانيةَ للإلهامِ الحلوِ المذاق.
ومن ثمّ يغادرُ الشبحُ.

الكرسيُّ والمنضدةُ هما جزءان من أبجديةٍ
لبعضِ نطقٍ ربّاني تتجاهلُه الرؤوسُ الصّاحيةُ،
وبالتّالي هذه الشّراشفُ المكوّمةُ،
وقبل أن تتلاشى إلى لا شيء،
تتكلّمُ لغةَ الاشارةِ عن عالمٍ آخرَ ضائعٍ،
عالم نفقدُه بمجرّدِ أن نصحو.

جاراً خلفه أسمالَه الممزّقةَ عند الحافّة القصوى
للرؤيا، يمضي هذا الشبحُ بيدين مرفوعتين،
كمن يقولُ وداعاً، وداعاً، ليس باتجاهِ الأسفلِ،
نحو الجروف الصّخرية للأرضِ، بل باتجاهِ منطقةٍ
يتلاشى فيها غلافُنا الكثيفُ، ووحده الله يعرفُ ماذا هناك.
نقطةُ استفهامٍ تدبغُ تلك السّماء بالأرجوانيّ الرنّان،
كجزرةٍ نجميةٍ. نقطتُها المدوّرةُ، المنزاحةُ والخضراءُ،
تعلّقُ قربَها النقطة الأولى، نقطة البداية

في تلك الجنّةِ قربَ قوسِ القمر.
اذهبْ، يا شبحَ أمّنا وأبينا، يا شبحَنا نحن،
وشبحَ أطفالِ أحلامِنا، مع تلكَ الشراشف،
التي تمثّلُ أصلَنا، ونهايتَنا، اذهبْ إلى أرضٍ
غائمةٍ بطيورِ الوقواق، أرضِ العجلاتِ الملوّنةِ،

والأبجدياتِ الأصليةِ العذراء، وقطعانِ الأبقارِ،
التي تُطلقُ خوارُها فيما لا تهدأُ تقفزُ باتجاه القمرِ
نضرةً كلّ النضارة كمثلِ تلك الحافّةِ الفلكيةِ
التي تبحرُ باتجاهِها، الآنَ. سلاماً ووداعاً. مرحباً ووداعاً.
يا حارسَ الكأسِ المدنّسةِ، أيتُها الجمجمةُ الحالمةُ.

74- نحّات

إلى ليونارد باسكين

إلى بيتهِ يأتي النورانيون
يقايضونَ، بلا انقطاعٍ،
الرؤيا والحكمةَ، مقابلَ أجسادٍ
ثقيلةٍ، وملموسةٍ كجسدِهِ.

اليدان الرشيقتان تتحركان
أكثر قداسةً من يديّ الكاهن،
لا تستحضران، عبثاً، صوراً عن الضّوءِ والهواءِ،
بل حالاتٍ أكيدة من البرونزِ والخشبِ والحجرِ.

بعنادٍ، في خشبٍ كثيفٍ معشّقٍ،
ملاكٌ أصلع يحجزُ، ثم يصوغُ،
الضوءَ المرهفَ؛ الذراعان مفتوحتان
وهو يراقبُ عالمه الخشنَ يطغى كالكسوف

على عوالم فطريةٍ من الرّيحِ والغيمِ.
موتى البرونز يسودون على أرضِ الحجرةِ،
مقاومين، متورّدي الأجسادِ،
يجعلوننا نبدو أقزاماً بالمقارنة. أجسادُنا معرضةٌ

للانقراضِ في تلك العينين اللّتين،
من دونه، هو، تكونان محرومتين
من المكانِ والزّمانِ، ومن أجسادِهم.
الأرواحُ الغيورةُ تخلقُ الشقاق،

تحاول الدخولَ، وتجلبُ الكوابيسَ،
حتى يمنحَها إزميلُهُ حياةً أرحبَ من حياتِنا،
وإغفاءةَ جنديٍّ أطولَ من الموت.

مكتبة
t.me/t_pdf

75- على عمقِ خمسة فراسخ بحرية

أيّها العجوزُ، أنتَ قلّما تطفو على السّطحِ.
ثم تجيءُ مع المدّ حين يجيءُ،
حين تغسل البحارُ الزبدَ بارداً ـ

مرتدياً معطفَك ـ شعرٌ أبيض، لحيةٌ بيضاء،
وشبكة صيدٍ مرمية بعيداً، تعلو وتهبطُ،
إذ الموجُ يعلو ويتكسّر. على بعد أميالٍ،

تتناثرُ الحزمُ المشعّة لشعركَ المسفوحِ،
المتسربلِ بخيطانٍ متجعّدة، معقودةٍ،
رغمَ غرقها،

تتجاوز الخرافة القديمة للأصول،
التي لا يمكن تخيّلها. إنّكَ تطفو، أقرب،
كمثلِ سفينةِ جبلِ الجليدِ،

في الشِمال، تبحرُ بسهولةٍ،
لكن لا يمكنُ أن نمخرَ عبابَها.
كلُّ خَطرِ يبدأُ بغموضٍ ما:

وأخطارُك كثيرةٌ ومتعدّدةٌ.
لا أستطيعُ أن أطيلَ النظرَ، لكنَّ شكلكَ يعاني
من إصابةٍ، ما، غريبة،

ويبدو أنه يموتُ: هكذا يتنافسُ الضَبابُ
مع الصّحو في فجرِ البحرِ.
الشائعاتُ الوحليةُ

لدفنكَ تدفعُني
إلى نصفِ اعتقادٍ: ظهورُكَ من جديدٍ
يبرهنُ أنّ الشّائعات جدُّ ضحلة،

فالخطوطُ القديمةُ الغائرةُ
لوجهكَ المجدور تخلعُ الوقتَ في جداولَ صغيرة:
العمرُ يهطلُ كالأمطارِ

فوق الأقنيةِ العذراء
للمحيطِ. تهكّمٌ حكيمٌ كهذا،
وهذا التحمّلُ، دوّاماتٌ مائيةٌ

تتجنّبُ أرضَ القعرِ ـ
عملُ الدعامةِ الأفقية للسماءِ والأرضِ.
انحنِ بخصركَ، قد تجعلُ

عقدةَ المتاهةِ
تتجذّرُ أعمقَ بين مفاصل الأصابعِ، وعظامِ السَاق،
والجماجم. غامضاً كاللغز

لم يسبقْ لإنسان له رأسٌ
أن رأى ما دون كتفيكَ،
إنّكَ تتحدّى كلَّ الأسئلةِ؛

وتتحدّى ربوبيةً أخرى أيضاً.
أمشي، جافّةً، عند حدودِ مملكتكَ،
منفيةً بلا طائل.

سريركَ الصدَفي أتذكّرهُ.
أبي، هذا الهواءُ الكثيفُ مميتٌ.
وأنا أفضّلُ أن أتنفّسَ الماءَ.

76- لوريلي

حوريةُ نهر تغوي البحّارة بغنائها

المترجم

ليس ليلاً موائماً للغرق:
قمرٌ مكتملٌ، ونهرٌ يجري
أسودَ اللّون تحت لمعانِ مرآةٍ رقيقٍ،

وضبابُ المياهِ الأزرقُ يقطرُ
ندفةً، بعد ندفةٍ، مثل شباكِ الصيدِ،
رغم أنّ صيادي السمكِ نائمون،

أبراجُ القلاعِ الضّخمةِ
تتضاعفُ حجومُها
في الهدوءِ الزجاجي. مع ذلكَ،

هذه الأشكالُ تطفو باتجاهي، وتعكّرُ وجهَ
الهدوء. من قعرِ الحضيضِ تتصاعدُ
أطرافُها رافلةً بالثراء،

الشَعرُ أكثر ثقلاً
من البورسلان المنحوت. إنّها تغنّي
عن عالمٍ أكثر امتلاءً ووضوحاً

من أيّ عالمٍ ممكنٍ. أخواتي،
أغنيتكنّ تحملُ عبئاً ثقيلاً يفوقُ
طاقةَ الأذنِ على الإصغاء،

هنا، في بلادٍ تمشي على الصراطِ
تحت ظلّ حاكمٍ متّزن.
ملتاثةً بالتناغمِ،

في ما وراء النظامِ السائدِ،
أصواتكنّ تُطبقُ الحصارَ. سكناكنّ
عند الجروفِ الصخريةِ للكابوس،

حيث الوعدُ بميناءٍ آمنٍ؛
في النّهارِ، انشدْن معاً من تخومِ
البلادةِ، وأيضاً

من نتوءاتِ النّوافذِ العالية.
الأسوأ من غنائكنّ المجنون،
صمتكنّ. في جوهرِ

نداثكنّ من قلبِ الجليدِ ـ
ثمالةُ الأعماقِ العظيمةِ.
آهٍ، أيّها النهر! أراها تسبحُ

عميقاً في لجّتكَ الفضيةِ
تلك الربّاتُ العظيماتُ للسّلام.
حجراً، حجراً، اغطسْ بي إلى هناك.

77- صيادةُ بلحِ البحرِ

وقفتُ أمام الماء ـ
الرسّامون الملوِّنون أتوا لاصطيادِ
ذروةِ رأسِ الضّوء الذي يحوّلُ
صلصالَ الرّملِ إلى كريستالٍ صافٍ،
يطهّرُ ويصقلُ الأجسامَ الصريحةَ
لثلاثة مراكب صيدٍ شراعية ترسو
على ضفّةِ الدلتا الخلفية للنّهر.

جئتُ بحثاً عن طعمٍ مجّاني
لصنّارةِ السّمكِ: بلحُ البحرِ الأزرقُ
المتراصفُ كمثلِ مصابيح فوق هامشٍ
من جذورِ العشبِ في مدّ البحيرة.
موجُ الفجرِ كان في أدنى انخفاضِهِ. هنا شممتُ
رائحةَ وحلٍ، وأحشاءَ محارٍ، ورفرفةَ نوارس.
وسمعتُ هسهسةً غريبةً للزبدِ تتوقّفُ،

واقتربتُ أكثر من الحافةِ الخرساء
لسريرِ حفرةِ البحيرةِ وهناك رأيتُ
عناقيدَ بلحِ البحرِ تتدلّى زرقاء

مع أنّ المشهدَ بدا وكأنّ
مفاصل أبوابِ العالمِ الماكرِ
قد بدأتْ بالانغلاق حولي.
وسادَ صمتٌ مطبقٌ.
ورغم أنّي أحصيتُ بضعَ ثوانٍ فقط،

دهورٌ مرّتْ لمنحي ثقةَ
السلوكِ الآمن، في تيهِ العالمِ الآخرِ،
الذي يرمُقني بنظراتِه. ثم أنشبَ العشبُ أظافره.
كراتٌ صغيرةٌ من الطّين،
بدأت تتحرّكُ في الأسفل،
وتخلعُ قبابَها المدوّرة مثلما يخلعُ
الفرسانُ الصغارُ خوذاتهم. سلطعوناتُ الماء

خرجتْ من جحورِها الضيقةِ،
ومن الوحلِ المحفورِ كالخنادق،
ثمّ موّهتْ نفسَها بطبقةٍ مرقّطةٍ
من ألوانِ الأخضرِ والبنّي.
كلٌّ منها أشهرَ مخلباً يمكن استخدامه
كدرعٍ ضخمٍ، متورّمِ الذّاتِ ـ ما من ذراعٍ
سلطعونٍ عابثٍ استطالتْ ضخمةً بالممارسةِ،

بل نمتْ، مرعبةً وقاسيةً،
وامتدّتْ، بلا رحمةٍ، لاستخدامِها
لغاياتٍ تفوقُ قدرتي على التكهّن.
جحافلُها التي تصفرُ احتشدتْ
أمامَ التيارِ العارمِ بمشيتِها الجانبية،
صوبَ مدخلِ البحيرة، ربّما من أجلِ
أن تلتقي الخيطَ الرّفيعَ والبطيءَ

للبحرِ الذي يقتفي آثارَ مدّهِ ـ
هناك في أعلى حوضِ النّهرِ.
أو أنّها كانت تهربُ منّي.
تمشي بشكلٍ منحرفٍ،
ترافقها أصواتٌ رطبةٌ ـ جافةٌ،
مع جلبةٍ خافتةٍ وقطراتٍ برّاقة.
هل تستمتعُ بملمسِ الطّينِ تحت مخالبها،

مثلما أستمتعُ به أنا بين أصابعِ قدميّ؟
هذا السؤالُ أقفلَ القضيةَ ـ حين وقفتُ معزولةً
لمرّةٍ واحدةٍ، وإلى الأبد، أحاولُ تلمّسَ ممرِّ
نظامِها الغريبِ بالمطلق، كمن يحاولُ
تلمّسَ المسارِ الجليّ لمذنّبِ هالي،

الذي يمنحُ مدارَ فَلَكي الحركةَ،
وبات معروفاً باسمٍ عائليّ،
لا يفقهُ بدوره شيئاً عنه.
هكذا انصرفتِ السلطعوناتُ وشأنَها،
والذي لم يكن لهواً، ورحتُ أنا أملأُ
منديلاً ضخماً ببلحِ البحرِ الأزرق.

بالنسبة لما كانت تراهُ السلطعونات،
إذا كانت قادرةً على الرؤيةِ،
كنتُ أنا صيادة البلحِ الأزرقِ
الواقفة على ساقين. في أعلى
سقفِ القشِّ للأعشابِ الكثّة،
رأيتُ حسكَ سلطعونٍ صغيرٍ،
بدا مكتملَ الملامحِ، ملقىً بغرابة،

فوق عالمهِ المصنوعِ من الوحلِ ـ اللّونُ الأخضرُ،
والأحشاءُ، ابيضّت ورُميت، بسبب
الكثيرِ من الرّيح والشّمسِ؛
وكان يصعبُ التكهّن هل ماتَ وحيداً،
أم أنتحرَ، أم هو عنادُ سلطعونِ كولومبوس!
كان وجهُ السّلطعونِ، مدمىً، ومرمياً هناكَ،

يبتسمُ مثلما تبتسمُ الجماجمُ:
ملامحهُ بدتْ مشرقيةً، تحت قناعِ موتِ الساموراي،
فوق أسنان النمرِ، ليس من أجل الفنّ،
بل الله. بعيداً من البحرِ ـ
حين تكون ميتة
ظهورُ السلطعونات الحمراء
ومخالبُها، وهياكلُها،
بطونُها المنتفخةُ، الشاحبةُ والمقلوبةُ،
تؤدّي رقصتَها الوئيدةَ،
فوق الموجِ الصّاعدِ والنازلِ،
مانحةً نفسَها شذرةً، شذرةً،
لعنصرِها الصّديقِ ـ أما هذا الأحفورُ
فحافظَ على وجهِهِ،
كي يواجهَ بِهِ وجهَ الشّمسِ العارية.

78- بزوغُ القمر

حبّاتُ التوتِ البيضاء تحمرُّ بين الأوراقِ.
سوف أخرجُ وأجلسُ مرتديةً البياضَ مثلها،
ولا أفعلُ شيئاً. رحيقُ تمّوز يجري في عروقِها.

هذه الحديقةُ مرصّعةٌ بالبراعمِ الحمقاء.
زهورُ الزّيزفون البيضاء تشمخُ وتعلو،
وتُلقي بظلٍّ ناصعٍ دائريٍّ في أثناءِ احتضارِها.

حمامةٌ تغطسُ من علوٍّ. ذيلُها المروحيُّ أبيض.
موهبةٌ فحسب: تنفتحُ، وتنغلقُ،
بتلاتٌ بيضٌ، وذيلٌ مروحيٌّ أبيض، وعشرُ أصابعَ بيضاء.

هذا يكفي لأظافرِ اليد أن تجعلَ أكثرَ من هلالٍ
يحمرُّ بين سعفِ النخيلِ الأبيضِ، حيث لا مخاضَ يصبغُها بالأحمر.
الأبيضُ، إمّا يتشكّلُ كلونٍ، أو ينهارُ.

التوتُ يحمرُّ. جسدٌ من بياضٍ
يتعفّنُ، ويفوحُ منه العفنُ، تحت شاهدةِ ضريحِهِ،
حتى وإن خرجَ الجسدُ مرتدياً كتّاناً نظيفاً.

أشمُّ هذا البياضَ هنا، تحت الأحجارِ،
حيث النملُ الصغيرُ يدحرجُ بيوضَه، والديدانُ تسمنُ.
الموتُ يمكن أن يبيضّ أيضاً في الشّمس، أو من دونها.

الموتُ يبيضّ في البيضةِ أو خارجِها.
إنّي لا أرى لوناً لهذا البياض.
الأبيضُ: ما هو سوى ملامح العقلِ.

أتعبُ وأنا أتخيّلُ شلاّلاتِ نياغارا بيضاء،
تتشكّلُ من جذرِ الصَخرة، مثلما تتشكّلُ الينابيعُ،
إزاءَ الصّورةِ الثقيلةِ لسقوطِها من الأعلى.

آهٍ، (لوسينا)، أيتها الأمّ العجفاء،
يا من تكابدين بين النجومِ البيضِ المتحجّرة،
وجهُكِ الصريحُ يحلجُ اللّحمَ الأبيضَ عن العظْمِ الأبيضِ

الذي يسحبُ أبانا القديم من الكعبِ،
متعباً، بلحيتِهِ البيضاء. ثمرُ التوتِ يحمرُّ
وينزفُ. المعدةُ البيضاءُ يمكنُ أن تنضجَ.

79- خريفُ الضفادع

الصيفُ، الطاعنُ في السنّ، أمُّنا، بدمِها البارد.
الحشراتُ شحيحةٌ، ونحليةٌ.
في هذه البيوتِ الوحليةِ نعرفُ فقط
كيف ننقُّ ونذوي.

الصباحاتُ تتفتّتُ في النُعاسِ.
الشّمسُ تشرقُ بطيئةً
بين أعواد القصبِ الواهنة.
المستنقعُ يمرضُ.

الصقيعُ يطيحُ حتى بالعنكبوت.
من الواضحِ أنّ عبقريّ الوفرةِ
يحبسُ نفسَهُ في مكانٍ آخر.
يا للحسرة! عددُنا ينحسرُ ويتناقصُ.

80-في بلاد ميداس

الملك الذي يحيلُ كلّ ما يلمسه إلىٰ ذهب
المترجم

مروجٌ من غبارٍ ذهبي. التياراتُ الفضّيةُ
لنهرِ (كنيتيكت) تتسكّعُ وتتلوّى
في شكلِ ثنايا رقيقة تحت مزارعِ حافّة النهرِ،
حيث رؤوس نباتات الجاودار تزدادُ بياضاً.
كلّ شيءٍ يبدو صقيلاً في الظهيرة المتلألئة.

نتحرّكُ مع توقِ الأصنامِ، أسفلَ
زجاجِ جرسِ السّماء العظيم، وننحتُ
صورةَ أطرافِنا فوق حقلٍ من القشّ،
ووردةٍ صفراء، وورقةٍ من ذهب.

قد تكون الجنّة هي هذه الوفرةُ
الساكنةُ: تفّاحٌ ذهبيٌّ على غصن،
طائرُ الحسّون، والسمكةُ الذّهبيةُ، والنمرُ الذهبي-
جميعها في لوحةٍ جداريةٍ عملاقةٍ.
وعشّاقٌ دمثون كالحمائم.

الآنَ، المتزلجّون فوق الماء يتسابقون
مثبّتين ركبهم. فوق أسلاكِ سحبٍ لا مرئيةٍ
يقشّرون الَصدأ المخضرّ للنهرِ.
يقفزون بمهارةٍ مثل مهرّجين في سيرك.

ثمّ سُحبنا، وكان بودّنا أن نتوقّف فوق
حافّة الكهرمان تلك، حيث العشبُ يزدادُ بياضاً.
الفلاّحُ يعتني توّاً بمحصولِهِ،
وشهرُ آب يضعُ لمسةَ (ميداس) الذهبيةَ،
والرّيحُ تنحتُ أفقاً أكثر نعومةً من الصوّان.

81-عزلة مطبقة

آكلةُ الحشراتِ على الجبل لم تركضْ
بل زحفتْ، بطيئةً، نحو المستنقعِ الواسعِ
ووقفت قبالتي، حيث ظهرها باتجاهِ حافّةٍ ترابيةٍ،
تصرُّ بأسنانها القارضةِ الحادّة كمثل آلةِ الصّنج
إزاء جلوسي القرفصاء، ولم تكن لتقايضَ شيئاً
مقابل ذاك الصّوتِ الشّرس، أو إيماءة الحبّ:
المخالبُ تأهّبت، لتنقضّ نحوي، لا أنا نحوها.

لقاءاتٌ كهذه لا تحدثُ أبداً في الحكاياتِ الخرافيةِ
حيث القوارضُ العاشقةُ تتبادلُ الحبَّ فيما بينها،
وتكون الصّراحةُ هي القاعدة، ودّيةً كانتْ أم عدوانيةً،
ولا يمكن لحيوانٍ، مهما كان فظّاً، أن يسيءَ تأويلَها.
أيّ سقوطٍ لي من شاهقِ اللّطفِ! الألسنُ غريبةٌ،
والإشاراتُ لا تقولُ شيئاً. البازُ الذي تحدّثَ يوماً بوضوحٍ
للعفريتِ (كاناسي)، ينطقُ هلوسةَ الآنَ في آذانٍ صمّاء.

82- حجارةُ تشايلدز بارك

فِي الهواءِ الذي بلا شمسٍ، تحت الصَنوبر الأخضرِ
الضاربِ للسّواد، وضع أحدُ الآباءِ المؤسّسين هذه الحجارةَ
المقطوعةَ والمفتولةَ، لتسطعَ في الكآبةِ الهاربة بين الأوراق،
سوداءَ كمثلِ عظام الكاحلِ المخدّدة لعملاقٍ، أو حيوانٍ
منقرضٍ، أتى من عصرٍ آخر، ومن كوكبٍ آخر، بالتأكيد.
محصورةً بين مشعلةِ الأضاليا الأرجوانية والقرمزية،

تحرسُ هذه الحجارةُ هدأةً معتمةً،
محافظةً على شكلها، فيما الشّمسُ
تبدّلُ ظلالَ الوردةِ وزهرةِ النّرجس ـ
طويلة تارةً، وتارةً قصيرة، وتارةً طويلة ـ
في الحديقة المضاءة، وتشعلُ نهايةَ نهارٍ بالألق،
مخضّبةً زهورَ الأضاليا بالألوان، لكنّها سرعانَ
ما تحترقُ وتشتعلُ مثلها. أن تتبعَ درجةَ الضّوءِ،
وكثافتَه، في منتصفِ اللّيلِ، وفي الظّهيرة، وخلال كلّ تقلّبات

الطّقس، يعني أن تعرفَ القلبَ السّاكنَ للحجارةِ:
حجارة تستهلك صيفاً بأكمله لتخسرَ
حلمَ برودةِ الشتاءِ؛ حجارةٌ تسخنُ في اللبّ فحسب،

حين يبدأ الصقيعُ بالتشكّل. لا خطّافَ بيدِ إنسانٍ
يمكنه أن يقتلعَها من مكانِها: لحيتُها خضراء إلى الأبد.
كما أنّها لم تنزلْ، ولو لمرّةٍ واحدةٍ، خلال مئة عامٍ،
لتشربَ من ماءِ النّهر: لا ظمأ يمكنه أن يقلقَ سريرَ الحجر.

83- بومة

السّاعاتُ دقّتْ، معلنةً الثانيةَ عشرةَ. الشّارعُ الرئيسي
أظهرَ شيئاً آخر أكثر من ضواحيهِ التي من خشبٍ: فسحةٌ نورانيةٌ ـ
مضاءة، لكنّها غير مسكونة، بنوافذها العامرة
بحلويات الزفاف.

خواتمُ الزمرّدِ، وأصصُ الزّهرِ، وجلودُ الثعالب
ورديةً فوق تماثيل من شمعٍ،
داخل قفصٍ زجاجيٍ من الثراء.
من سحيقِ الأقبيةِ الواطئةِ

ما الذي جعلَ البومةَ الشاحبة المفترسةَ
تنعبُ بأعلى صوتها، فوق أضواء الشوارع،
وأسلاك الهاتف، وتضربُ بجناحيها
من الحائط إلى الحائط،

متحكّمةً بتياراتِ الهواء، بطنُها زاخرٌ بالرّيش،
يدخلُ القشعريرةَ إلى النفس بمجرّدِ النظّرِ إليه؟
أسنانُ الجرذانِ نخرتْ أمعاءَ المدينةِ التي هزّها
نعيبُ البوم.

26 حزيران، 1958

84- البياضُ الذي أتذكّرهُ

البياضُ هو كلّ ما أتذكّره
عن حصاني (سام): البياض، والركْضة العظيمة،
التي منحني إياها. منذئِذ، لم أخرجْ إلى مكانٍ آخر،
مع أنّ الذهابَ كان بمثابة الانحرافِ الوديعِ. البياض،
ليس للمهورِ الخطيرةِ، غير المروّضة: إنه بياضُ حصان الاسطبل،
بتاريخهِ الرّتيبِ، غير الاستثنائي، ورزانتهِ المختبرة، وتأجيرهِ
للمبتدئين والجبناء. مع ذلك، الحصان الأرقشُ،
مخفّفاً من غلواء بياضهِ، إلى الرّمادي الهادئِ،
لم يكن ليخفّف البتّةَ من مزاجهِ.

أراهُ، على مسارٍ واحدٍ، الحصان الأبيض العنيد،
الحصان الأوّل تحتي، عالياً كسقوفِ المنازلِ،
خببُهُ الأنيقُ يرفعُ هامتي الخائفةَ، عالياً،
مخلخلاً العشبَ بجذورهِ الضاربةِ عميقاً،
في السهوبِ الرّيفيةِ والمراعي البقرية،
مسبّباً دواراً راكضاً. فجأةً، إمّا بسبب نيةٍ شريرةٍ،
أو ربّما حاول أن يجربّني، جعل العشبَ سواقي تجري،
والمنازل نهراً من الواجهات الشّاحبة، التي يتطايرُ قشُّها،
وجعلَ الطّريقَ سنداناً، وحوافرَه أربعةَ مطارقَ ترمي بي

في فضاءِ صعودِها وهبوطِها، في همزِها ولمزِها.
كان يرفض أن يبطئ لرسنِه المشدود، ولاسمِهِ،
أو لصياحِ عابري السّبيلِ. السّيارات ُعلى المفارقِ
تقفُ، جانباً، أمام اندفاعته،
والعالم بأسرهِ باتَ رهينةَ لطريقةِ عدْوِهِ.
أتمسّكُ بعُنقهِ. الإصرارُ جعلني بسيطةً: الراكبُ،
معلّقاً فوق الخطرِ، فوق الحوافرِ،
مرتجّاً فوق سريرِ الصّخرِ. على وشكِ أن أسقطَ،
لكنّني لم أسقطْ: الخوفُ، الحكمةُ، في آنٍ واحدٍ:
كلُّ الألوانِ تدورُ لتستقرِّ أخيراً في بياضِه الأوحدِ.

85- خرافةُ سارقي شجرة الورد

مشيتُ في جنينةِ الزّهر العذراء
وسطَ الحديقة العامّة. شعرتُ بالألفة،
والحاجة لزهرةٍ واحدةٍ أتخيّلُ من خلالِها
ما تبقّى من الحديقةِ في رسمٍ مكتملٍ.

رأسُ الأسدِ الحجريُّ الموضوعُ على الحائطِ
جعلَ لعابَه الأخضرَ البطيءَ يسيلُ باتجاه
حوضِ الحجرِ. قطفتُ برعماً أرجوانياً
ووضعتُه في جيبي. حين بدأتْ ألوانُه

تتفتّحُ في مزهريتي، متدرّجةً إلى الورديّ،
اخترتُ اللّونَ الأحمرَ. برأتُ ذمّتي مع
ضميري الذي حرمَ الحديقةَ من الأحمرِ،
أكثر مما فعلهُ الذبولُ.

المسكُ أنعشَ أنفي، والأحمرُ عيني،
وغفوةُ البرعم فوق أناملي: فكّرتُ بالشِّعرِ
الذي أنقذتُهُ من الهواءِ الأعمى،
ومن الخسوفِ الكاملِ.

في هذا اليوم، ثمةَ برعمٌ أصفر في يدي،
قطفتُهُ في أثناء ضجيجٍ صاخبٍ مفاجئٍ
من أيكةِ غارٍ. لم يقتربْ أحدٌ.
تشنّجٌ أصابَ أغصانَ شجرةِ الوردِ:

فتياتٌ ثلاث، مفتوناتٌ، كنّ يقطفْن باقاتٍ كاملةً
من الأحمرِ الكرزيّ، والورديّ الفاتحِ، من شجرةِ الوردِ،
ثم يكدّسْن الباقاتِ فوق جريدةٍ مفتوحةٍ.
بوقاحةٍ لا مثيلَ لها، كنَّ يقطفْنَ، دون همّ أو غمّ،

ولم يرتدعْن البتّةَ حين نظرتُ إليهنّ باحتقار.
لكنّ وردتي تتهمُني، وهذا ما جعلني أصفنُ،
فيما إذا كان التهذيبُ قد أعماهُ الحبّ،
أم ثمة ما هو أعظم خلفَ تلك السّرقاتِ الوضيعةِ.

86- موتُ صناعةِ الخرافة

فضيلتان تمتطيان المهرَ الأصيلَ، والجوادَ الهزيلَ،
وتجعلاننا نشحذُ مقصّاتِنا وسكاكينِنا:
العقلُ، بفكّ قنديلٍ، والناموسُ الذي يجلسُ القرفصاء،
أحدهما يتوسّلُ للأطبّاءِ من كلّ الأنواع،
والآخرُ لربّاتِ المنازل ومالكي الحوانيتِ.

الأشجارُ قُطعتْ أغصانهُا، وكلابُ البودل شُذّبَ شعرُها،
والعاملُ قُلّمتْ أظافرُهُ، حتى تساوتْ مع بعضِها،
منذ أنّ وضعَ هذان الخادمان المدنيان
حجرَ الشّحذِ على النصلِ المثلومِ،
وفرما، إرْباً، الشيطانَ الموسوسَ،

بعينيه البرّاقتين، في الدّغل النحيلِ، كعينيّ البومِ،
الذي أخافَ الأمّهاتِ حتى أجهضْن،
ودفعَ الكلابَ للنباحِ والشكوى،
وجعلَ مزاجَ صبيّ المزرعةِ كمزاجِ الذئب،
وربّةَ المنزلِ ضائعةً إلى غيرِ رجعةٍ.

87- صخرةٌ خضراء، ميناء وينثروب

لا أعذارَ عرجاءَ يمكنُ أن تغفلَ
قطرانَ البارجةِ المترسّبَ عند حافّة المدّ، ورصيفِ الميناءِ المهدّمِ
الذي كان ينبغي أن أعرفَه بشكلٍ أفضل.

خمسةَ عشرَ عاماً تفصلُ بيني وبين الميناءِ،
وثري الذّاكرةَ، لكنّها أطاحتْ بالمنظرِ القديمِ،
ورقّعتْ هذا المشهدَ المشوّهَ

الكاذبَ، أمام ناظريّ، لأتخلّى
عن وعدي بأنشودةٍ ريفيةٍ. الأزرقُ اهترأ تماماً:
إنّها مساحةٌ شحيحةٌ،

معاديةٌ، الآن. الصّخرةُ العظيمةُ الخضراءُ
التي كنّا نستخدمُها كسفينةٍ، وكمنزلٍ،
باتتْ الآنَ سوداء بسببِ قذارةِ القطران،

وعرائش العنّاقية، زرقاءِ الزّهر، انكمشتْ
إلى حجمٍ عاديٍّ. أصواتُ النّوارسِ الجائعةُ
خفتَتْ وسطَ زحمةِ الطّائرات،

في مطارِ (لوغان) المقابل. النّوارسُ تحومُ
رماديةً تحت ظلّ طيرانٍ أكثر فولاذيةً.
الخسارةُ تلغي الربحَ.

إذا لم تفعلْ شيئاً لهذا الميناءِ المبهرجِ
وتقدّم خدمةً ما فسأكونُ مجرّدَ كاذبةٍ
تموّهُ كدمةً تحت العين.

ينبغي لأحدِنا أن يجدَ نقطةَ ضعفٍ، ويلومَ الزمنَ،
على هذا التورّم في الصخرةِ القزمةِ، للعفنِ المكدّسِ،
والتّرحيبِ الكريهِ.

88- عِللٌ مصاحبة

أرنبةُ الأنفِ التي ترتعشُ، علاماتُ النّقصِ القديمةُ ـ
نتحمّلها الآن كالشّامات على الخدّ،
ونصبرُ عليها حتى تفسحَ الأحزانُ
طريقاً للخضوع المواربِ ـ

ندوبٌ ظهرتْ، في البدءِ، حفرها اللهُ،
حين كان يخلقُ الرّوحَ من الطّين،
ثم استقرَّتْ نهائياً، ومن طول الاستعمالِ بتنا نحبّها،
رفيقة فراشٍ لفسقِ الرّوحِ، ولأسيادِ مغرمين.

89- أريدُ، أريدُ

فاغراً فاهُ، الإلهُ الطفلُ،
الضّخم، الأصلع، برأسِ طفلٍ،
راح يصرخُ طالباً ثديَ أمّهِ.
البراكينُ الخامدةُ تشقّقتْ وبصقتْ ناراً،

الرّملُ لامسَ الشفةَ، التي بلا حليبٍ.
ثم راحَ يصرخُ طالباً دمَ أبيهِ
الذي أمَرَ الدبّورَ والذئبَ وسمكةَ القرشِ بالعمل،
شاحذاً منقارَ النسرِ.

ناشفَ العينين، البطريركُ العنيدُ
بعثَ رجالَه من لحمٍ وعظمٍ،
نصالاً على تاجِ السلكِ المذهّب،
شوكاً على ساقِ الوردةِ الدّمويةِ.

90- قصائد، بطاطا

الكلمةُ، إذ تُعرّفُ، تكمّمُ. الخطُّ المرسومُ
يطردُ نظراءَ له أكثر غموضاً، ويزدهرُ، كالقاتل،
في مؤسساتٍ، لا تسكنُها سوى الخطوطِ المتخيلةِ.
كالبطاطا، وكالحجارة،
من دون ضميرٍ، الكلمةُ والخطُّ يصمدان،
إذا مُنحا إنشاً واحداً. ليس لأنّهما فطّان (مع أنّ

إعادةَ التفكيرِ تجعلهما يصيران
أكثر ميلا للدماثة، والهدوء،) بل لأنهّما
يخدعانني باستمرار. وسواء أكان هذا أو ذاك،

فإنهّما يظلان لا يلبّيان الطموح.
إذا لم تُوضع في قصيدة، أو صورة، تُطلق البطاطا
ألوانهَا البنّيةَ المتحجّرة فوق صفحةٍ أكثر علوّاً واتساعاً.
وكذا يفعلُ الحجرُ الصلدُ.

91- الأوقاتُ أنيقةٌ

غير محظوظٍ هذا البطلُ المولودُ
في هذا الإقليم من السجلاّت العالقة،
حيث أكثر الطبّاخين حرصاً
يجد نفسه عاطلاً عن العمل،
وشوّايةُ رئيس البلدية تدورُ من تلقائها.

لا فائدةَ تُرجى في مغامرةِ
الرّكوبِ ضدّ ذكرِ السّحلية،
بعد أن ذوى، هو نفسه، في الآونةِ الأخيرةِ،
وصار بحجمِ وريقةٍ صغيرةٍ، بسبب قلّةِ النشاط:
لقد هزمَ التاريخُ كلّ خطرٍ.

العجوزُ الشّمطاءُ احترقتْ
منذ أكثر من ثمانيةِ عقودٍ،
بنبتةِ الحبِّ الحارّة، والقطّةِ النّاطقةِ،
لكنّ الأطفالَ أكثر براعةً من الجميع:
البقرةُ تحلبُ سمناً بسماكةِ إنشٍ واحدٍ.

1959

92- ثورُ بنديلو

الثورُ الأسودُ جأرَ أمام البحرِ.
البحرُ، الذي كان هادئاً، حتى ذاك اليوم،
اندفعَ باتجاه بنديلو.

الملكةُ في غابةِ التوتِ راحتْ تحدّقُ
متخشّبةً كملكةٍ على ورقِ اللّعب.
الملكُ مرّرَ أصابعَه فوق لحيتِهِ.

بحرٌ أزرق، وأربع أقدامٍ لثورٍ بقرنين،
وبحرٌ له خرطومُ الثور، يرفضُ أن يهدأ،
مندفعاً صوبَ بوابةِ الحديقةِ.

على طول الممرّ، المحاطِ بالصّناديق، تحت شمسٍ متورّدةٍ،
باتجاهِ الموجةِ العنيفةِ، ذهاباً وإياباً،
ركضتِ السيداتُ واللّوردات.

البوابةُ البرونزيةُ العظيمةُ بدأتْ تتصدّعُ،
والبحرُ اندفعَ من كلّ صدعٍ،
أزرق فاحماً، واختلطَ الحابلُ بالنابل.

الثورُ هاجَ وماجَ، والثورُ همدَ وتراجعَ،
ولم يكن لرسنٍ أن يلجمَه،
أو لإنسانٍ متعلّم أن يوقفَه.

آهِ، أرضُ الملكِ غَمَرها البحرُ،
والزّهرةُ الملكيةُ في بطنِ الثّور،
والثورُ، على الطّريق السَريعِ، أمام الملكِ.

93- قذى العين

بريئةً كوضحِ النّهارِ، وقفتُ أنظرُ إلى مضمارِ الخيلِ،
حيث الأعناقُ انحنتْ، والصّهواتُ ارتفعتْ،
والأذيالُ تدفّقتْ على خلفيةٍ خضراءَ من القيقب.
الشّمسُ على أشدّها، وأبراجُ الكاتدرائية
تنهض فوق السقوفِ القرميدِية،
كأنها تمسكُ بالخيولِ والغيومِ والأوراقِ،

شامخةً بثباتٍ، مع أنها كانت جميعُها تنسابُ
صوب اليسار، كمثلِ قَصَبٍ باتجاهِ البحرِ
حين طارتْ فلذةُ رملٍ وأصابتْ عيني كإبرةٍ
فعمّ فيها الظّلامُ. ثم رأيتُ رزمةً من الأطيافِ
تحت المطرِ السّاخنِ:
الخيولُ انحنتْ فوق الخضرة المتبدّلة، خرافيةً،
كجِمالٍ بسنامين، أو ككائناتِ وحيدِ القرنِ،
ترعى على أطرافِ مشهدٍ رديءٍ، أحاديّ اللّون،
كحيواناتِ الواحةِ، تقضمُ زمناً أفضل.
إنها تبري جفنيّ، وتحرقُني تلك الذرةُ الصغيرةُ:
فلذةٌ حمراء كالجمر حولها تدورُ
الخيولُ، والكواكبُ والأبراجُ، وأنا نفسي.

لا الدموعُ ولا الغسيلُ الناعمُ
للعينِ استطاعَ أن ينزعَ النثرةَ:
إنّها تلتصقُ، بل التصقتْ، أسبوعاً، هناك.
أحملُ هذا الخدشَ كجزءٍ من جسدي،
عمياء لما يمكنُ أن يحدثَ أو لما حدثَ.
ثم أحلمُ أنني أوديب.

ما أريدُ استرجاعَه هو ما كنتُ قد صرتُهُ،
قبل السّريرِ، وقبل السكّينِ،
وقبل أن يثبتني العبدُ، ودبّوسُ الزّينة،
داخل علاماتِ الاقتباس.
الخيولُ طليقةٌ في الرّيحِ،
وفي المكانِ زمانٌ ولّى من الذاكرة.

94- بوينت شيرلي

من هضبةِ برجِ الماءِ إلى سجنِ الآجرّ،
هديرُ ألواحِ الخشبِ
يتماوجُ تحت البحرِ المتلاطمِ.
كعكُ الثّلج يتكسّرُ ويتلاشى. هذا العام،
الموجةُ الخشنةُ تقفزُ فوق ساترِ البحرِ
وتسقطُ في نعشٍ
من بقايا سمكِ البطلينوس،
تاركةً عصيدةً مالحةً من الجليدِ

تزدادُ بياضاً في باحةِ جدّتي الرّمليةِ. جدّتي ميتةٌ،
وغسيلُها نُشِرَ وتجمّدَ هنا، هي التي
اقتنتْ منزلاً، متحدّيةً ما يمكنُ
أن يفعلَهُ البحرُ الدّاعرُ، الشبقُ، هنا.
مرةً، الموجُ العاصفُ رمى بألواحِ سفينةٍ
عبر نافذةِ القبو؛
ومرةً سمكةُ قرشٍ، بذيلٍ كالمنجلِ،
تركتْ آثارَها فوق سريرِ وردةِ الجيرانيوم ـ

هذا التواطؤُ بين عناصر عنيدةٍ
جعلها تتلفُ قشَّ مكنستِها حتّى النهاية.

عشرين عاماً، خارجَ سلطةِ يديها،
والمنزلُ ما زالَ يعانقُ، في كلّ محجرٍ عتيقٍ، من الجصّ،
أحجاراً أرجوانيةً، ملساءَ كالبيض:
من قبضةِ (الرأس العظيم) حتى (الأحشاء) الممتلئة،
البحرُ يطحنُ في معدتِهِ كلّ تلكَ الجولات.

لا أحدَ يقضي الشّتاء، الآنَ،
خلف تلك النّوافذِ العاليةِ،
حيث اعتادتْ جدّتي أن تضعَ أرغفةَ القمحِ
وحلوياتِ التفّاحِ، لتبردَ.
ما الذي تبقّى، من بعدِها،
كي يحزنَ هكذا، على تلك البقعةِ العنيدةِ
من الحصى المرصوف؟ أطلالُ الموجِ
المقذوفةُ تفرقعُ بشراً في الرّيحِ،

وموجٌ شائبٌ، يمتطيهُ البطُّ، رافعاً أعناقه عالياً.
مخاضٌ للحبِّ، وذاكَ المخاضُ ضاعَ.
بثباتٍ يقتاتُ البحرُ على (بوينت شيرلي).
جدّتي ماتتْ راضيةً مرْضيةً،
وأنا أمرُّ بالعظامِ،
بالعظامِ فقط، مرميةً ومقذوفةً،

أمام بحرٍ بوجهِ كلبٍ.
الشّمسُ تغرقُ أسفلَ مدينةِ بوسطن، حمراء كالدّم.

يمكنني أن أعصرَ من هذه الأحجارِ الصّلدةِ الجافّةِ
الحليبَ الذي حقَنَهُ حبُّكِ فيها.
الأوزُّ الأسودُ يغطسُ.
ورغمَ أنّ حنانكِ يمكن أن يجري كالسّاقية،
وأنا أشعرُ به، لكن، يا جدّتي،
تلك الأحجارُ ليست سكَناً صالحاً
لتلك الحمامةِ النّاصعةِ.
البحرُ الدّاكنُ ما يزالُ يجلدُ
البرجَ والحاجزَ معاً.

95- طائرُ "رضيعِ الماعز" الخرافيّ

قطيعُ الماعزِ العتيقِ ما يفتأُ يُقسِمُ كيف أنّه طوالَ اللّيلِ يسمعُ
الزقزقةَ والغمغمةَ المحذّرةَ لذاكَ العصفورِ الذي يستيقظُ
مع الظّلام، ويظلُّ، حتى مطلعِ الفجرِ، يرضعُ ضرعَ
كلِّ عنزةٍ عظيمةٍ، حتى يجفَّ الحليبُ.
قمرٌ مكتملٌ، وظلامٌ قمريٌّ، وبائعُ اللّبنِ الخجولُ
يحلمُ بأنّ أكثرَ أغنامِهِ سمنةً تتضاءلُ، حين فضَّلها
رضيعُ الماعزِ، بأظافرِهِ الحادّةِ، هذا العصفور ـ الشيطان،
حيث عينُهُ، تلمعُ، كقطعةٍ من نارٍ متّقدةٍ.

هكذا تقولُ الخرافاتُ بأنّ رضيعَ الماعز، المتخفّي
عن عيونِ النّاسِ، في هواءِ الأبنوسِ، على أجنحةِ
نسيجِ الساحرةِ، واسمُهُ معروفٌ، وشهرتُهُ ذائعةُ الصّيت،
مازال يسكنُ خبايا اللّيلِ، مع أنّه لم يحلبْ ماعزاً أبداً،
ولم يتورّطْ بموتِ بقرةٍ واحدةٍ، بل الظّلال فقط.
ـ بابُ الكهفِ محفوفٌ بالخوفِ ـ الخنفساءُ البيضاءُ،
والفراشةُ الخضراءُ المجنونةُ، والجندبُ السّقيمُ.

96- لونٌ مائيٌ لمروجِ (غرانتشيستر)

هناكَ، زريبةُ الغنمِ تغصُّ بحملانِ الرّبيعِ. في هواءٍ
ساكنٍ، فضّيٍ كمثلِ ماءٍ في كأس،
لا شيءَ يبدو كبيراً أو بعيداً.

الفأرُ الصغيرُ يقضمُ الأحشاءَ
وسطَ سيقانِ العشبِ، وصوتُهُ مسموعٌ.
كلُّ عصفورٍ صغيرٍ كحجمِ الإبهامِ
يطيرُ، رشيقَ الجناحِ، باتجاهِ الدّغلِ
مكتسباً لوناً فريداً.

أطلالُ الغيومِ، والصفصافُ المسكونُ بطيورِ البومِ،
جميعُها تنحني فوق تلال (غرانتا) الرقيقة،
وتضاعفُ عالمها الأبيضَ والأخضرَ، تحت الماءِ الشفّاف،
وتركبُ متنَ ذاكَ التدفّق، عند مرسى السفنِ،
رأساً على عقبٍ. البحّارُ يرمي السّاريةَ في الماءِ.
في بحيرةِ (بايرون) أذنابُ القطط تتحرّكُ
حيث طيورُ الإوزّ الوديعةُ تطفو فوق المياهِ.

إنه ريفٌ نائمٌ على حوافّ مشتلٍ واسعٍ.
الأبقارُ المرقّطةُ تحرّكُ أحناكَها،

وتلتهمُ البرسيمَ الأحمرَ، أو تطحنُ
جذورَ الشمندرِ، فتتلألأُ بطونُها
فوق هالةٍ من زهرِ الحوذانِ الأصفر.
في المروجِ المزدانةِ باخضرارٍ وديعٍ، مثاليٍّ، يختبئُ
شجرُ الزّعرور، بحبّاتِهِ الحمرِ، مكلّلاً عروقَه بالبياضِ.

فأرُ الماءِ، النباتيُّ، المضحكُ،
ينشرُ بأسنانِهِ عودَ قصبٍ، ثم يسبحُ
من أيكتهِ اللّينة الانثناءِ،
بينما التلاميذُ يتنزّهون أو يجلسون،
أياديهم مشبوكةٌ، في كسلٍ قمريٍّ من الحبّ ـ
مجلّلاً بالسّوادِ، وغير واعٍ كيف أنّه
في ذاك الهواءِ العليلِ، ستنزلُ البومةُ
عن غصنِها، ويصرخُ الفأرُ مذعوراً.

19-شباط، 1959

97- سفينة شتائية

على رصيفِ هذا الميناءِ، لا يمكنُ الحديثُ عن رسوٍّ عظيمٍ.
الزوارقُ البرتقاليةُ والحمراءُ تصطفّ وتترنّحُ،
مقذوفةً نحو حوضِ الميناء، باليةً، متهالكةً،
لكنّها غير قابلةٍ للدّمارِ، على ما يبدو.
البحرُ ينبضُ تحتَ غطاءٍ من الزّيت.

نورسٌ يوازنُ جناحيه فوق وتدِ كوخٍ،
راكباً مدَّ الرّيح، ثابتاً كالخشبِ،
مرتدياً سترتَه الرسميةَ من الرّماد،
فيما الميناءُ المسطّحُ برمّتهِ يرسو
في استدارةِ الزرّ الأصفرِ لعينِهِ.

منطادٌ صغيرٌ يسبحُ نحو الأعلى مثل قمرٍ نهاريٍّ
أو سيجارٌ من القصديرِ فوق حلبةٍ من الأسماك.
الطموحُ مملٌّ كمثلِ حكّةٍ قديمةٍ.
إنّهم يفرّغون ثلاثةَ براميل من السلطعونات،
والأكداسُ المكوّمة على وشكِ أن تنهارَ،

ومعها تلك الصّروحُ الآيلةُ للسقوطِ،
من مستودعاتٍ، ورافعاتٍ، ورفوفِ تبغٍ، وجسورٍ،

في البعيد، البعيد. حولنا المياهُ تجري وتثرثُر
بلكنتِها العامّية المسترخية،
حاملةً معها روائحَ القواقعِ الميتةِ والقطران.

في المسافة الأبعد تتذوّقُ الأمواجُ كعكَ الجليدِ ـ
شهرٌ فقيرٌ منَ عشّاق الحديقةِ ومشرّديها.
حتى ظلالنا ازرقّتْ بسببِ البردِ.
كنا نريدُ للشّمسِ أن تطلعَ،
لكننا قوبلنا بهذه السفينةِ المغطّاةِ بالجليدِ.

بَطريقٌ من الصّقيعِ، منبوذٌ وملتحٍ،
أيقونةُ الطّقسِ الصّعب، كلُّ مرفاعٍ، وكلّ ركيزةٍ،
تكسوها طبقةٌ زجاجيةٌ من الجليدِ.
عاجلاً ستذوبُّها أشعةُ الشّمسِ:
رأسُ كلِّ موجةٍ يتلألأُ كالسكّين.

98- محصّلة

مشدودين إلى جاذبيةِ المصيبةِ،
يمكثون ويحدّقون، كأنّ المنزلَ
الذي احترقَ منزلهَم،
أو ربمّا ظنّوا أنّ فضيحةً ما يمكن
في أية لحظةٍ أن تتسرّبَ،
من مخبأٍ مخنوقٍ بالدّخان،
وتخرجُ إلى ضوء الشّمسِ.
لا وفياتِ، لا إصاباتِ بالغةٍ،
لحقتْ بهؤلاءِ الصّيادين، بعد لحمٍ عتيقٍ،
وأثرِ الدم في التراجيديات العابسة.

الأمّ (ميديا)، بثوبِها الأخضرِ،
تتحرّكُ، متواضعةً، ككلّ ربّةِ منزلٍ،
عبر أرجاءِ بيوتهِا المهدّمةِ، تجمعُ أكداساً
من الأحذيةِ الممزّقةِ، وموادِ التنجيدِ العتيقةِ:
مخدوعين بالمحرقةِ، ومصطبةِ الألمِ،
يحتسي الناسُ دمعتَها الأخيرةَ،
وينصرفون.

99- وجهتا نظر حول غرفة الجثث

(1)

اليوم الذي زارتْ فيه غرفةَ المشرحة،
كانوا قد مدّدوا أربعة رجالٍ، متفحّمين،
كديكةٍ محروقةٍ، فُكّتْ نصفُ خيوطِهم.
أبخرةُ الخلّ، من براميلِ الموتِ، عالقةٌ حولهم،
الأولادُ، بزيّهم الأبيض، بدأوا العملَ.
رأسُ تلك الجثة غارَ واستسلمَ،
والمرأةُ لم تكنْ قادرةً على فهم ما يحدثُ،
بين صحونِ الجماجم، والقماشِ العتيقِ.
قطعةٌ من خيطٍ أصفر جمعتْ بينها جميعاً.

في جرارِهم، أولئك الأطفالُ، بأنوفِ السحالي،
يضيئون ويلمعون. يناولهُا القلبَ المجتثّ، كمثلِ متاعٍ مهشّم.

(2)

في بانوراما الرسّام، (بروغيل)، عن الدّخان والذبحِ،
شخصان فقط كانا أعميين إزاء جيشِ الجثث:
هو، الذي يسبحُ في بحرِ تنانيرِها
المصنوعة من الساتان الأزرق،
ويغنّي مائلاً باتجاه كتفِها العارية،
وهي، التي تنحني، وتقلّبُ، فوقَه،
نوطةَ الموسيقا بأصابعِها،
وكلاهما أصمٌّ إزاءَ اللّحنِ بين يدي الموتِ،
الذي يرخي بظلّه على أغنيتِهما.
عاشقان يتوهّجان، لكن ليس إلى وقتٍ طويلٍ.

مع ذلك، الكآبةُ العالقةُ في الرّسمِ، تقدّمُ البلادَ الصغيرةَ
حمقاءَ، حرجةً، في تلك الزاوية اليمنى من الهامشِ السفلي.

100- الانتحارُ من فوق الصخرةِ المستديرة

خلفه، كانت النقانقُ، مقسومةً، تنقّطُ
فوق الشّوايات العامّة، ومجامرِ الملحِ المؤكسدة،
وخزّاناتِ الغاز، ورفوفِ المصانع- أفقُ اللا-كمال
حيث أمعاؤه تمثّلُ جزءاً منها- ثم تتماوجُ وتخفقُ
في تيارِ الهواءِ الزّجاجي الصّاعدِ.
الشمسُ ضربتِ الماءَ كاللّعنةِ.
لم تكن توجد بقعةُ ظلّ، يمكن الزحفُ نحوها،
ودمُهُ راحَ يغلي بذاك الوشمِ القديمِ، هاتفاً،
أنا، أنا، أنا. كان الأطفالُ يصرخون
حيث الأمواجُ تتكسّرُ، والزبدُ يطفو،
مبعثراً، تسوطُهُ الرّيحُ، من رغوة تلك الموجة.
حصانٌ هجينٌ بدأ يعدو، خبباً، مجفّلاً
سربَ النوارسِ، بعيداً من كومة الرّمل.

احترقَ خامداً، أصمَّ كحجر، معصوباً كأعمى،
جسدُهُ مثخنٌ بزبالةِ البحرِ،
كمثل آلةٍ تتنفّسُ، وتخفقُ إلى الأبد.
الذبابُ، متسلّلاً عبر فتحةِ زلاّجةٍ ميتةٍ،
راحَ يطنُّ، مهاجماً غرفةَ الدّماغِ المحصّنة.

الكلماتُ في كتابه هربتْ كالديدان عن الصفحة.
كلّ شيءٍ راحَ يبرقُ كمثلِ صفحةٍ بيضاء.

وكلّ شيءٍ اضمحلّ في ضوء الشمسِ المدمّرِ
ماعدا تلك الصّخرة المستديرة في الأفقِ الأزرق.
وحين بدأ ينزلُ إلى الماء، سمعَ بأذنيهِ
مدَّ النسيانِ، يرغي ويزبدُ، فوق تلك الحوافّ.

101- الوجهُ المشوّهُ

غرائبيٌّ كالسِيرك، الوجهُ المشوّهُ
يتجوّلُ في أنحاءِ السّوق، مرهقاً،
مصاباً ببلوى رهيبة، شديدَ الحساسية
من عينٍ تدمعُ إلى أنفٍ متورّمٍ.
ساقان ناحلتان كالدبوس
تترنّحان تحت هذا الوجع.
شاحباً، كئيباً، الفمُ يفترُّ عن أنينٍ،
يتجاوزُ كلَّ كياسةٍ منزليةٍ، وكلّ رُشدٍ ـ
أنا نفسي، أنا نفسي ـ لاذعٌ بلونِ الحِداد.

نظراتُ المعتوهِ شزراً أفضلُ بكثيرٍ،
الوجهُ الحجريُّ للشّخصِ الذي لا يشعرُ،
المجاملاتُ المخمليةُ للمنافقِ:
أفضل، أفضل، وأكثرَ قبولاً
للأطفالِ الجبناء، وللسيّدةِ في الشارع.
آهٍ، يا أوديب. آهٍ، يا يسوع. أنتما تسيئان معاملتي.

19-آذار، 1959

102- استعارات

أنا لغزٌ بحروفٍ تسعة،
فيلٌ، بيتٌ متأمّلٌ، بطيخةٌ تمشي
على ذؤابتين.
آهِ، أيتُها الثمرةُ الحمراءُ، العاجُ، الخشبُ النّادرُ!
الرغيفُ كبيرٌ بسببِ انتفاخِ الخميرةِ فيه.
العملةُ جديدةُ الصكّ في هذا الجزدان.
أنا وسيلةٌ، منصّةٌ، بقرةٌ في عجلٍ.
لقد أكلتُ حقيبةً من التفّاحِ الأخضرِ،
وركبتُ القطارَ الذي لا نزولَ منه.

103- إلِكتْرا على طريق الأزلية

في اليوم الذي متَّ أنتَ، ذهبتُ أنا إلى الترابِ،
إلى جحرِ السبات الشتويّ، الذي لا ضوءَ فيه،
حيث النحلُ، المزوّقُ بالأسودِ والذّهبي، ينامُ طوالَ الصقيعِ،
كمثلِ حجارةٍ كهنوتيةٍ، وكانت الأرضُ صلبةً.
كان أمراً جيّداً، خلال عشرين سنة ولّتْ، قضاءُ الشّتاء هكذا،
كأنّكَ لم تكنْ أصلاً، كأنّني أتيتُ إلى العالمِ
من بطنِ أمّي، محاطةً بوصاية الربّ:
سريرُها الواسعُ ارتدى ساتان الألوهةِ.
لم تكن لي علاقةٌ أبداً، بالإثم، أو سواه،
حين عدتُ لأسكنَ تحتَ قلبِ أمّي.

صغيرةً كنتُ كدميةٍ في ملابسِ البراءةِ،
أنامُ وأحلمُ بملحمتِكَ، صورةً بعد صورةٍ.
لا أحدَ ماتَ أو ذبلَ فوق ذاك المسرحِ.
كلُّ شيءٍ كان يحدثُ في بياضٍ مستدامٍ.
حين صحوتُ، صحوتُ في باحةِ مقبرةٍ
ووجدتُ اسمَكَ، وعظامَكَ، وأشياءَ أخرى،
مبوّبةً، ومرتّبةً، في مدينةِ الموتى المكتّظةِ،
وحجرُ ضريحكَ، مائلٌ، بالقربِ من سياجِ الفولاذِ.

في جناحِ الصدَقةِ، في هذا البيت الفقير، حيث يكتظّ الموتى،
قدماً بجانبِ قدمٍ، ورأساً بجانبِ رأسٍ، لا زهرةَ هناكَ تشقُّ
صميمَ الأرضِ. هذا هو طريقُ الأزلية.
حقلٌ من الصبّارِ الشّوكي، يمتدُّ جنوباً.
ستةُ أقدامٍ من الحصى الأصفرِ تغطّيكَ.
المريميةُ الحمراءُ الاصطناعيةُ لم تحرّكْ ساكناً
في سلّةِ النّباتِ، الدّائمِ الخضرةِ، التي وضعوها
عند حجرِ الشّاهدةِ، بالقربِ من ضريحكَ،
لكنّها لم تتلفْ، رغم أنّ المطرَ أذابَ الصبغةَ الدّموية:
البتلاتُ الاصطناعيةُ تنقّطُ، وهي تقطرُ الأحمرَ.

نوعٌ آخر من الاحمرارِ يضايقني:
ذاك النهار حين شربَ شراعُك البطيءُ أنفاسَ شقيقتي،
والبحرُ المسطّحُ صار أرجوانياً كمثلِ تلك الخرقةِ الشّريرة
التي فَكّتْ خيوطُها، أمّي، في أثناءِ عودتِكَ الأخيرةِ إلى المنزلِ.
أستعيرُ قدمين خشبيتين من مأساةٍ قديمةٍ.
الحقيقةُ، في أواخرِ تشرين الأول، لحظةَ صرخةِ ولادتي،
عقربٌ لدغَ رأسَه، وهذا فألٌ مشؤومٌ بحسبِ النجومِ.
وحلمتْ أمّي أنّ وجهَكَ غارقٌ نحو الأسفلِ في البحرِ.

الممثلون الحجريون يتوقّفون لالتقاطِ أنفاسِهم.
توسّلتُ للحبّ أن يصبرَ، ثمّ متَّ أنتَ.

إنّها "الغرغرينةُ" التي أكلتِ العظمَ حتى اللبّ،
كما قالتْ أمّي. وفارقْتَ الحياةَ مثل أيّ إنسانٍ.
كيف لي أن أشيخَ مع تلك الفكرةِ في الرأس؟
أنا شبحُ انتحارٍ ذائع الصّيت،
وموسُ حلاقتي الأزرقُ يصدأُ فوق حنجرتي.
آه، لتعذرَ من جاءَ يطرقُ بوابتكَ
طالباً الاعتذارَ، يا أبي ـ حبيبتكَ، ابنتكَ، صديقتكَ.
إنه حبّي، الذي أسلَمَنا، معاً، إلى الموتِ، يا أبي.

104- ابنةُ مربّي النحل

حديقةٌ من أفواهِ الزهرِ: أرجوانية، فاحمة، مطرّزة بالقرمزي،
تتفتحُ التويجاتُ العظيمةُ، خالعةً حريرها الرّقيقَ.
مسكُها يضوعُ، حلقةً بعد حلقةٍ،
بئرٌ من العطورِ يصعبُ استنشاقَ كثافتِها.
كهنوتيٌّ في معطفكَ الصّوفي، تتحرّكُ
بين القفيرِ والقفيرِ، يا مايسترو النّحل.

قلبي، تحتَ قدمكِ، يا شقيقةَ الحجر.

الحناجرُ ـ الأبواقُ تدقّ تحت وقعِ مناقيرِ الطيرِ.
شجرةُ المطرِ الذّهبي ترمي مسحوقَها النّاعم.
في هذه المخادع الصغيرة، المطرّزة بالأحمر والبرتقالي،
المآبرُ تومئُ برؤوسها، قويةً كالملوك،
في أبوّة السلالة. الهواءُ غنيٌّ، كثيفٌ.
هنا سطوةُ ملكةٍ لا يمكنُ لأمٍّ أن تنافسَها ـ

ثمرةٌ قد تكون الموتَ بعينه إذا ذقناها:
لحمٌ أسودُ، وقشورٌ سوداء.

في جحورٍ ضيّقة كالإصبعِ، يرتّبُ النحلُ وحيداً
بيوتَه بين الأعشاب. أركعُ على ركبتي
وأضعُ عيني على الفوّهةِ ـ الفمِ، وأرى عيناً
مستديرةً، خضراء، ملتاعةً كدمعةٍ.
أبي، أيّها العريسُ، في بيضةِ الفصحِ هذه،
تحت أكاليلِ زهورِ السُكّرِ،

ملكةُ النّحلِ تتزوّجُ شتاءَ سَنَتِكَ.

105- الناسكُ في المنزلِ القصيِّ

السماءُ والبحرُ، المحاصران بالأفق،
لوحتان للزّرقةِ الصّافيةِ، لكنهما حين أطبقا،
لم يستطيعا أن يسحقا هذا الرّجل.

برأسٍ كحجر، وقدمٍ كمخلب،
وبعد أن أدماها انتفاخُ الصّخور،
وتهديدُ المخالبِ، الآلهةُ العظيمةُ أدركتْ ذلك.

من أجل ماذا، إذن، تحمّلت، متألّمةً،
اللحظات الطّويلة للبردِ والقيظِ،
الطغاة القدامى، إذا كان هذا الرّجلُ

يجلسُ، يهزّه الضحكُ، خلف إفريزِ نافذتِهِ ـ
عمودُه الفقريُ غير محنيٍّ مثل
خشبِ كوخِهِ المنتصب؟

الآلهةُ الصعبةُ كانت هناك، ولا شيءَ آخر.
مع ذلكَ، أصابعُهُ صكّتْ شيئاً آخر.
لم تصكّ آنيةً حجريةً، خشنةً،

بل ذاك الاخضرار المحدّد بعينِهِ.
لكن هذا النّاسكُ عاشها جميعاً.
الوجهُ ـ الصخرةُ، والمخلبُ ـ السلطعونُ،
اقتربتْ من الاخضرار.

طيورُ النّورسِ استحمّتْ في الضّوءِ الأكثر اخضراراً.

106- رجلٌ بالأسود

حيثُ كسّاراتُ المياهِ الأرجوانيةِ
تأخذُ المبادرةَ
وتشقّ البحرَ الرّماديَ

صوب اليسار، والموجةُ
تتكسّرُ قبالةَ اليابسةِ
السّوداء المحاطة بسلكٍ شائكٍ

لسجنِ (جزيرة الوعول)
بزرائب الخنازير المقلّمة،
وأقنان الدجاج، ومراعي القطيع،

صوب اليمين، وجليد آذار
يومضُ فوق البحيرات الصّخرية،
بينما الجروفُ الرّمليةُ الملونةُ تنهضُ

فوق فسحةٍ حجريةٍ عظيمةٍ،
تنحتُها حركةُ المدّ والجزْرِ،
وأنتَ، عبر هذه الصّخور البيضِ،

تمشي بخطى واسعة، مرتدياً،
معطفَكَ الأسودَ، وحذاءَك الأسود،
وشعرك الأسودَ، إلى أن تقفَ هناك،

دوامةً ثابتةً في أقصى البعيدِ،
تمزّقُ الصخورَ، والهواءَ،
وكلَّ ما فيهِ، معاً.

107- منزل النسوةِ العجائز

مرتدياتِ السواد ككائناتِ الخنفساء
هشّاتٍ كمثلِ لقىً أثريةٍ يمكن تهشيمَها
بنفخةٍ واحدةٍ إلى ذرّاتٍ صغيرةٍ،
تزحفُ النسوةُ العجائزُ إلى الخارج،
ليتشمّسْن فوق الصخور، أو ليسندْن
أنفسهنّ على الجدارِ الذي تحتفظُ
حجارتُهُ بدفءٍ قليلٍ.

الإبرُ تخيطُ كمناقيرِ الطّيورِ
سيمفونيةً هجينةً إلى أصواتهنّ:
البنونُ والبناتُ، والبناتُ والبنونُ،
بعيدون، وباردون، كالصّورِ الفوتوغرافيةِ،
وأحفادٌ لا يعرفهم أحدٌ.
التقدّمُ في السنّ يجعلُ أفضلَ نسيجٍ أسود
أحمرَ كالصَدأ أو أخضرَ كالطّحالب.

مع نعيبِ البومِ، تتجمهرُ الأشباحُ القديمةُ
لتفزعهنّ بعيداً عن المرج.
من أسرّةٍ مربّعاتٍ كصناديقِ التوابيت،

النسوةُ يبتسمْن تحت قبّعاتهن.
والموتُ، ذاك الصقرُ الأصلعُ الرأس،
يتهادى بين الغرف، فيما فتيلُ الضّوءِ
يقصرُ، شيئاً فشيئاً، مع كلّ زفرةٍ هادئة.

مكتبة
t.me/t_pdf

108- خائطو الشِّباك

في منتصفِ الطّريق، صعوداً، من الميناء الصغيرِ لقواربِ السّردين،
في منتصفِ الطّريق، نزولاً، من البساتين،
حيث حبّاتُ اللّوزِ، المرّةِ، الدقيقةِ،
تسمنُ داخلَ قواقعِها الخضرِ، يمضي خائطو الشِباكِ الثلاث،
يرتدون السوادَ، كأنّ كل فردٍ منهم في حالةِ حدادٍ على أحدٍ.
إنّهم يضعون كراسيَهم المتينةَ على قارعةِ الطّريق، قبالةَ الرّدهات الداكنة لممرّات أبوابِهم.

الشّمسُ تخبزُ ألوانَهم الغُرابيةَ،
وتلوّنُ التينَ بالأرجوانيّ في فيءِ الأوراقِ، وتحيلُ الغبارَ قرمزيّاً.
على الطّريق المسمّى (توماس أورتونيو)، تومضُ شذراتُ الزّجاجِ
كالنقودِ تحت الأختامِ المدوّرةِ لسيقانِ"الدَّجاج" الدُجاج.
البيوتُ بيضاء، فيما الماعزُ الملحيّ للبحرِ يلحسُ زبدَ الصّخور.

وبينما تنشغلُ أصابعُهم برتقِ الخيطان النّاعمةِ والخشنةِ،
تتجوّل عيونُهم في أرجاء البلدة ككرةٍ خضراء وزرقاء.
لا أحدَ يولدُ أو يموتُ دون درايتِهم،
يتحدّثون عن زينةِ العروسِ، وعن عشّاق جريئين كديكةِ الحلبةِ.

القمرُ يتكئ كالتمثالِ الحجريّ لمريمَ، فوق البحرِ الناهضِ، محاطاً بتلك الهضاب الفولاذية التي تنغلقُ عليهم. أصابع أجرّية تفتلُ الكلماتِ القديمةَ، وتحيلُها خيطاناً في شَبَكةٍ:

الليلةَ، ليكنِ السمكُ
حصاداً من فضّةٍ في شِباك الصّيد،
ولتتجوّل، واثقةً، مصابيحُ أزواجِنا وأبنائِنا، بين النّجومِ الواطئةِ.

109- ضفافُ زهر الماغنوليا

هنا، بين صيحاتِ طيورِ النّورسِ،
نتنزّهُ عبر متاهةٍ من الأصدافِ
والأظافرِ، والمستحّاثات الشّاحبةِ، المبقّعة بالأحمرِ،

كأنّ الصيفَ ما يزالُ هنا.
ذاك الفصلُ أدارَ ظهره لنا.
ورغم أنّ حدائقَ البحرِ الخضراء تتهادى

وتنحني، وتستعيدُ مظهرَ
الحدائقِ العصيّة على الزوالِ
في كتابٍ عتيقٍ،

أو رسوماتٍ ملوّنة على حائطٍ،
إلاّ أنّ الأوراقَ خلفنا تتساقطُ وتتوارى.
الشهرُ المتأخّرُ يذبلُ ويذوي، هو أيضاً.

تحتنا، نورسٌ ناصعُ اللّونِ،
يحرسُ رفّاً مزداناً بالعشبِ، محتفظاً به لنفسه،
طارداً نوارسَ أخرى بعيداً عنه. السلطعونُ

يتجوّل فوق حقولِهِ الصخرية؛
وعناقيدُ بلحِ البحرِ تتلألأُ زرقاءَ كالعنب:
منقارُ النورسِ يبشّرُ بموسمِ الحصاد.

رسامُ الألوانِ المائية يمسكُ
فرشاتَه في الهواءِ الصّلدِ.
الأفقُ عارٍ من السفن،

والشّاطئُ والصخورُ عاريةٌ أيضاً.
لكنّه يرسمُ هطولاً من النّوارسِ،
وأجنحةً ترفرفُ في أوج الشتاء.

110- النّائمان

لا خريطةَ تستطيعُ أن تحدّدَ الشّارعَ
حيث يتواجدُ هذان النائمان.
لقد أضعنا كلّ أثرٍ له.
إنهما يستلقيان كأنّما تحت المياه،
في ضوء أزرق لا يتبدّلُ،
فيما النافذةُ الفرنسيةُ مفتوحة قليلاً

تحجبُها زينةٌ صفراء كالستارة.
عبر صدعٍ ضيّقٍ،
روائحُ الأرض الرّطبة تتصاعدُ.
السّحليةُ تتركُ وراءَها خطّاً فضّياً.
أدغالٌ كثّةٌ تحيطُ بالمنزلِ.

بين براعم صفراء كالموت،
والأوراق الثابتة في الشّكل،
يستمرّان في النّوم، فماً على فمٍ.
غبشٌ أبيض يتصاعدُ نحو الأعلى.
فتحتا الأنف الصغيرتان، الخضراوان، تتنفّسان،
وتنظّمان لهما نومهما.

مطرودين من ذاك الفراشِ الدافئِ
لسنا سوى حلمٍ يحلمانِه معاً.
رموشُهما تُبقي الفيءَ فيئاً.
نخلعُ جلدَنا وننزلقُ
إلى زمنٍ آخر.

111- يادو : المزرعةُ الفخمةُ

دخانُ خشبٍ، ومكبّرُ صوتٍ بعيد
يتعالى في هذا الهواءِ الواضحِ،
ثم ما يلبثُ أن ينوسَ.

البندورةُ الحمراءُ هناك، والفاصولياءُ الخضراءُ أيضاً،
يسحبُ الطبّاخُ منديلاً ورقياً
من عرّيشة العنبِ

ليضعَ فوقه الحلوى. شجرةُ التنّوب تكتظّ بالعصافير.
سمكُ الشّبوط الذّهبي يلمعُ في البحيرة.
يعسوبٌ يزحفُ

فوق نثراتِ الأوراقِ ليمتصّ عصيرَ التفّاح.
ضيوفٌ في غرف الجلوس،
يتسلّون، ويؤلّفون.

داخل الأبوابِ، طائرُ فينيقِ (تيفاني) يصعدُ
فوق المدفأة؛
مزلقتان مرسومتان

ترسوان فوق نسيجٍ أرجوانيٍّ قرب قائمةِ الدرابزين.
مدافئُ الخشبِ تحترقُ كخبزٍ محمّص.
الضيفُ المتأخّرُ

يصحو، ويصبحُ على سماءٍ من الفضّة،
نافذةٌ بإطارٍ من اللؤلؤِ،
ثلجٌ ناصعٌ كالزِّنك.

112- مَدالية الثعبان

قرب البوابةِ، ذات النجمِ والقمرِ،
متوارياً في جذعِ الخشبِ المقشّر،
يستلقي الثعبانُ البرونزيُّ

خامداً كسيورِ حذاء.
هو ميتٌ، لكنه ما يزالُ ليّناً. فكّهُ
مفتوحٌ، وابتسامتُهُ مقوّسةٌ،

ولسانُهُ سهمٌ ورديّ اللّونِ.
فوق يدي أعلّقهُ.
عينُهُ القرمزيةُ الصغيرةُ

اتقدّتْ بلهبٍ زجاجيٍّ
ما إن أدرتُها نحو الضّوء.
حين، مرةً، قسمتُ صخرةً إلى نصفين،

توقّدتْ نثراتُ العقيقِ الصغيرةُ بتلك الطّريقة.
الغبارُ أحالَ لونَ الظّهر إلى الأصفرِ المؤكسدِ
كما تفتكُ الشّمسُ بسمكِ الشبّوطِ المرقّط.

مع ذلك، حافظَ بطنُه على نارِهِ،
زاحفاً تحت درعِ الحديدِ،
حيث الجواهرُ العتيقةُ تتوارى،

داخل حراشفِ البطن الغامضةِ.
عبر زجاجٍ حليبيٍّ ظهرتِ الشّمسُ على أشدّها.
وأنا رأيتُ يرقاتٍ ناصعةً تتكوّرُ

دقيقةً كالدبابيسِ، في الكدمةِ القاتمةِ،
حيث انتفختْ أحشاؤه
كأنّه ابتلعَ فأراً.

ساطعاً كالسكّين، كان طاهراً بما يكفي،
كمثلِ معدنِ الموتِ الصّافي. حجرُ الآجرّ
الذي رماهُ عاملُ الباحةِ رسَمَ اكتمالَ ضحكتِهِ.

113- حديقةُ المزرعة

النوافيرُ جفّتْ والورودُ ذبلتْ.
إنه عبقُ الموتِ. يومُكِ شارفَ على نهايتِهِ.
ثمارُ الأجاصِ تنهضُ كتماثيلِ بوذا الصّغيرةِ.
ضبابٌ أزرقُ يجرُّ البحيرةَ.

تتحركُ عبرَ حقبةِ الأسماكِ،
عبر قرونٍ من سني الخنزيرِ -
الرأسُ، وبصمةُ القدمِ، والإصبعُ،
تخرجُ عاريةً من الظلّ. التاريخُ

يغذّي تلك الأخاديدَ المحطّمةَ،
وتلك التيجانَ من الشّوكِ،
فيما أنثى الغرابِ تنفضُ ريشَها كالثوبِ.
ترِثينَ، أنتِ، الخلَنْجَ الأبيضَ، وجناحَ النحلةِ،

وانتحارَين اثنين، وذئابَ العائلة،
وساعاتِ العتمةِ. بعضُ النجومِ القاسيةِ
تلوّنُ، توّاً، السماواتِ بالصُّفرة.
العنكبوتُ فوق خيطِهِ الدّقيقِ

يعبرُ البحيرةَ. الديدانُ
تتركُ أماكنَها المعتادةَ.
العصافيرُ الصغيرةُ تتجمهرُ،
حاملةً هداياها الصغيرةَ إلى صباحٍ شاقٍّ.

114- خِلدان أزرقان

كأنهّما أتيا من كيسِ فضلاتِ الظّلام،
هذان الخلدان الميتان في أخدودِ الحصى،
هما، لا شكلَ لهما، كمثلِ قفّازين مقذوفين،
يفصلُ بينهما بضعةُ أمتارٍ ـ
جِلدٌ أزرق نهشَه كلبٌ أو ذئبٌ.
أحدُهما لوحدِه تماماً، بدا مثيراً للشفقة،
ضحيةٌ صغيرةٌ انتشلَها من حفرتِها مخلوقٌ أكبر،
ورماها خارج مدارها، تحت جذورِ شجرةِ الدردار.
جثّةُ الثاني تبتكرُ مبارزةً ما في القضيةِ كلّها ـ
توأمان أعميان لدغتهُما الطبيعةُ القاسيةُ.

قبّةُ السّماءِ البعيدةُ رزينةٌ وواضحةٌ.
الأوراقُ، التي هجرتْ كهوفَها الصفر،
بين الطّريق ومياهِ البحيرةِ،
لا تكشفُ عن أيّة فضاءات شرّيرة.
الخلدان، للتوّ، حياديّان كحجرين.
أنفهما اللولبيان، ويداهما الناصعتان، مرفوعتان،
متخشّبتان، كأنمّا في هيئةِ وقفةٍ عائليةٍ.
صعبٌ أن تتخيّل كيفَ ضربَ الغضبُ ضربتَهُ ـ
ثم تلاشى الآن، كمثلِ دخانِ حربٍ قديمةٍ.

(2)

في اللّيلِ تتعالى صيحاتُ الحربِ،
في أذن المحاربِ القديمِ،
فأدخلُ، ثانيةً، فروَ الخلدِ الناعمَ.
الضوءُ موتٌ بالنسبة لهما: هما، بسببِهِ، ينكمشان.
يتحركّان داخل غرفهما الخرساءِ، في أثناءِ نومي،
ويجرفان الترابَ جانباً، ويطاردان
الأطفالَ البدينين للجذرِ والصّخرةِ.
نهاراً، وحدها أكوامُ الترابِ تتنهّدُ.
في الأسفل، ثمة خلدٌ ما، يمكثُ وحيداً.

كفّاهما العريضتان، تشقّان طريقاً،
وتتقدّمان أولاً: تنغرزان عميقاً بحثاً
عن أذيال الخنافس، والفضلاتِ، وكسراتِ الخبزِ ـ
يمضغانها، مرةً بعد مرّةٍ. مع ذلك، تظلّ سماءُ الشّبع النهائيّ
بعيدة جدّاً عن الباب، مثلما كانت منذ الأزل.
ما يحدثُ بيننا، يحدثُ في العتمة، ثم يتلاشى
بيسرٍ وسهولةٍ، مع كلّ زفرةٍ على حدة.

115- غابة داكنة، ومياه داكنة

هذه الغابةُ تحرقُ بخوراً
داكناً. طحالب صفراء تنقّطُ
فوق حريرٍ لامعٍ. وثمة لحىً من

العظام البائدة
للأشجارِ العظيمة.
ضبابٌ أزرق يتحرّكُ فوق

بحيرةٍ غنيةٍ بالأسماك.
السّحالي تقطعُ حدودَ
المياهِ البراقةِ

بالتواءات من قرن الكبش.
في الهواءِ الطّلقِ، هناك
في الأسفلِ، السّنةُ المتأخّرةُ

تصكُّ معادنَها
النفيسةَ والمتنوعةَ.
جذورٌ فضّيةٌ عتيقةٌ

تشرئبّ عالياً من مرآة الماء
التي تسندها النافورةُ.
وبينما ساعةُ الهواءِ الرّمليةُ

تنقّي حفنةً طافيةً
من شذراتٍ ذهبية،
أضواءُ المياهِ الساطعةُ

تدحرجُ كراتِها
الواحدة تلو الأخرى
بين أغصان التنّوب.

116- شجرةُ بولّلي

شجرةُ بوللي هي شجرةُ الأحلام:
دغلٌ من العيدانِ،
وكلّ غصنٍ وبريٍّ

ينتهي في وريقةٍ
ذات إطارٍ رقيقٍ
لا نظيرَ له

أو في زهرةِ الطّيفِ
المسطّحةِ كالصفَحةِ،
ذات اللّون

الضبابيّ كزفرةِ الصقيع،
أكثر ندرةً
من أيةِ مروحةِ حريرٍ

تحملها السيّداتُ الصينياتُ
لتحريكِ هواءِ بيضةِ طائرِ الحنّاء.
البذرةُ ذاتُ الشَّعر الفضّي

كعشبةِ اللّبنِ
تسقطُ هناك، هشّةً،
كمثلِ الهالةِ

المتلألئةِ حول لهبِ الشّمعةِ،
هالةُ خيطِ الدّخانِ
الرّفيعِ، أو تلك النفخةُ

من لدنِ الغيمِ،
تهزّ شمعدانَها الغرائبيَّ.
مضاءةً بشحوبِ

الهندباءِ المرتجفةِ، المرتعشةِ،
تكرجُ زهورُ الأقحوانِ الناصعةُ،
وتتبعُها بنفسجةٌ لها وجهُ النّمر:

إنها تتوهّجُ. آهِ! إنهّا ليست
شجرة عائلة،
شجرة بولّلي هذه، ولا هي

شجرةُ السماءِ، رغم أنّها
تهطلُ رذاذاً من الكريستال،
والرّيشِ، والزهرِ.

الشجرةُ نبتتْ من وسادتِها
مكتملةً كبيتِ العنكبوت،
مضلّعة كيدِ الإنسان،

شجرةُ الأحلامِ تلك. شجرة بولّلي
ترتدي قوسَ فالنتاين
من قلوبٍ تنزفُ دموعَ اللؤلؤِ

فوق كمّ ثوبها،
تتوّجُها
نجمةٌ زرقاء كزهرةِ السّوسن.

117- الصّرح

لن أقدرَ أبداً رتقَ أجزائِكَ المبعثرةِ،
ولن أصفّفها، وأصمّغها، وألصقها، كما ينبغي.
نهيقُ بغلٍ، وشخيرُ خنزيرٍ، ووقْوقةٌ فاسقةٌ،
تخرجُ من شفتيكَ العظيمتين.
هذا أكثر سوءاً من فناءِ مخزنِ التّبن.

ربما كنتَ تظنّ نفسكَ وسيطاً للوحي،
ناطقاً باسمِ الموتى، أو اسمِ إلهٍ، أو سواه.
ثلاثون عاماً، مضتْ، الآنَ، وأنا أحاولُ
أن أجرفَ الوحلَ من حنجرتكَ.
لم أكنْ الأكثرَ حكمةً البتّة.

صاعدةً سلالمَ صغيرة، أحملُ أكثرَ من دلوٍ
وآنيةَ صمغٍ من (لايسول)،
أزحفُ كالنّملةِ في ثوبِ الحِداد،
فوق الهكتارات العشبيةِ لحاجبيكَ،
أرمّمُ الفراغاتِ العملاقةَ لجمجمتكَ،
وأنظّفُ الطميَ الأبيضَ من عينيكَ.

سماءٌ زرقاء، من تخوم (أورستيا)،
تنحني كالقوسِ فوقنا. آهٍ، يا أبي، وحيداً بكلّيتكَ،
أنتَ قويٌ ومصقولٌ، وتاريخيٌّ، كالمنتدى الرّوماني.
أفتحُ زوّادتي فوق هضبةٍ من الصفصافِ الأسودِ.
عظامُك المخدّدةُ، وشعرُك العشبيُّ، كلّها مبعثرة

في تلك الفوضى القديمة على طولِ خطّ الأفق.
قد يتطلبُ الأمرُ أكثر من صاعقةِ برقٍ
لخلقِ طلَلٍ كهذا. ليالٍ بحالها أجثمُ في دوحةِ
أذنكَ اليسرى، محتميةً من الرّيح،

أحصي على أصابعي النجومَ الحمرَ،
وتلك التي لها لونُ البلحِ. الشّمسُ تشرقُ
من عمودِ لسانِكَ، وساعاتي تزوّجها الظلُّ.
لم أعدْ أُصغي لاحتكاكِ الهيكلِ
بالأحجارِ الملساءِ لرسوّ السفينةِ.

118- أرضيةٌ خصوصيةٌ

صقيعٌ أوّل، وأنا أمشي بين ثمارِ الزّهر،
وأصابعِ الرّخامِ للحسناوات الإغريقيات،
التي جلبْتها معكَ من كومةِ الآثارِ في أوروبا،
لتجمّلَ عنقكَ من غاباتِ نيويورك.
قريباً ستُوضعُ كلَّ سيدةٍ بيضاء على منصّة،
في وجهِ المناخِ القارسِ.

طيلة هذا الصباح، عبر زفرات الدخان،
الرّجل البارعُ، يجفّف بحيراتِ الأسماكِ المذهّبة.
إنها تنهارُ كالرئات، فيما المياهُ الهاربةُ
تعودُ أدراجَها، وشيعةً بعد أخرى، نحو
الطاولة الأفلاطونية الصّافية، حيث تحيا.
سمكةُ الشبّوط الصغيرة تبقّعُ الطّينَ مثل قشرةِ البرتقال.

أحدَ عشرَ أسبوعاً، بتُّ ضليعةً بمزرعتكَ
ولم أعدْ أحتاجُ للتجوالِ في الخارج أبداً.
طريقٌ سريعٌ خارقٌ مهرَ عزلتي هنا.
تتبادلُ سمومَها سياراتُ الشمال والجنوبِ
وتدهسُ الأفاعي الضالّةَ وتحيلُها شرائطَ رقيقة.

ها هنا، تفرغُ الأعشابُ أحزاني فوق حذائي،
فيما الغاباتُ تئنُّ وتتألّمُ، والنهارُ ينسى نفسَه.
أنحني فوق هذا الحوض المجفّف، حيث الأسماكُ
الصغيرةُ تتلوّى وتنثني، كلّما تجمّدَ الوحلُ.
إنّها تتلألأُ كالعيونِ، وأقومُ بالتقاطِها جميعاً.
إنّها مشرحةُ الجذوعِ العتيقةِ، والصّورِ العتيقةِ،
حيث البحيرةُ التي تفتحُ وتنغلقُ،
تستقبلُها بين انعكاساتِها.

119- قصيدةُ الميلاد

I- من؟

شهرُ تفتّحِ الأزهارِ انتهى. الثمارُ ظهرتْ،
مأكولةً أو فاسدةً. أنا الفمُ.
تشرين الأول هو شهرُ التخزين.

السقيفةُ عفنةٌ كمعدةِ جدّتي:
أدواتٌ قديمةٌ، ومقابضُ، ومساميرُ صدئةٌ.
أشعرُ بالألفة هنا بين رؤوسِ الموتى.

دعني أجلسْ في أصيصِ زهرةٍ،
لن تلاحظَ ذلك العناكبُ.
قلبي زهرةُ ابرةِ الرّاعي المتوقّفة.

لو أنّ الريحَ تتركُ رئتيّ وشأنهما فقط.
الكلبُ يشمّ البتلات. البراعمُ رأساً على عقب.
إنها تخشخشُ كمثلِ دغلٍ من نباتِ كوبِ الماء.

الرؤوسُ المهترئةُ تواسيني،
لقد ثُبتتْ بالمساميرِ على الرّوافدِ الخشبيةِ، البارحة:
سجناء لا يعرفون السباتَ الشّتويَّ.

رؤوسُ الملفوف: أرجوانيةٌ، ناصعةٌ، مع لمعةِ الفضّة،
حجابٌ لأذنِ البغلِ، جلدٌ خرِبٌ، لكن بقلبٍ أخضر،
عروقُها بيضاء كدهنِ الخنزير.

آهٍ، يا لجمالِ الاستعمالِ!
ليس لليقطين البرتقالي عينان.
هذه الفتحات مكتّظة بالنسوة
اللّواتي يحسبن أنفسهنّ طيوراً.

هذه مدرسةٌ مملّة.
أنا جذرٌ، حجرٌ، كرةُ بومٍ،
وبلا أحلامٍ من أيِّ نوعٍ.

أمّاه، أنتِ الفمُ الوحيدُ
الذي أرغبُ في أن أكون لساناً له. يا أمّ الغيرِيةِ،
كِليني. متثائبُ سلّةِ المهملات، ظلُّ ردهةِ الباب.

قلتُ: ينبغي أن أتذكّرَ هذا، بما أنني صغيرة.
كانت توجدُ تلك الزّهور العملاقة،
أفواهٌ حمرٌ وأرجوانيةٌ، وهي جميلةٌ بالمطلق.

أطواقُ فروعِ شجرِ العلّيقِ جعلتني أبكي.
إنها تنيرني، الآنَ، كمثلِ مصباحٍ كهربائي.
على مدى أسابيع لم أستطعْ أن أتذكّرَ شيئاً.

II- بيتٌ مظلمٌ

هذا بيتٌ مظلمٌ، وكبيرٌ جداً.
صنعتُه بنفسي،
خليةً، خليةً، من زاويةٍ هادئة،
ماضغةً الورق الرّمادي،
الذي ينقّطُ قطراتِ صمغٍ،
تصفرُ وتدغدغ أذني،
وأنا أفكّرُ بشيءٍ آخر.

للبيتِ سراديب عدّة،
أغوارٌ لسمكِ الأنكليس!
وأنا مستديرةٌ كطائرِ البوم.
أرى بضوئي ذاتِهِ.
في أيّ يومٍ يمكن أن أنجب جِراءً
أو أصبحَ أمّاً لحصان.
بطني يتحرّكُ.
ينبغي أن أرسمَ خرائطَ أكثر.

هذه الأنفاقُ النخاعيّةُ!
مقيدةَ اليدين، ألتهمُ طريقي.

بفمي كلّه ألعقُ الدغلَ،
وقدورَ اللّحمِ.
يعيشُ في بئرٍ قديمة،
في حفرةٍ حجريةٍ. عليه يقعُ اللّوم.
لأنّه من النّوعِ البدين.

روائحُ حصىً، وغرفٌ خضراء.
خيشومان ضيّقان يتنفّسان.
حبٌّ صغيرٌ متواضعٌ.
تافهون، بلا عظامٍ، كالأنوف،
وشيءٌ ما، دافئٌ ومقبولٌ،
في حوضِ الجذور.
هنا أمّ تستحقُّ العناقَ.

III- مايناد

(امرأة اعتادت أن تشارك الإله دَينسيوس شعائره الشبقية بحسب الميثولوجيا اليونانية) المترجم

كنتُ امرأةً عاديةً ذاتَ مرّةٍ:
أجلسُ قربَ شجرةِ فاصولياء أبي،
وآكلُ أصابعَ الحكمةِ.
كانت العصافيرُ تدرُّ حليباً.
وكنتُ، حين يزأرُ الرّعدُ، أتوارى تحت حجرٍ مسطّحٍ.

أمُّ الأفواهِ لم تكن تحبّني.
الرّجلُ العجوزُ انكمشَ إلى دميةٍ.
آهٍ، كبرتُ أنا في السنّ جداً، ولن أعودَ إلى الوراء:
عصفورُ الحليبِ ريشٌ،
أوراقُ الفاصولياءِ بكماء كالأيدي.

هذا الشهرُ لا فائدةَ تُرتجى منه.
الموتى ينضجون بين أوراقِ الكرمةِ.
لسانٌ أحمرُ بيننا.
أمّاه، لا تقتربي من مخزنِي للحبوب،
إنّي أتحوّلُ إلى شخصٍ آخر.

ملتهمٌ برأس كلبٍ:
أطعمَني توتَ الظّلامِ.
الجفونُ لن تُطبق.
الوقتُ يتفكّكُ من السرّةِ العظيمة للشّمس،
ذاك البهاء اللامتناهي.

ينبغي أن أبتلعَهُ بكلّيته.

أيتُها السيّدةُ، من هم هؤلاء الآخرون في برميلِ القمرِ ـ
نائمين، سكارى، وأطرافهم متعاكسة؟
في هذا الضوءِ، الدمُ داكنٌ.
قل لي ما اسمي.

IV- الوحش

كان رجلَ البورصة من قبل،
ملكُ الصَحنِ، حيواني المحظوظ.
كان التنفّسُ سهلاً بين أحضانِه الهوائيةِ.
لطالما جلستِ الشمسُ تحت إبطه.
ولا شيءَ أُصيبَ بالتعفّن.
اللامرئياتُ الصغيرةُ في خدمتِهِ، على قدمٍ وساق.
الأخواتُ الزرقاوات أرسلْنَني إلى مدرسةٍ أخرى.
القردُ عاشَ تحت قبّعةِ المغفّلِ.
لقد ظلَّ يرمي لي القبُلات.
بالكادِ كنتُ أعرفُه.

ولم يكنْ سهلاً التخلّص منه:
هاذيةً، دامعةً، ومتأسّفةً،
تلك الرّوح الصغيرة الخاطئة، بأحشاء مألوفة.
صندوقُ القمامةِ يكفيه.
الظلمةُ عظامُه.
نادِهِ بأيّ اسمٍ، وسوف يلبّي النداءَ.

مرحاضُ الوحلِ، والوجهُ السعيدُ القذرُ.
لقد تزوّجتُ خزانةً من القمامة.
افترشتُ بركةَ الأسماك.
لكن، في الأسفل، هنا، السماءُ دائماً تتداعى.
الزريبةُ خلف النّافذة.
بقُّ النجومِ لن يرحمَني هذا الشهر.
في نهاية أمعاءِ الوقتِ، أرتّبُ ما حولي،
بين حشرات النملِ والرخويات،
أنا دوقةُ اللاّشيءِ،
وعروسُ التمزيقِ بالأنيابِ.

V-أنغامُ ناي من بحيرةِ القصب

الآنَ تأتي البرودةُ، مترسّبةً نحو الأسفل، قشرةً، قشرةً،
إلى غرفتِنا عند جذرِ الزّنبقةِ.
فوقنا مظلاتُ الصّيفِ القديمةُ
تذوي كمثلِ يدين بلا رأفة. أجل، ثمة ملاذٌ قليل هنا.

في كلّ ساعة توسّعُ عينُ السماءِ
فضاءَها الأبيضَ. ليست النجومُ أكثر قرباً.

للتوّ فمُ الضفدع وفمُ السمكةِ يشربان
نبيذَ الخمول، والأشياءُ جميعُها تغطسُ
إلى الأغوارِ النّاعمةِ للنسيان.
الألوانُ الطريدةُ تموتُ.
يرقاتُ الدّود تترنّحُ داخل شرنقات الحرير.
الحورياتُ، برؤوسهنّ التي تشبهُ المصابيح،
تكبو، استعداداً للنّومِ كالتماثيل.

الدمى المتدلّيةُ من خيطانِ سيّدِ الدمى،
ترتدي أقنعةَ القرونِ قبل الذّهابِ للفراش.

هذا ليس موتاً، إنّه الشيء الأكثر أماناً.
الخرافاتُ المجنّحةُ لم تعدْ تطرقُ بابَنا:

الريشُ، بلا ألسنةٍ، يغنّي فوق المياه،
فوق بقعةِ العذابِ في أقصى القصبِ،
يغنّي كيف أنّ إلهاً صغيراً كإصبعِ طفلٍ
سينتفضُ محلّقاً في الهواء.

VI-حرقُ الساحرات

في ساحةِ السّوقِ يكدّسون الحطبَ الجافّ.
دغلُ الظّلالِ ليس سوى معطفٍ مسكينٍ. أستوطنُ
الصورةَ الشمعيةَ لذاتي، جسد دمية.
المرضُ يبدأُ هنا: أنا رقعةٌ ترميها الساحراتُ بسهامهنّ.
وحدهُ الشيطانُ يستطيعُ أن يلتهمَ الشيطان.
في شهرِ الأوراقِ الحمرِ أتسلّقُ فراشاً من نار.

من السهلِ أن تلومَ الظلامَ: فمُ الباب،
بطنُ القبو. هؤلاء أخمدوا ألعابي الناريةَ.
سيدةٌ بمعطفٍ فاحمٍ تحبسُني داخلَ قفصِ ببغاء.
أية عيونٍ واسعةٍ للموتى!
علاقتي حميمةٌ بروحٍ مكسوةٍ بالشّعر.
الدّخان يتدحرجُ من منقارِ هذه الجرّة الفارغة.

إذاً أنا الصغيرةُ، هكذا، غير قادرةٍ على الأذى.
إذا لم أتحرّك، هنا وهناك، فلن أحطّمَ شيئاً. هكذا قلتُ
وأنا أجلسُ تحت جفنِ أصيصٍ، صغيرةً وحياديةً، كحبة أرزّ.
لقد قاموا بإشعالِ المحارقِ، حلقةً، حلقةً.

صرنا مليئين بالنشاء، أصحابي الصّغار النّاصعين. إنّنا ننمو.
الأمرُ مؤلمٌ في البداية. الألسنةُ الحمراءُ سوف تعلّمُ الحقيقةَ.

يا أمَّ الخنافسِ، فقط ارخي يدَكِ:
وسوف أطيرُ نحو فمِ الشّمعةِ مثل برغشةٍ لا تحترق.
استرجعي لي شكلي. أنا جاهزةٌ لتفسيرِ الأيامِ
التي نمتُ فيها مع الغبارِ تحت ظلّ الحجر.
كاحلاي يسطعان. السطوعُ يتسلقُ وركيّ.
أنا ضائعةٌ، ضائعةٌ أنا، بين حبالِ كلِّ هذا الضّوء.

VII-الحجارة

هذه هي المدينة التي يُرمّمُ فيها الرّجالُ.
أستلقي فوق سندانٍ عظميٍّ.
حلقَةُ السّماءِ المسطّحةِ

تطيرُ مثل قبّعةِ الدُّمية
حين سقطتُ عن الضّوءِ. دخلتُ
معدةَ اللامبالاة، الخزانةَ التي بلا كلامٍ.

أمُّ المطارقِ صغّرتني.
أصبحتُ حصاةً ساكتةً.
حجارةُ البطنِ مسالمةٌ،

والحجرُ ـ الرأسُ، هادئٌ لا يحتكّ بشيءٍ.
فقطُ فتحةُ الفمِ أضحتْ فاغرةً،
صرصارُ ليلٍ مزعجٌ

داخلَ محجرةٍ من الصّمتِ.
أناسُ المدينةِ سمعوهُ.
اصطادوا الحجارةَ، ساكتين، منفصلين،

لكنّ فتحة الفم ظلّت تصرخُ فاضحةً أماكنَهم.
ثملةً كجنينٍ
أرضعُ حلماتِ الظّلام.

أنابيبُ الطّعامِ تعانقني. الاسفنجُ يمتصُّ طحالبي.
صائغُ المجوهراتِ يُعملُ إزميلَه
ليقتلعَ الحجرَ الواحدَ للعينِ.

هذه حالةُ ما بعدَ الجحيمِ: إنّي أرى الضوءَ.
الريحُ تخلعُ حجرةَ الأذنِ،
ذاك القلق القديم.

الماءُ يهدّئُ شفةَ الصوّان،
وضوءُ النّهارِ يطبعُ صورتَه على الحائطِ.
الفلاحون سعداء بتطعيمِ أشجارهم،

يسخّنون كمّاشاتِهم، ويرفعون مطارقَهم الحادّةَ.
تيّارٌ يهزُّ الأسلاكَ،
فولتاً، إثر فولتٍ. خيطٌ جراحيٌّ يرتقُ صدوعي.

عاملٌ يمشي حاملاً جذعَ تمثالٍ ورديّ.
حجراتُ التّخزينِ مملوءةٌ بالقلوبِ.
هذه مدينةُ قطعِ التبديلِ.

ساقاي وذراعاي المضمّدة تفوحُ برائحةٍ حلوةٍ كالمطّاط.
هنا يستطيعون أن يطبّبوا رؤوساً، أو أيٍّ عضوٍ آخر.
يأتي الأطفالُ الصغارُ أيامَ الجمعةِ

يقايضون خطّافاتِهم بالأيدي.
الرّجالُ الموتى يتركون عيوناً للآخرين.
الحبُّ بزّةٌ يرتديها صديقي، الممرّضُ الأصلعُ.

الحبُّ هو عظمُ وعصبُ لغتي.
المزهريةُ، التي أُعيدُ ترميمَها، تحتضنُ
الزهرةَ السَرابية.

أصابع عشر تصنعُ مزهريةً لإيواء الظّلال.
جراحي تلتهبُ. لا يوجدُ ما يمكنُ فعلَه.
سأكونُ في أحسنِ حال، كأنّني جديدة.

4 تشرين الثاني، 1959

120- منتجعٌ محترقٌ

وحشٌ قديمٌ انتهى به المطافُ إلى هذا المكان:

ماردٌ من الخشبِ والأسنانِ الصّدئة.
النارُ صهرتْ عينيه فصارتا نتوءين
من اللّحمِ الأزرقِ الشّاحبِ، لزجتين
كمثل قطرات صمغٍ تسيلُ من لحاءِ صنوبرة.

عوارضُ ودعائمُ جسدِهِ الخشبيةُ
ما تزالُ ترتدي فحمَها كقطيعٍ آسيويٍّ.
لا أستطيعُ أن أقولَ كيف انتهى جثمانُه
تحت قمامةِ الصّيفِ، وشلاّلاتِ الورقِ الفاحمِ.

الآنَ، الأعشابُ الصغيرةُ توحي
بألسنةٍ ورديةٍ ناعمةٍ بين عظامِهِ.
صفيحةُ درعِهِ، وحجارتُه المقلوبة،
أضحت ردهةً للصراصير.

أختارُ وأتفحّصُ كالطبيب،
أو كعالمِ الآثار، أحشاءَهُ الفولاذيةَ،

وأمعاءَهُ المصقولةَ، وكل الانحناءات
والأنابيب التي تجعلُه يركضُ.

الوادي الصغيرُ يأكلُ ما كان يأكلُه يوماً.
مع ذلك فإنّ نسغَ الرّبيعِ
ما زالَ يسيلُ صافياً، مثلما كان من قبل،
من الحنجرةِ المكسورةِ، والشفةِ المستنقعيةِ.

إنه يسيلُ أسفلَ الدرابزين
الأبيض والأخضر للجسرِ.
متكئةً على مرفقي،
أصادفُ امرأةً زرقاءَ، مستحيلةً،

داخل إطار سلّة من أذنابِ القططِ.
أوه، إنّها لطيفةٌ ودمثةٌ،
وهي تجلسُ تحت الماءِ الأخرس!
إنها ليستْ أنا، إنها ليستْ أنا.

لا حيوانَ يطأُ عتبةَ بابِها الأخضر.
ونحنُ لن ندخلَ إلى هناكَ أبداً،
حيث الأزليون يملكون بيتاً.
التيارُ الذي يمرّ بنا

لا ينعشُ ولا يشفي.

11، تشرين الثاني، 1959

121- نباتاتُ الفطر

خلالَ اللّيل،
ناصعاتٍ جدّاً، حذراتٍ جداً،
هادئاتٍ جدّاً،

أطرافُ أقدامِنا، أنوفُنا،
تخيّمُ فوق الترابِ
وتستنشقُ الهواءَ.

لا أحدَ يرانا،
أو يوقفُنا، أو يخونُنا؛
سنابلُ القمحِ الصغيرةُ تفردُ لنا مساحةً.

القبضاتُ الناعمةُ تصرُّ على
صقلِ الإبرِ
والأسرّة الظليلةِ،

حتى الطّريق الموصل إلى هناك.
مطارقُنا، أكباشُنا،
بلا آذانٍ، وبلا أعينٍ،

وبلا أصواتٍ، تماماً،
توسّعُ الصدوعَ،
وتزحفُ داخلَ الحفرِ. نحنُ

نقتاتُ على الماءِ،
على كِسْرات الظلِّ،
مهذّباتِ السلوكِ، نطلبُ

القليلَ أو اللاشيءَ.
الكثيرُ، الكثيرُ، منّا،
الكثيرُ، الكثيرُ، منّا!

نحنُ رفوفٌ، نحن
طاولات، نحنُ وديعاتٌ،
نحنُ قابلات للأكل،

نتدافعُ بالمرافقِ والأكواعِ
رغماً عنّا.
ذرّيتُنا تتكاثرُ:

غداً، في الصّباح الباكرِ،
سوف نرثُ الأرضَ.
أقدامُنا خلف الباب.

13 تشرين الثاني 1959

مكتبة
t.me/t_pdf

1960

122- هذا هو أنت

كالمهرّجِ، سعيداً تقفُ على يديكَ،
قدماكَ النجومُ، وجمجمتكَ القمرُ،
ووجهكَ كالسّمكة. الفطرةُ تجعلكَ
تغرزُ إبهامكَ كالدّيكِ الرّومي.
ملفوفاً على ذاتِكَ ككرةِ الخيوطِ،
تصطادُ ظلامَكَ كما تفعلُ طيورُ البومِ.
أخرسَ كنبتةِ اللّفتِ منذ الرّابع من حزيران،
حتى الأوّلِ من نيسان، عيد الحمقى،
آهٍ، يا المرفرفُ عالياً، يا رغيفي الصّغير.

الغامض كالضَباب، الضائع كالبريد.
الأكثر بعداً من قارّة أستراليا.
الأطلس المقوّس الظّهرِ، القريدس المرتحلُ.
كاملُ الأوصافِ كالبُرعمِ، متأقلمٌ
كمثلِ سمكةِ رِنكة في حوضٍ مخلّل.
سلّةٌ من الأنكليس، ترقصُ وتتلوّى.
نافرٌ كفاصولياء مكسيكية.
صحيحٌ كمثل مبلغٍ محسوبٍ جيّداً.
صفيحةٌ ملساء، فوقها صورةٌ لوجهكَ.

كانون الثاني ـ شباط، 1960

123- الرّجلُ المعلّقُ

من جذورِ شَعري أمسكَ بي إلهٌ ما.
همستُ إلى ظلالِهِ الزّرقِ مثل نبيٍّ صحراويٍّ.

اللّيالي اختُطِفتْ بعيداً عن النظرِ مثل جفنِ سحليةٍ:
عالمٌ من نهاراتٍ جرداء، ناصعة، في محجرٍ بلا ظلالٍ.

ضجَرٌ مفترسٌ ثبّتني إلى هذه الشّجرة.
لو كان هو أنا، لفعلَ كما فعلتُ.

27 حزيران، 1960

124- مولودون توّاً

هذه القصائدُ لم تعشْ: يا لهُ من تشخيصٍ حزينٍ.
أنبتوا أصابعَهم ورؤوسَ أقدامِهم كما ينبغي،
جباهُهم الصغيرةُ أضحتْ ناتئةً بسببِ التركيز.
إذا لم يخْرجوا، ليتنزّهوا، ككلِّ الناس،
فهذا ليس بسبب عوزٍ في الحبِّ الأمومي.

آهٍ، لا أستطيعُ أن أفهمَ ماذا حدثَ لهم!
هيئاتُهم، وأعدادُهم، ملائمةٌ، وكلُّ جزءٍ منهم.
يجلسون سَلسِين، جميلين، في السّائلِ المخلّلِ!
إنّهم يبتسمون، ويبتسمون، ويبتسمون، ويبتسمون، في وجهي.
مع ذلك الرئاتُ لم تمتلأْ بعدُ، والقلوبُ لم تخفقْ بعدُ ـ

إنهم ليسوا خنازير، وليسوا أسماكاً، حتّى،
رغم أنّهم محاطون بهالةٍ شيطانيةٍ، وسَمَكيةٍ ـ
من الأفضلِ لو أنهّم كانوا أحياء، وهذا ما كان حالهم.
لكنّهم موتى، وأمّهاتهُم على وشكِ الموتِ، شروداً،
وهم بغباءٍ يحدّقون، ولا ينطقون بكلمةٍ واحدةٍ عنها.

125- على متنِ السفينة

منتصفَ اللّيلِ، في منتصفِ المحيطِ الأطلسي، على متنِ السفينة.
ملتفّين حول ذواتهم، كالمتوارين خلفَ خمارٍ سميكٍ،
ساكتين كدمى الملابس، في متجرِ الثيابِ،
فيما بضعةُ ركّابٍ، بينهم، يتابعون مليّاً
خريطةَ النجومِ القديمةَ على السّقف.
بعيدة وصغيرة، سفينةٌ وحيدة

مضاءةٌ، مؤلفةٌ من طابقين، ككعكةِ الزّفاف،
تحملُ شموعَها، بطيئةً، نحو الأمام.
الآنَ، لا يوجدُ الكثيرُ يمكن النّظرُ إليه.
مع ذلك لا أحدَ يتحرّكُ أو يتكلّمُ ـ
عازفو البانغو، أولئك العشّاق،
فوق رقعةٍ لا تتجاوزُ مساحةَ السجّادة،
يتناوبون فوق المدّ والجزرِ،
كلٌ واحدٍ وراء أسوارِ قلعتِهِ، الضئيلة الخاصّة،
متحصّنٌ داخلها كملكٍ.
قطراتٌ صغيرةٌ تبقّعُ معاطفَهم، وقفّازاتهم:
لا يشعرونَ بالرّطوبةِ لأنّهم يطيرونَ بسرعةٍ فائقةٍ.
كلُّ شيءٍ قابلٌ للحدوثِ إلى حيث هم ذاهبون.

المرأةُ المتديّنةُ، الشعثاءُ الهيئةِ،
التي يتكفّلُ بها الربّ، (أهداها كتابَ جيبٍ،
ودبّوساً من اللؤلؤ لتثبيتِ القبّعة،
وسبعةَ معاطفَ شتويةً، في آبَ الأخير)
تصلّي، هامسةً، من أجل أن تستطيعَ إنقاذ
طلاّب الفنونِ في برلين الغربية.

عالمُ الفَلَك، الجالسُ قربها، (اسمه ليو)
اختارَ موعدَ رحلتِهِ استناداً إلى النجوم.
يشعرُ بالرّضى لغيابِ كعكِ الجليد.
سيصبحُ غنياً في غضونِ عامٍ (وعليه أن يعرفَ)
يبيعُ الأمّهات الإنكليزيات والويلزيات
أدبيات يسوعية مقابل جنيهاتٍ قليلةٍ.

وثمّة الصيرفيّ، أشيب الشعر، من الدنمارك،
يتشوّق لزوجةٍ، شديدةَ الصّقل، تظلُّ تنتظرهُ
على أحرٍّ من الجمرِ، هادئةً كالماسةِ.
بالوناتٌ، كالأقمارِ، مربوطةٌ بخيطٍ،
إلى رسغِ مالكِها، تشبهُ الأحلامَ الخفيفةَ، تطفو،
ليُطلَقَ سراحُها، فيما بعد، ما إن تظهرَ أخبارُ اليابسةِ.

تموز، 1960

126- نومٌ في صحراء (موجاف ـ نيفادا)

ها هنا لا توجدُ أحجارُ موقدٍ،
بل حبوبٌ ساخنةٌ، ببساطة. إنّها جافّة، جافّة.
والهواءُ خطيرٌ. الظّهيرةُ تتصرّفُ بغرابةٍ،
أمام عينِ العقلِ، إذ تشيّدُ صفّاً من
أشجارِ الحورِ، في المسافةِ الوسطى، وهي الأجسام
الوحيدة بمحاذاةِ الطّريقِ، المستقيمِ والمجنونِ،
الذي يستطيعُ المرءُ بفضلِه أن يتذكّرَ البيوتَ والنّاسَ.
ريحٌ باردةٌ ينبغي أن تستوطنَ هذه الأوراق،
وندىً يُجمَعُ، أغلى ثمناً من النقودِ،
في السّاعةِ الزّرقاءِ، قبل شروقِ الشّمس،
غير أنّها قطراتٌ، غير قابلةٍ للمسِّ، كالمستقبلِ،
أو هي أوهامٌ متلألئةٌ من الماءِ المسفوحِ
لا تنزلقُ إلاّ أمام أعينِ الظمأى.

أفكّرُ بالسحالي التي تجفّفُ ألسنتَها،
داخل صدعِ ذاك الظلّ الصغيرِ جدّاً،
وتلك الضّفدعة التي تحرسُ قطراتِ قلبِها.
الصحراءُ بيضاء جدّاً كعينِ الأعمى،
ولاذعةٌ كالملح. الأفعى والعصفور يكبوان

خلف الأقنعةِ القديمةِ للغضب.
نتصبّبُ قيظاً كمجامرَ في الرّيح.
الشمسُ تعرضُ جمراتِها على الملأ. حيث نستلقي
تتجمّعُ الجنادبُ، الملسوعةُ بالحرارة، داخل
جحورها السوداء، وتبدأُ بالبكاءِ.
قمرُ النهارِ يتوهّجُ مثل أمٍّ آسفةٍ، والزيزانُ
تندفعُ لتختبئَ في خصلاتِ شَعرنا،
وتطردُ، بعيداً، بهمساتِها، هذا اللّيلَ القصيرَ.

5 تموز، 1960

127- عابران في بلدِ الغيوم
(بحيرة الصّخر، كندا)

في هذه البلاد لا يوجدُ قياسٌ أو توازنٌ
يعيدُ النظرَ بطغيانِ الصّخورِ والغابات،
أو، قلْ، بعبورِ هذه الغيومِ التي تمهرُ البشرَ.

لا إيماءةَ منكَ أو منّي يمكنُ أن تلفتَ انتباهَها،
لا كلمةَ تجعلُها تحملُ الماءَ أو النّارَ المضرَمةَ،
كمثلِ مرَدةٍ محليين في لعنةِ كائنٍ أعلى.

حسناً، يتعبُ المرءُ من الحدائقِ العامّة: ويرغبُ الواحدُ
في فسحةٍ لا ترمقُه فيها عينُ شجرةٍ أو غيمةٌ أو حيوانٌ،
بعيداً عن أغصانِ الدّردار، وزهورِ الشّاي الوديعةِ.

ثلاثة أيامٍ، قطعنا بالسيّارة، شِمالاً، قبل أن نجدَ غيمةً
لا تستطيعُ سماواتُ بوسطن المهذّبة استضافتَها أبداً.
هنا، عند التخومِ الأخيرةِ للرّوحِ الهشّة، الكبيرةِ،

الآفاقُ بعيدةٌ جدّاً، لا تستطيعُ أن تكونَ ودودةً

كأعمامِنا، والألوانُ تثبتُ ذاتَها بنوعٍ من الانتقام.
النهاراتُ تختتمُ رحلتَها بوابلٍ من الحمرةِ القرمزيةِ.

اللّيلُ يحطّ الرحالَ بخطوةٍ واحدةٍ جبّارةٍ.
من المريحِ، لأجلِ التغييرِ، أن تعني القليلَ.
هذه الصخورُ لا تقدّمُ سلوىً للعشبِ أو النّاس:

إنّها تشيّدُ سلالةً من البردِ المطلقِ فحسب.
بعد شهرٍ، سوف نتساءلُ ما الحاجةُ لصحنٍ أو شوكةٍ.
أميلُ نحوكَ، مخدّرةً، كأحفورٍ متحجّرٍ. قل لي إنّني هنا.

الرحّالةُ الأوائلُ والهنودُ قد لا يكونون مرّوا من هنا.
الكواكبُ تخفقُ في البحيرةِ كمثلِ خلايا مضيئة.
الصنوبرُ يمحو أصواتَنا في أخفّ، أخفّ، تنهّداتنا.

حول خيمتِنا تهمهمُ أشياءُ البساطةِ القديمة
ناعسةً كنهرِ النسيانِ (ليثي)، محاولةً الدخولَ.
سوف نستيقظُ في الفجرِ بعقولٍ ممحوةٍ كالماءِ.

تموز، 1960

128- المغادرة باكراً

أيتُها السيّدة، غرفتكِ تغصّ بالزّهور.
حين تطردينني، هذا ما سوف أتذكّرهُ،
أتذكّرُ جلوسي ضَجِراً كالفهد
في غابة مصابيحكِ من قناني النبيذ،
حيث وسائد المخملِ، حمراء بلونِ تورّدِ الحلوى،
وأواني الخزف، ناصعة البياض، بأسماكِها الطّائرة من إيطاليا.
أنساكِ وأنا أسمعُ الزهورَ الحلوةَ
تمتصُّ نسغَها من أصصٍ مرصوفةٍ على نسقٍ،
من أباريق وأقداحِ حفلاتِ التتويجِ،
كمثلِ سكارى يومِ الإثنين.
التوتُ النّاصعُ الأبيضُ ينحني
في شكلٍ عناقيد محليةً
أمام المعجبين على رأسِ الطّاولة:
جمهرةٌ من الأحداقِ تنظرُ إلى الأعلى.
أهي براعمُ أم أوراقٌ، تلك التي زينّتهمْ بها ـ
تلك الأشكالُ البيضويةُ المزوّقةُ بالأخضرِ
بنسيجِها الفضّي البرّاق؟
زهرةُ إبرةِ الرّاعي الحمراء أعرفُها جيّداً.
يا أصدقاءُ، يا أصدقاء. لهؤلاء رائحةُ الآباطِ،

والآفات المرتبطة بفصلِ الخريفِ، لكن يضوعُ منها
المسكُ كمثلِ أسرّةِ الحبِّ في صباح اليومِ التالي.
أنفي يرتعشُ بالحنين.
ساحراتُ الحنّاء: نسيجُ نسيجكِ.
على رؤوسِ أصابعهنّ يمشين فوقَ المياهِ
خفيفات الكثافة كالضّباب.

الزّهورُ في إبريقِ النبيذِ طردتِ
الأشباحَ في اللّيلةِ الماضيةِ. آن الأوانُ الآنَ.
تيجانُها الصفرُ أضحتْ جاهزةً للانفصال.
حين شخرْتِ، نائمةً، سمعتُ البراعمَ تسقطُ،
بنقراتٍ خفيفةٍ، وصريرٍ مبحوحٍ، كأصابعَ قلقة.
كان من الأفضلِ رميَها
في سلّة المهملاتِ قبل أن تموتَ.
عند مطلعِ الفجرِ رفُّ الخزانةِ
أضحى مرصوفاً بالأيادي الصّينية.
الآن تحدق بي الأقحوانةُ
بحجمِها الكبيرِ كرأسِ الجنرالِ (هولوفيرن)،
مغطّسةً في رحيقِ الأرجوانِ ذاتِهِ
كهذا المقعدِ القصيرِ والسميكِ.
في المرآةِ تسندُها صورُها المنسوخةُ.

هيا اسمعي! فئرانُكِ المستأجرةُ تخشخشُ
داخلَ علبِ البسكويت. الطحينُ الناعمُ
عفّر أقدامَها التي تشبهُ سيقانَ العصافيرِ: إنهّا تصفرُ
تعبيراً عن البهجةِ. وأنتِ تنامين، أنفكَ باتجاهِ الحائطِ.
هذا الرذاذُ يليقُ بي كسترةٍ حزينةٍ.
كيف استطعنا الوصولَ إلى حجرتكِ العلوية؟
ناولتْني النبيذَ في قدحٍ يشبهُ برعماً من زجاج.
نمنا كحَجَرين. أيتُها السيّدةُ، ما الذي أفعلُهُ هنا،
برئةٍ مملوءةٍ بالغبارِ، ولسانٍ من خشب؟
ركبتاي تركعان، عميقاً، في البردِ،
غارقتان بباقاتِ الورد؟

25-أيلول، 1960

129- رسالة حبّ

ليس سهلاً التعبير عن التغييرِ الذي أحدثْتَهُ.
إذا كنتُ حيةً، الآنَ، فهذا يعني أنني كنتُ ميتةً،
مع أنني، كالحجرِ، لم أكنْ آبهُ بذلكَ،
ماكثةً، هنا، بحسبِ قوانينِ العادةِ.
لم تحرّكْني قيدَ أنملةٍ إلى الأمام، كلا ـ
ولم تتركني أصوّبُ عيني الصغيرةَ المفتوحةَ
صوبَ السماءِ، ثانيةً، بلا أملٍ، بالطبع،
لتفسيرِ معنى الزرقةِ، أو النجومِ.

لم يكن هذا البتّةَ. نمتُ، قلْ: أفعى
تتخفّى بين صخورٍ سوداء، كمثلِ صخرةٍ سوداء،
في الفجوةِ البيضاءِ للشتاءِ ـ
وكمثلِ جيرانٍ لي، لا أبحثُ عن المتعةِ
في مليونِ خدٍّ، منحوتاً جيّداً، يشتعلُ،
في كلِّ لحظةٍ، ليذيبَ خدّيَ البازلتيّ.
لكنّها انصرفتْ للدموع، ملائكة تنتحبُ
على طبائعَ بليدةٍ، لكنها لم تقنعني.
تلك الدموعُ تجمّدتْ. لكلّ رأسٍ ميتٍ
قناعٌ من جليد.

ثم أوغلتُ في النّوم كإصبعٍ مقوّسة.
الشّيءُ الأوّلُ الذي رأيتُهُ هو الهواءُ المحضُ
وقطرات محبوسة تتصاعدُ كالنّدى،
شفافةً كالأرواح. أحجارٌ كثيرة تبعثرتْ
كثيفةً، بلهاء، في الجوار.
لم أكن أعرفُ كيف أفسّرُ ذلك.
رحتُ أتوهّجُ، شفّافةً، ثم تدفّقتُ،
وسكبتُ ذاتي، كالسّائلِ، بين أرجلِ
الطيورِ، وسيقانِ النباتْ.
لم أكنْ مغفّلةً. وعرفتكَ على الفورِ.

الشجرةُ والحجرُ توهّجا أيضاً، بلا ظلالٍ.
إصبعي استطالتْ شفّافةً كالزّجاج.
بدأتُ أبرعمُ مثل غصنٍ في أذار.
ذراعٌ وساقٌ، ذراعٌ، ثمّ، ساقٌ.
من حجرٍ إلى غيمةٍ، صعدتُ.
صرتُ أشبهَ بإلهٍ يطفو في الهواء،
في تبدّلٍ للروحِ، صافيةً، كلوحِ الجليدِ.
تلك كانت الهبة الغامضة.

16، تشرين الأول، 1960

130- حكماء (أو عبدةُ يسوع)

المجرّداتُ تحلّقُ كمثلِ ملائكةٍ مملّين:
لا شيءَ أكثر تفاهةً من أنفٍ أو عينٍ،
تهيمنُ على الخلاءِ الأثيري، ودوائرِ الأفقِ.

بياضُهم لا علاقةَ له بأيّ غسيلٍ،
بالثلجِ، أو بالطّباشيرِ، أو ما شابه.
إنّهم الشّيء الحقيقي، كما ينبغي: الخيرُ، الحقُّ ـ

أصحّاء، وأنقياء، كمثلِ ماءٍ مغليٍّ،
بلا حُبٍّ كجدولِ الضّربِ.
بينما الطفلُ يبتسمُ للهواءِ الرّقيقِ.

أتتْ إلى العالم، منذ ستةِ أشهرٍ فقط، لكنّها كانت قادرةً
على أن تهزَّ الجهاتِ الأربعَ، كمثلِ أرجوحةٍ منضدةٍ.
بالنسبة لها، الفكرة الثقيلةُ للشرّ، التي تحيقُ بفراشِها

هي أقلّ وطأةً من ألم البطن،
والحبُّ، أمُّ الحليبِ، لم يكن مجرّدَ نظريةٍ.
إنهم يخطئون نجمتَهم، عبدةُ الإلهِ، الورقيين، أولئك.

يريدون حجرةَ فيلسوفٍ كأفلاطون، رأسهُ كالمصباحِ.
دعهمْ يصعقون قلبَهُ بفضيلتِهِم،
أية فتاةٍ بمقدورها أن تتألّقَ مع صحبةٍ كهذه؟

131- شموع

إنّها آخرُ الرّومانس، تلك الشّموع:
رأساً على عقبٍ، قلوبٌ من الضّوء، تلامسُ
الأصابعَ الشّمعيةَ، والأصابعُ، مأخوذةً بهالاتِها،
تبيضُّ ناصعةً بيضاء، شفافةً تقريباً، كمثلِ أجسادِ القدّيسين.
من المحزنِ أنّها ستتجاهلُ

عائلةً بحالهِا من الأجسامِ البارزة،
كي تغطس ببساطةٍ في أصقاعِ العينِ،
وفي محجرِ ظلالِها، وضفافِ قصبِها،
تلك المالكة، التي تجاوزتِ الثلاثين، رغم انعدامِ جمالِها.
سيكونُ ضوءُ النّهارِ أكثرَ إنصافاً،
مانحاً كلّ امرئٍ حصَّته من الإنصات.
كان ينبغي أن يغادروا مع مناطيدِ الهواء،
هذا ليس وقتَ وجهاتِ النّظرِ الخاصّة.
حين أمتطي واحداً منها،
أنفي يرتعشُ.
ألوانُها الصفرُ الشّاحبةُ

تجرُّ معها مشاعر "إدواردية" زائفة،
فأتذكّر جدّتي، أمّ أمّي، من فيينا.
كتلميذةٍ في المدرسةِ قدّمتْ زهوراً لفرانز جوزيف.

مواطنو الحكم الذاتي تعرّقوا وبكوا. الأطفالُ ارتدوا الأبيضَ.
وجدّي، والدُ أبي، استغرقَ في التفكير، في مقاطعة تايرول،

متخيلاً نفسَهُ نادلاً متفوّقاً في أمريكا،
طافياً في سكونِ كنيسةٍ رفيعةٍ،
بين دلاءِ الجليدِ، ومناديلِ الصّقيع.
هذه المصابيحُ الصغيرةُ من الضّوءِ حلوةٌ كالخوخِ.
بلطفٍ، مع المقعَدِين والنسوةِ العاطفياتِ جداً،

يهدّئون القمرَ الأجردَ. بأرواحِ الرّاهباتِ،
يحلّقون صوبَ السّماءِ، ولا يتزوّجون أبداً.
عينا الطفلِ الذي أحرسُ بالكادِ تريان الضّوءَ.
بعد عشرين عاماً سوف أصبحُ متخلّفةً تماماً،
مثل هذا البرغش الهائمِ في الهواء.

أراقبُ دموعَهم تُذرَفُ، وتصيرُ لؤلؤاً.
كيف يمكنني أن أنبسَ ببنتِ شفةٍ،
لهذا المولود الذي ما زالَ يعاني دوخةَ المخاضِ؟
الليلةَ، كمثلِ وشاحٍ، يضمّها الضّوءُ الوديعُ،
والظلالُ تنحني أمامها كضيوفٍ في حفلةِ تعميدٍ.

17، تشرين الأول، 1960

132- حياة

المسْها: لن تنكمشَ كمقلةِ العينِ،
المنطقةُ ذات الشّكلِ البيضوي، تلكَ النقية كالدّمع.
هنا البارحة، وهنا العام الفائت ـ
أوراقُ البلحِ كالرّماحِ، وزهورُ السّوسنِ
فريدةٌ كأنها نباتات للزينة منقوشة بالإبرة
فوق قماشٍ شاسعٍ، لا تسكنُهُ الرّياحُ.

انقرِ الكأسَ بظفرِكَ:
وسوف ترنّ كجرسٍ صينيٍّ، في أقلِّ هبّة هواءٍ،
مع أنّهُ لا يوجد أحدٌ هناكَ لينظرَ،
أو يكلّفَ نفسَه عناءَ الردّ.
الساكنون هنا خفيفون كالفلّين
وكلٌّ منهمكٌ بعملٍ أبديّ.

تحت أقدامِهم، الأمواجُ تنحني على نسقٍ،
لا تتجاوزُ حدودها حين تكونُ شرسةَ المزاج:
متجمّدةً في الهواءِ، كأنمّا موثوقة إلى رسنٍ قصير،
متأهّبة، دائماً، كأحصنةِ الكرنفال.
فوق الرؤوسِ تجلسُ الغيومُ،
باذخةَ المظهرِ، مزيّنةً بالزّخارف،

كوسائد فكتورية. هذه العائلةُ
من وجوهِ فالنتاين يمكن أن تُسعدَ جامعَ آثارٍ:
إنّها تبدو حقيقيةً كخزفٍ حقيقي.

في غيرِ مكان، يبدو الأفقُ جليّاً.
يسقطُ الضوءُ، باهراً، بلا هوادةٍ.

امرأةٌ تجرّ ظلّها في شكلِ دائرةٍ
حول صحنِ قهوةٍ في مشفى.
إنّهُ يشبهُ القمرَ، أو ورقةَ دفترٍ فارغةً،
كأنّما تعرّض لحربٍ خاطفة، خاصّة.
هي، تعيشُ بهدوءٍ تامّ،

بلا أيةِ ارتباطات، كمثل جنينٍ داخل قنينةٍ،
المنزلُ العقيمُ، والبحرُ، الذي اختُزلَ في صورةٍ،
يفتح أمامها منافذَ عديدةً للدخول.
الحزنُ والغضبُ، اللّذان طردتُهما بعيداً،
يتركانها، أخيراً، تعيش وحيدةً.

المستقبلُ نورسٌ رماديٌّ
يغمغمُ، كمواءِ القطّ، عن الرّحيلِ، الرّحيل.
العمرُ والرعبُ، ممرّضان، يحرسانها.
الغريقُ، مشتكياً من البردِ،
يزحفُ، خارجاً، من أعماقِ البحرِ.

18 تشرين الثاني، 1960

133- الاستيقاظُ في الشتاء

أستطيعُ أن أتذوّقَ قصديرَ السّماء ـ
شيئاً من القصديرِ الحقيقيّ.
للفجرِ الشتويّ لونُ المعدنِ،
والأشجارُ تيبسُ في أمكنتِها كأعصابٍ محترقة.
طوال الليلِ أحلمُ بالدمارِ، والإبادة ـ
صفّ طويلٌ من الحناجرِ المذبوحةِ، وأنا وأنتَ
نتحركُ داخلَ سيارةِ شيفروليه، نحتسي
السمّ الأخضرَ للمروجِ السّاكنةِ، والألواحَ الصغيرةَ
لشواهدِ القبورِ، بلا ضجةٍ، فوق إطاراتٍ مطّاطيةٍ،
في طريقِنا إلى منتجعِ البحرِ.

يا لرجعِ صدى الشرفات! كيف أضاءت الشمسُ
الجماجمَ، والعظامَ المكشوفةَ، التي تتصدرُ المشهدَ!
الفضاء! الفضاء! شراشفُ السرير تنزاحُ بالكاملِ.
أرجلُ السّرير تذوبُ، على نحوٍ مرعبٍ، والممرّضات ـ
كلّ ممرضةٍ رتّقَتْ روحَها إلى جرحٍ، واختفتْ.
ضيوف الموتِ لم تعجبْهم الغرف، أو الابتسامات،

أو النباتات المطاطية الجميلة، أو البحر،

فراحوا يكمّون مشاعرَهم المقشّرة، كمثل الأمّ القديمة، (مورفيا)(*).

(*) ثمة إشارة مضمرة أيضاً لمادّة المورفين المخدّرة.

1961

134- حقول هضبة البرلمان

فوق هذه الهضبةِ الجرداءِ يشحذُ العامُ الجديدُ نصلَهَ.
بلا وجهٍ، شاحبةً كالخَزَف،
تنصرفُ السماءُ الدائريةُ إلى شؤونها الخاصة.
غيابُكَ ليس واضحاً،
ولا أحدَ يستطيعُ القولَ ما الذي ينقصني.

النوارسُ مشّطتْ سريرَ النّهرِ الوحليّ،
وصولاً إلى غرة هذا المرج العشبي. داخل البلاد
يتجادلون، يختلفون ويتفقون، كورقٍ في مهبِّ الرّيح،
أو يرتعشون كأصابعِ شخصٍ مُقْعدٍ. الشّمسُ الشاحبةُ
تنجحُ في نفثِ ومضاتٍ فلزيةٍ،

من البحيراتِ المتعانقة، حتى أنّ عينيّ ترمشان
وتدمعان. المدينةُ تذوبُ كالسكّر.
تمساحٌ ـ من الفتيات الصغيرات اللّواتي
يجتمعن ويتوقّفن، فوضوياتٍ، في زيهنّ الأزرق ـ
يتهيأُ لابتلاعي. أنا حجرٌ، أنا عصاً.

طفلةٌ ترمي قبعةً من البلاستيك القرمزي،
وليسَ، بين الجمهرةِ، من ينتبهُ إلى ذلك.

الثرثرةُ الصّاخبةُ مقنّنةٌ بإحكامٍ شديد.
بعدئذٍ، صمتٌ دونه صمتٌ، يتذرُ نفسَه.
الشمسُ توقفُ تنفّسي كالضمَادة.

جنوباً، فوق (كينتش تاون)، لطخةٌ رماديةٌ
تدثّرُ السقوفَ والشجرَ:
قد تكون حقلَ ثلجٍ أو ضفّةَ سحابٍ.
أظنّ من العبثِ التفكير بكَ على الإطلاق.
قبضتُكَ الزّائفة تركتِ الحبلَ على الغاربِ.

حتّى شاهدة القبر، عند الظّهيرة،
يحرسُها ظلّهُا الأسودُ.
تعرفني أنّني أقلّ ثباتاً،
أنا شبحُ ورقةٍ، أو شبحُ عصفورٍ.
أدورُ حول الشّجرِ الوارفِ. سعيدةٌ جداً.
هذا الصفصافُ الوفيُّ، بأغصانِه الدّاكنة،

يصفنُ، ضارباً جذوراً أعمقَ، في خساراتِه المتراكمةِ.
صرختُكَ تغيبُ كأزيزِ البعوضةِ.
تختفي عن ناظريّ في رحلتكَ العمياء تلك،
بينما عشبُ السهوبِ يتلألأُ، والسّواقي المتدفّقةُ
تُظهِرُ مفاتنَها، وتتابعُ ركضَها. عقلي يركضُ معها،

غارقاً في دمغات الكعوبِ، قالباً الحصى والنبات.
النهارُ يُفرِغُ صورَهُ
مثل كأسٍ أو غرفةٍ. انحناءةُ القمرِ تزدادُ بياضاً،
رقيقةً، كمثلِ بشرةٍ تدرزُ جرحاً.
الآن، فوق حائطِ الرّوضةِ،

تتلألأُ نباتاتُ اللّيلِ الأزرقِ، والهضبةُ الشاحبةُ الصغيرةُ
في صورةِ عيدِ ميلادِ شقيقتِكَ.
الزينةُ الصفراءُ، وورقُ البرديّ من مصر،
تزدادُ ضياءً. كلّ شجيرةٍ زرقاء خلفَ الزجاج،
بأغصانِها التي تشبه أذنيّ الأرنب،

تنفثُ هالةً قرمزيةً،
فيما يشبهُ بالونَ السيلوفان.
الترسّباتُ القديمةُ، والصعابُ القديمةُ
تلاحقُني كزوجةٍ. النوارسُ تتشبّسُ
بسهرِها القارسِ في نصفِ الضّوءِ البارد:
ها إني أدخلُ، أخيراً، البيتَ المضاءَ.

11-شباط-1961

135- عيدُ العَنْصرة (الأحدُ السابعُ بعد عيد الفصح)

ليس هذا ما كنتُ أعنيه:
أقواسُ الجصّ، وصخورُ الشّاطئ تستحمّ في الشّمس،
والعيونُ الجرداءُ، والبيوضُ الفاسدةُ،
وهؤلاء المتلفّعون بجراباتِهم وستراتِهم،
شاحبين، يمتّصون الهواءَ العليلَ كالدواء.

الحصانُ الواقفُ، موثوقاً إلى وتدٍ، يحدّقُ
من خلالِنا: حوافرهُ تمضغُ النسيمَ.
قميصُكَ، الذي من حريرٍ ناعمٍ،
ينتفخُ كشراعٍ مثلّثٍ. حوافّ القبّعة
تصدّ لمعانَ الماءِ؛ والناسُ خاملون
كأنمّا الجميعُ في مشفى.

أشمّ رائحةَ الملحِ، طوالَ هذا اللّيل.
تحت أقدامِنا، البحرُ، بشواربِهِ الطّحلبية،
يتباهى بحريرِهِ الأخضرِ الشّاحبِ،
راكعاً، بخضوعٍ، كمشرقيّ المدارسِ القديمة.
لستَ أكثر سعادةً منّي حيالَ كلّ هذا.
شرطيٌّ يشيرُ بيده إلى جرفٍ فارغٍ،

أخضر كقعرِ البركةِ، حيث فراشاتُ الكرنبِ
تنحدرُ، باتجاه البحرِ، مثلما تفعلُ النّوارسُ،
بينما نتنزّه، نحنُ، وسطَ رائحةِ الموتِ، المنبعثة
من شجرِ الزعرور البرّي.
الأمواجُ تنبضُ، ثم تنبضُ، كالقلوبِ.
تحت براعمِ الزّبدِ، نستلقي، معاً،
كمرضى بحرٍ، جافّين من الحمّى.

14-شباط، 1961

136- زوجةُ حارسِ حديقة الحيوانات

أستطيعُ أن أظلّ مستيقظةً
طوالَ اللّيل، إذا دعتِ الحاجةُ ـ
باردة كسمكة، من دون جفونٍ.
كمثلِ بحيرةٍ داكنةٍ يغلّفني هذا الظلامُ،
زرقاء وسوداء، كثمرة خوخٍ باهرة.
لا فقاعاتِ هوائية تصدرُ عن قلبي. أنا بلا رئتين،
بشعةٌ، وبطني جراباتٌ من حريرٍ،
حيث رؤوسُ وأطرافُ شقيقاتي تتفسّخُ.
انظر، إنهنّ يذبْن كالنقودِ المعدنيةِ في العصائرِ القويّة ـ

الأحناكُ العنكبوتيةُ، وعظامُ العمودِ الفقري،
تعرّتْ للحظةٍ، مثل خطوطٍ بيضٍ فوق طباعة زرقاء.
لو أقومُ بأية حركةٍ، هذه الحقيبةُ من الأحشاء
الوردية والأرجوانية، ستطقطقُ كقعقعةِ طفلٍ،
حسراتٌ قديمةٌ، تتدافعُ، كأسنانٍ سائبةٍ.
ولكن ما الذي تعرفهُ عن ذلك،
يا لحمَ الخنزيرِ المدهنَ، يا حبيبي النحيلَ،
بوجهكَ المشيرِ دوماً نحو الحائط؟
بعضُ الأشياء في هذا العالم لا تُهضَمُ.

أغريتني بخفافيش الثّمرِ،
التي تتدلّى برؤوس الذئاب،
وحدثتني عن خطافاتها المصعوقة،
في الهواءِ الفاسدِ، داخل منزل الثديات الصغيرة.
حيوانُ "المدرّع" يتيهُ في حوض الرّملِ
شبقاً وعارياً كالخنزيرِ، والجرذانُ البيضُ
تضاعفتْ إلى ما لانهاية،
مثل ملائكةٍ فوق رأس دبّوسٍ،
نتيجةَ الملَلِ المحضِ.
تحت الشّراشفِ المبلّلة بالعَرق
أتذكّرُ الصيصانَ الجريحةَ والأرانبَ المحبوسةَ.

تفحّصتَ جدولَ الحميةِ، وأخذْتني لألعبَ
مع بالعِ الفريسةِ، في حديقةِ الزّملاء.
تظاهرتُ بأنني شجرة المعرفة.
دخلتُ إنجيلكَ، وركبتُ سفينتكَ مع القردِ المقدّس،
بأذنيه المستعارتين، الشمعيتين، ومع صاحبِ فراء الذئبِ،
والعنكبوتِ الآكلِ للعصافير، وهو يدور داخل صندوقه الزجاجي
مثل يدٍ بثماني أصابع.
لا أستطيعُ أن أطردَ هذا من عقلي

كيف أنّ لطفَنا أشعلَ الأقفاصَ الملتهبةَ ـ
كركدنّكَ، صاحبُ القرنين، فتحَ فماً
قذراً كفردةِ حذاءٍ، كبيراً كبالوعة مشفى،
بالقياسِ إلى مكعّب السكّر في يدي: زفراتُهُ الوحليةُ
غطّت ساعدي كالقفّازِ حتّى المرفق.
السحالي رمتْ قبلاتها كحبّاتِ تفّاحٍ أسود.
كلَّ ليلةٍ، أجلدُ القرودَ والذئابَ والنعاجَ وطيورَ البومِ
فوق عضادةِ الحديدِ، حيث تربضُ.
مع ذلكَ، لا يأتيني نومٌ البتّةَ.

14-شباط، 1961

137- شدّ الوجهِ

تأتيني بأخبارٍ سارّة من العيادة،
متلفّعاً بشالكَ الحرير، ومبرزاً ملابسَ المومياء
البيضاء الضيّقة، قائلاً: أنا على ما يرام.
حين كنتُ في التاسعة، جعلني طبيبُ التخدير،
بمريوله الأخضر الكلسيّ، أستنشقُ غاز الموز
عبر قناع ضفدعة. القبو الدائخُ
اكتظّ بالأحلامِ السيئةِ، وأصواتِ الجرّاحين.
ثم سبحَتْ أمّي نحو الأعلى، حاملةً حوضاً من الألمنيوم.
أوه، لقد كنتُ مريضةً.

لقد بدّلوا كلّ ذلك. مسافرةً،
عاريةً كمثلِ كليوباترا
خلال نوبتي، المسلوقة جيّداً، في المشفى،
جيّاشة بالمسكّنات، مرحةً، على غيرِ العادةِ،
أترنّحُ باتجاهِ غرفةِ الجلوسِ حيث رجلٌ لطيفٌ
يطقطقُ لي أصابعي. إنه يجعلني أشعرُ بأنّ
شيئاً ثميناً يتسرّبُ من عروقِ إصبعي. وحين
يعدّ إلى الرّقم اثنين، يمسحني الظلامُ
كمثلِ طبشورةٍ عن سبّورة سوداء.
ولا أعرفُ شيئاً.

لخمسةِ أيامٍ أظلُّ مستلقيةً بسرّية تامّة،
أرنّ كبرميلٍ للسوائل،
فيما الأعوامُ تنقّطُ على وسادتي.
حتى أقرب أصدقائي كان يظنّني في الرّيف.
لا جذورَ للبشرةِ، إنها تتقشّرُ بسهولةٍ كورقةٍ.
حين أبتسمُ، تشتدّ خيطانُ قطبِ الجرحِ.
أكبرُ بحركةٍ عكسيةٍ. أنا في العشرين من عمري، كئيبةٌ جداً،
أرتدي تنانير طويلةً، فوق كنبة زوجي الأوّل، أصابعي
مدفونةً في الصوفِ النّاعمِ للكلبِ الميت،
لم أكنْ قد امتلكتُ قطّةً بعدُ.

الآن، هنا انتهتْ، هذه السيّدة، ذات الحضن النديّ،
التي رأيتها تستقرُّ، سطراً، سطراً، في مرآتي ـ
وجهٌ كنعلٍ عتيقٍ، يكبو فوق بيضةٍ مكسورةٍ.
نصبوا لها مصيدةً داخل جرّةٍ في مختبرٍ.
دعوها تموتُ هناك، أو تجفّ، بلا توقّفٍ،
خلال الخمسين عاماً القادمة،
دعوها تومئُ، وتهزّ، وتسرّحُ شعرَها الخفيفَ بأصابعِها.
كأمٍّ لنفسي، أصحو ملفوفةً بالضمادات،
متورّدةً وناعمةً كطفلة.

15-شباط، 1961

138- أغنية صباحية

الحبُّ يجعلكَ تستمرُّ مثل ساعةٍ ذهبيةٍ نادرة.
القابلةُ صفعتْ أسفلَ قدميكَ، فأخذتْ
صرختُك الجرداءُ مكانَها بين العناصرِ.

تتعالى أصداءُ أصواتِنا، مكبِّرةً وصولكَ. تمثالٌ جديدٌ.
في متحفٍ باردٍ، يظلّلُ عريكَ سلامتَنا.
نقفُ حولكَ كحيطانٍ ملساء.

أنا لم أعدْ أمّاً لكَ،
أكثر من تلك الغيمة التي تصنعُ مرآةً
كي تعكسَ زوالهَا البطيءَ بممحاةِ الرّيحِ.

طوالَ اللّيلِ، تتهدّجُ تنهداتُكَ الخفيفةُ
بين الزّهور القرمزية المسطّحةِ. أصحو لأصغي:
بحرٌ بعيدٌ يختلجُ في أذني.

صرخةٌ واحدةٌ، وأتعثّرُ خارجَ السّرير، ثقيلةً كبقرةٍ،
مملوءةً بالزّهورِ، مرتديةً ثوبَ نومي الفيكتوري.
فمُكَ ينفتحُ نظيفاً كفمِ القطّ. مربّعُ النّافذةِ

يزدادُ بياضاً، ويبتلعُ نجومَهُ الضّجرةَ.
الآن، أنتَ تراجعُ قائمةَ ملحوظاتِكَ:
حروفُكَ الصوتيةُ ترتفعُ كالمناطيد.

19-ضباط، 1961

139- امرأةٌ جرداء

خاويةَ أرنُّ، كالصّدى، أمامَ أقلِّ خطوةٍ،
كمثل متحفٍ بلا تماثيل، بأعمدةٍ فخمةٍ،
وأروقةٍ حلزونيةٍ، وقاعاتٍ مستديرةٍ.
في باحتي الخارجية تقفزُ النافورةُ
ثم تغطسُ ثانيةً في أمداءِ ذاتِها،
بقلبِ راهبةٍ، عمياءَ تجاه العالم.
زنابقُ الرّخامِ تنفثُ شحوبَها كالأريج.

أتخيّلُ نفسي، بجمهورٍ كبيرٍ،
أمّاً لربّة النصرِ النّاصعةِ (نايكْ)، ولعشراتِ الآلهةِ
الذين يشبهون (أبولو)، بأعينِهم العاريةِ المفتوحةِ.
لكنْ، يجرحني الموتى بانتباهِهم، ولا شيءَ يحدثُ.
يضعُ القمرُ يدَهُ فوق جبيني،
وبوجهٍ أملسَ، بلا ملامحَ، يواسيني كالممرّض.

21-شباط، 1961

140- نسوةٌ ثقيلات

لا يُدحضُ حسنهنّ، أنيقاتِ الجمال،
كمثلِ الربّة فينوس، واقفات كالتماثيل،
في منتصف الدائرة، متدثّرات بشعرهنّ
الأشقر كالوشاح، وبالرّذاذِ المالحِ لنسيمِ البحرِ،
يجلسن بملابسهنّ الرنّانة.
فوق كلّ معدةٍ سمينةٍ وجهٌ
يطفو هادئاً كقمرٍ أو غيمةٍ.

يبْتسمْن، لأنفسهنّ ، ويتأمّلْن،
بروحانيةٍ عاليةٍ، البصلةَ الهولنديةَ
وهي تطلقُ بتلالتِها العشرينَ.
ما يزالُ الظلامُ يحرسُ سرّهُ.
فوق الهضبةِ الخضراءِ، تحت الأشجارِ الشّوكية،
يستمعْن لمرورِ ألفِ عامٍ،
ولخفقانِ القلبِ الصّغيرِ، الجديدِ.

حولهنّ يتحلّق أطفالٌ بمؤخّراتٍ وردية.
هنّ، يغزلْن الصوفَ، أو لا يفعلْن شيئاً بعينهِ،
بل يتغلْغَلْن بين العناصرِ الأساسية.

الغسقُ يظللهنّ بالأزرق الزهري،
بينما في البعيدِ، يدورُ محورُ الشتاءِ
حول نفسهِ، مكابداً سقوطَ القشّ،
والنجومِ، والرّجال الشائبين المسنّين.

26-شباط، 1961

141- بين الضمادات

لن أستطيعَ الخروجَ من هذا أبداً: ثمة اثنان منّي، الآنَ:
واحدة بيضاء، جديدة بالمطلق، والأخرى، صفراءُ، قديمة.
والبيضاءُ هي الشّخصُ المتفوّقُ بالتأكيد.
إنها لا تحتاجُ للطّعامِ. إنّها واحدة من القدّيسات الحقيقيات.
في البداية كنتُ أكرهُها، ولم تكنْ لديها شخصيةٌ ـ
كانت تنامُ معي في الفراش كالجسدِ الميتِ،
ولطالما أصابني الهلعُ، لأنّ مظهرَها يشبهُ مظهري،

بيدَ أنّها كانتْ أكثرَ بياضاً، وغير قابلة للكسرِ، ولا تشكو أبداً.
لم يكن بمقدوري النوم لأسبوعٍ بحالِهِ، فقد كانتْ باردةً جدّاً.
وكنتُ ألومُها على كلّ شيء، لكنهّا لم تكن تجيبُ.
لم أستطعْ أن أفهمَ ذاك السّلوكَ الأحمقَ!
كنتُ أضربُها، فتظلُّ هادئةً كمسالمةٍ حقيقيةٍ.
ثم أدركتُ أنّ ما كانت تريدهُ هو أن أحبُّها:
بدأتْ تُظهِرُ دفئاً، وبدأتُ أكتشفُ محاسنَها.

لولاي، لما وُجدتْ، وبالتالي كانتْ، بالطّبعِ، ممتنّةً.
أعطيتُها الرّوحَ، وأزهرتُ منها مثلما يزهرُ برعمٌ
من مزهريةٍ ليس زجاجُها البورسلانُ غالياً جدّاً،

وكنتُ، أنا، التي جذبتْ انتباهَ الجميعِ،
وليس بياضَها الناصعَ، أو جمالَها، مثلما حسبتُ في البدايةِ.
كنتُ أظهرُ لها الاحترامَ، لكنّها كانت تذروهُ هباءً:
ولم يكن صعباً أن تلاحظَ، فوراً، أنّ لها ذهنية العبد.

لم أكنْ أعارضُ انتظارَها الدائمَ لي،
ولطالما أحبّتْ، هي، ذلك.
في الصّباحِ، كانت توقظُني باكراً، عاكسةً الشمسَ
بجذعِها المدهشِ، النّاصعِ البياض، ولم يكن بمقدوري
سوى أن أنتبهَ لأناقتِها، وهدوئِها، وصبرِها:
كانتْ تتسامحُ مع ضعفي كأفضلِ الممرّضات،
مبقيةً عظامي في مكانِها، لتجبرَ من كسورِها.
ومع الوقتِ تطوّرتْ علاقتُنا لتصيرَ أكثر حدّةً.

لم تعدْ تناسبني، قريبةً هكذا، وبدَتْ فضفاضةً.
شعرتُ بأنّها تنتقدني، رغماً عنها،
وكأنّ عاداتي باتتْ تضايقُها بطريقةٍ ما.
صارت تسمحُ للبردِ بالدخولِ، وباتتْ، أكثرَ فأكثر، شاردةَ الذّهنِ.
وبدأت بشرتي تلتهبُ، وتتقشّرُ ذراتٍ ناعمةً صغيرةً،
لأنّها، ببساطة، لم تكن تعتني بي كما ينبغي.
ثم اكتشفتُ سببَ المعضلةِ: كانت تعتقدُ أنّها خالدة.

كانت تريدُ أن تتركني، إذ ظنّت نفسَها الأكثر تفوّقاً،
وكنتُ أصرّ على أن تبقى في العتمةِ، وهذا ما أثارَ حنَقَها:
إنّها تبدّدُ أيامَها سدىً وهي تحرسُ نصفَ جثةٍ!
ثم بدأتْ، في سرّها، تتمنّى موتي.
عندئذٍ تستطيعُ أن تغطّي فمي وعينيَّ، وتغطّيني بكلّيتي،
ثم ترتدي وجهيَ المطليّ، بالطريقةِ نفسِها التي ترتدي
المومياءُ وجهَ الفرعونِ، بالرّغم من أنّه من طينٍ وماء.

لم أكنْ جاهزةً بعدُ، بأيّ حالٍ، للتخلّصِ منها:
هي وقفتْ، طويلاً، إلى جانبي، حين كنتُ عرجاء تماماً ـ
بل كنتُ قد نسيتُ كيف أمشي، أو أجلسُ،
وكنتُ حريصةً على أن لا أثيرَ حفيظتَها، بتاتاً،
أو أتوعّدُ، قبلَ الأوانِ، كيفَ سأنتقمُ لنفسي.
الحياةُ معها كانت تشبهُ الحياةَ مع تابوتٍ:
مع ذلكَ، ظللتُ أعتمدُ عليها، ولو نادمةً.

لطالما فكّرتُ أنه يمكننا وضعُ حدٍّ لكلٍّ هذا ـ
إنّه، في المحصّلة، نوعٌ من الزّواجِ، لشدّةِ القرب.
الآن، بتّ أرى أنه حقّاً إمّا أنا، وإمّا هي.
قد تكونُ هي القدّيسةُ، وقد أكون أنا القبيحةُ،
لكنّها ستكتشفُ، قريباً، أنّ ذاكَ لا يعني شيئاً أبداً.
إنني أستجمعُ قواي: ذاتَ يومٍ سأعيشُ من دونِها،
وسوف تهلكُ، عندئذٍ، من الفراغ، وتبدأُ تشتاقُ لي.

18- آذار، 1961

142- وردُ الخزامى أو التوليب

وردُ التوليب فائقُ الحسنِ؛ إنّه الشتاءُ هنا.
انظرْ كيف أنّ كلّ شيءٍ يبدو أبيضَ، وهادئاً،
وانظرْ كيف يتكدّسُ الثلجُ. أنا أتعلّمُ معنى السلام،
مستلقيةً بهدوءٍ، وحدي، بينما الضّوءُ ينعكسُ
على هذه الجدرانِ البيضاء،
وعلى هذا الفراش، وعلى هذه الأيدي.
أنا لا أحد، ولا علاقةَ لي بأية انفجارات.
لقد أعطيتُ اسمي وملابسي النهاريةَ إلى الممرّضات،
وتاريخي إلى طبيبِ التّخديرِ، وجسدي إلى الجرّاحين.

رفعوا رأسي بين الوسادةِ وأصفادِ الشّرشف،
كمثلِ عينٍ بين جفنين أبيضين لا يُطبقان.
البؤبؤ الغبيُّ يريدُ أن يلتقط كلّ شيءٍ.
الممرّضات يعبْرن ويعبْرن، ولا مشكلةَ في هذا،
يعبرْن بقبّعاتهنّ البيض، مثلما تعبرُ طيورُ النّورس،
منهمكاتٍ يقمْن بأعمالهنّ، وكلٌّ تشبهُ الأخرى،
حتى بات من المستحيل أن تعرفَ عددهنّ هناك.

جسدي حصاةٌ، بالنسبة لهنّ، يلمسْنه مثلما
تلمسُ الماءُ الحصى، قبل أن تمرّ فوقه، وتصقلُهُ بلطفٍ.

يأتين لي بالخَدَرِ داخل إبرهنّ اللاّمعة، ويأتين لي بالنّوم.
الآن خسرتُ نفسي لأنّي سئمتُ الأمتعةَ ـ
العلبةُ الجِلديةُ، في أثناء اللّيل، مثل علبةِ دواءٍ سوداء،
زوجي وطفلي اللّذان يبتسمان في صورة العائلة،
ابتسامتُهما تلامسُ جسدي، مثل كلاّباتٍ صغيرةٍ مبتسمة.

تركتُ الأشياءَ تنزلقُ، وثمة قاربُ شحنٍ عنيدٍ،
عمره ثلاثون عاماً، يظلُّ متمسّكاً باسمي وعنواني.
لقد نظّفوا حياتي من كلِّ معارفي الأوفياء.
خائفةً وجرداء، في الشّاحنة، ذات الوسائد الخضراء،
كنتُ أراقبُ علبةَ الشّاي، وخزائنَ أغطيتي، وكتبي
تغرقُ جميعها، متواريةً عن الأنظار، حتى علتِ المياهُ رأسي.
أنا راهبةٌ الآنَ، ولم يسبقْ لي أن كنتُ بهذا الصفاء.

لم أكنْ أريدُ زهوري. كنتُ أريدُ، فقط، أن أستلقي،
بيدين مرفوعتين نحو الأعلى، فارغتين تماماً.
يا له من شعورٍ بالحرّية، وهو شعورٌ لا يصدّق ـ
مناخُ السلام كبيرٌ جداً، لدرجةِ أنه يصيبني بالدوار،
وهو لا يطلبُ شيئاً، سوى لصقة اسم، وبضعةِ لآلئ صغيرة.
إنه المناخ الذي يقتربُ منه الموتى أكثر فأكثر، أخيراً.
أتخيّلهم يغلقون أفواههم عليه، كحبّة العشاء الربّاني.

زهورُ التوليب حمراءُ جداً، في المقام الأول، حتى أنهّا تؤذيني.
بين ورقِ الهدايا أسمعُها تتنهّدُ تنهداتٍ خفيفةً،
عبر أحزمتها البيضاءِ، مثل طفلٍ سيّئ المزاج.
احمرارُها يخاطبُ جرحي، وثمة تراسلٌ بينهما.
إنّها زهور هشّة: تبدو كأنهّا تطفو، رغم أنها تشدّني
نحو الأسفل، وتغيظني بألسنتِها المفاجئةِ، ولونِها.
ثمة عشراتُ البثور الجِلدية الحمراء حول عنقي.

لم يسبقْ لأحدٍ أن راقبني من قبل، لكنني أنا مُراقبةٌ الآنَ.
يلتجئ التوليبُ إليّ، وللنافذةِ خلفي،
حيث، مرةً في النهار، يتّسعُ الضوءُ بطيئاً، وبطيئاً يشفُّ،
وأنا أرى نفسي، سخيفة، ملساء، كظلّ ورقيٍّ مقصوصٍ،
بين عينِ الشّمسِ وعيونِ زهرِ التوليب،
ليس لي وجهٌ، كأنّني أردتُ أن أمسحَ ملامحي.
التوليبُ المنعشُ يستنشقُ أوكسجينَ حجرتي.

قبل أن يأتي التوليبُ كان الهواءُ هادئاً، بما يكفي،
يأتي ويروحُ، زفرةً بعد زفرةٍ، دون أدنى ضجيجٍ.
ثم ملأتْهُ زهورُ التوليبِ بالضجيج العالي.
الآن الهواءُ يدورُ ويلتفّ كالدّوامةِ حولها مثل
نهرٍ يدورُ ويلتفُّ حولَ محرّكٍ غارقٍ، يعلوهُ صدأٌ أحمر.

الزّهورُ تركّزُ انتباهي، الذي كان سعيداً،
يلعبُ ويخلدُ للرّاحة، بعيداً عن أيِّ التزامٍ بشيء.

الحيطانُ، أيضاً، تبدو كأنها تسخّنُ نفسها.
ينبغي أن تبقى زهورُ التّوليب خلف القضبان
مثل حيوانات خطرة.
إنّها تنفتحُ مثل فمِ قطّة إفريقية عظيمة.
وأنا أعي قلبي: إنه يفتحُ ويُغلقُ،
احمرارُه يزهرُ، براعمَ، بسببِ حبّهِ الخالصِ لي.
الماءُ الذي أتذوّقُ، مالحٌ ودافئٌ كالبحرِ،
ويأتي من ريفٍ بعيدٍ كجوهرِ العافيةِ.

28- آذار، **1961**

143- أنا عموديةٌ

لكنّني أفضّلُ أن أكونَ أفقيةً.
أنا لستُ شجرةً وجذري ضاربٌ في التراب،
أرضعُ المعادنَ وحبَّ الأمّ،
وبالتالي، في كلّ آذارٍ، أُنبِتَ ورقةً تتلألأُ،
كما أنّني لستُ حسناءَ سريرِ الحديقةِ،
أجذبُ حصّتي من الآهاتِ، لأنّ طلائي باذخٌ،
دون أن أدري أنّني سرعان ما سأفقدُ براعمي.
بالمقارنة معي، الشجرةُ خالدةٌ،
ورأسُ الزهرةِ ليس طويلاً، لكنّه أكثر إفزاعاً،
وأنا أريدُ ديمومةَ هذه، وجرأةَ تلك.

الليلةَ، في الضّوءِ الدّقيقِ، اللاّمتناهي للنّجوم،
الأشجارُ والزّهورُ تنثرُ روائحَها الباردَةَ.
أمشي بينها، ولكنّها لا تلتفتُ أو تلاحظُ.
أحياناً، عندما أكونُ نائمةً، أحسبُ أنّه
ينبغي أن أتشبّهَ بها جميعاً على نحوٍ تامّ ـ
لكنّ الأفكارَ تزدادُ ضبابيةً.
من الطبيعي أكثر بالنسبة لي أن أستلقي أرضاً.
عندئذٍ، سنكونُ، أنا والسّماءُ، في حوارٍ مفتوحٍ،

وسأكونُ مفيدةً حين أستلقي أخيراً.
عندئذٍ يمكنُ أن تلمسَني الأشجارُ، ولو لمرّةٍ،
وتمنحني الزهورُ بعضاً من وقتِها.

28- آذار، 1961

144- المصاب بالسُّهاد

ليست السماءُ، الليلةَ، سوى ورقة كربونٍ،
زرقاء وسوداء، مع ثقوبٍ كثيرةٍ من النّجوم،
تسمحُ للضّوءِ بالعبور، بين ثقوبِ الأبواب.
ضوءٌ عظميٌّ أبيض، كالموتِ، خلف كلِّ الأشياء.
تحت أعينِ النّجوم، وفمِ القمرِ الشّاغرِ،
يعاني الشخصُ فوق وسادتِهِ الصّحراوية،
حيث السهادُ ينشرُ رمالَه الدقيقةَ الحارقةَ في كلّ اتجاه.
مراراً يكشفُ الفيلمُ القديمُ المحبوبُ
عن طيفِ الإحراجاتِ الكثيرةِ ـ الأيامُ الماطرةُ
لسنيّ الطفولةِ والمراهقةِ، الأيامُ الدّبقةُ بالأحلامِ،
ووجوه الأهلِ على الأغصان الطّويلة، تارةً عابسةً،
وأخرى باكيةً، وحديقةٌ من الزّهورِ تجعلُهُ يبكي.
جبهتهُ ناتئةٌ كمثلِ كيسٍ من الصّخور.
الذكرياتُ تتدافعُ نحو الواجهةِ الأمامية
كنجومٍ في فيلمٍ بائد.

لديه مناعةٌ ضدَّ العقاقيرِ ـ حمراء، وأرجوانية، وزرقاء.
يا لها كيف تضيءُ ضجرَ المساءِ المنكمشِ!
هذه الكواكبُ السكّريةُ التي منحَتهُ

حياةً تعمّدتْ باللاحياة، لوهلةٍ،
وتلك الصحوةُ الحلوةُ المنوّمةُ لطفلٍ ينسى.
الآن العقاقيرُ باليةٌ وسخيفةٌ، كالآلهةِ الكلاسيكيةِ.
ألوانُها النّاعسةُ كالخشخاشِ لا تسعفُهُ في شيءٍ.

رأسُهُ فضاءٌ صغيرٌ من المرايا الرّمادية.
كلّ إيماءةٍ تنحدرُ، مباشرةً، إلى زقاقٍ
من الزوايا المتلاشية، وأهميتُها تتلاشى
مثل ماءٍ يخرج من فتحةٍ في الطّرفِ الأبعدِ.
يعيشُ، بلا خصوصيةٍ، في غرفةٍ بلا جفونٍ.
الحوافُّ الجرداءُ لعينيهِ الجاحظتينِ أصابهَا اليباسُ،
بينما ما يزالُ يحدّقُ في الارتجافِ الدّائمِ لبرقِ اللّحظة الراهنةِ.

طوالَ اللّيلِ، في باحةِ البازلت، قططٌ لا مرئيةٌ
تعولُ كالنسوةِ، أو كآلاتٍ موسيقيةٍ محطّمة.
للتوّ يستطيعُ أن يشعرَ ضوءَ النّهار، وبلاءَهُ الأبيضَ،
يزحفُ، حاملاً كراهيةَ التكرارِ التّافهِ.
المدينةُ، الآنَ، خريطةٌ من التّغريدِ السّعيدِ،
والناسُ، بعيونٍ فضّيةٍ بلهاء، يهرعُون إلى أعمالِهم،
زرافاتٍ، زرافات، كأنّما غُسلتْ أدمغتهم للتوّ.

أيار-1961

145- أرملة

أرملةٌ. الكلمةُ تستهلكُ نفسَها ـ
جسدٌ، صفحةُ أخبارٍ مطبوعة، أُضرِمتْ فيها النّارُ،
تنفثُ لحظاتِ الخَدرِ في التّيارِ الصّاعدِ
فوق الطبوغرافيا الحمراء المصعوقةِ
التي ستطفئُ قلبَها، كمثل عينٍ واحدةٍ.

أرملةٌ. الحرفُ الميتُ، بظلّهِ الخفيفِ كالصّدى،
يكشفُ اللّوحَ على الحائطِ،
وخلفه يكمنُ المقطعُ السرّي ـ هواءٌ كاسدٌ،
ذكرياتٌ عفنةٌ، والدرجُ الخلفي الحلزوني
الذي ينفتحُ في نهايتِهِ على اللاّشيء ...

أرملةٌ. عنكبوتٌ غاضبةٌ تجلسُ، ثم تجلسُ،
وسطَ دوائرِها الخاليةِ من الحبّ.
الموتُ هو الثوبُ الذي ترتديه، بل هو قبّعتُها وياقتُها.
وجهُ زوجِها، كوجهِ البرغشِ، أبيضُ قمريٌّ، ومريضٌ،
يحيطُ بها كمثل فريسةٍ تريدُ أن تقتلَها، للمرّة الثانية،

من أجل أن تبقيه قريباً منها من جديدٍ ـ
صورةٌ ورقيةٌ تلتصقُ بقلبِها، مثلما التصقتْ رسائلُه،

حتى أصبحتْ صفحاتُها دافئةً،
وبدتْ كأنَّها تمنحُها الدفءَ كمثلِ جلدِ حيّ.
لكنّها، الآن، من ورقٍ هي، ولا يدفئها أحدٌ.

أرملةٌ: يا المزرعةُ، العظيمةُ، الخاويةُ!
صوتُ الله مملوءٌ بالصّقيعِ،
يحصي، ببساطةٍ، النجومَ القاسيةَ، وفضاءَ
الفراغِ الأزليّ بين النجوم،
حيث لا أجسادَ تنطلقُ كالسّهامِ صوبَ السّماءِ.

أرملةٌ، والأشجارُ الحنونةُ تنحني،
تلك أشجارُ الوحدةِ، وأشجارُ الحِداد.
إنها تقفُ كالأشباحِ حول المدى الأخضرِ ـ
بل تقفُ مثل ثقوبٍ سوداء محفورةٍ فيه.
الأرملةُ تشبهُهم، لأنّها شيءٌ من الظلّ،

يدٌ تمسكُ بالأخرى، ولا شيءَ بينهما.
روحٌ بلا جسدٍ، تعبرُ بها روحٌ أخرى،
في هذا الهواءِ الواضحِ، ولا تلحظُ وجودَها أبداً ـ
روحٌ تعبرُ خلال أخرى، واهيةً كالدُّخان،
جاهلةً تماماً بالطّريق الذي تسلكُهُ.

ذاك هو الخوفُ الذي ينتابُها ـ خوفٌ من أنّ روحَه
قد تخفقُ، وتظلّ تخفقُ إزاء إحساسِها البليدِ،
مثل ملاكِ مريم الأزرق، الواقفِ كيمامة خلف لوح زجاجٍ،
أعمى تجاه كلّ شيءٍ، ما عدا تلك الحجرة الرّمادية،
التي بلا روحٍ، والتي ما يفتأُ ينظرُ فيها، وإليها،
والتي يجب أن يظلّ ينظرُ فيها وإليها.

16-أيار، 1961

146- نجومٌ فوق دوردون

نجومٌ تهوي كالحجارةِ فوق الدّغلِ الكثيفِ
للأشجارِ التي تبدو ظلالُها أكثر قتامةً
من ظلامِ السّماءِ، لأنّها معتمة بلا نجومٍ تماماً.
الغاباتُ على ما يرام. والنجومُ تتساقطُ بصمتٍ.
إنها تبدو ضخمةً، لكنّها تسقطُ، ولا ثقبَ يظهرُ،
لا نيرانَ تشتعلُ حيث تتدحرجُ،
ولا إشاراتٍ عن كارثةٍ أو قلقٍ.
كأنَّ أشجارَ الصنوبرِ تبتلعُها على الفورِ.

حيث أنا، في منزلي، قلّةٌ قليلةٌ من النّجومِ
تظلُّ حتّى الغسقِ، وهذا كلُّه بشقِّ الأنفسِ.
نجومٌ شاحبةُ اللّون، أعياها السفرُ الطّويلُ.
الأصغر حجماً، والأكثر وهناً، لا تصلُ أبداً،
بل تظلّ بعيدةً جدّاً، متواريةً في غبارِها.
هذه يتامى النّجوم. لا أستطيعُ رؤيتَها. وهي ضائعةٌ.
لكنّها اكتشفتْ، الليلةَ، هذا النهرَ، بلا مشقّة.
اغتسلتْ هنا، مملوءةً بالثّقةِ، ككلِّ الكواكبِ العظيمةِ.

وحدها مجموعةُ الدبّ الأكبر مألوفةٌ بالنسبة لي.
أفتقدُ الجوزاءَ، ومجموعةَ النّجوم في القطبِ الشمالي.
ربمّا ما تزال تتدلّى، على استحياءٍ، من أفقٍ معلّقٍ،

كمثلِ مسألةٍ حسابيةٍ، غايةٍ في البساطة، بين يدي طفلٍ.
العددُ اللامتناهي هو ما ينطبقُ عليها، كما يبدو،
وإلاّ لكانت حاضرة. أقنعتُها جدّ ساطعةٌ، لدرجةِ أنني
لا أراها وانا أنظرُ إليها بكلّ هذا التمعّن.
ربّما كان هذا هو موسمُها الغلطُ.

ولكن ماذا لو أنّ السماءَ هنا ليستْ مختلفةً
وعيناي ذاتُهما هما اللّتان تجلوان مدى الرؤيا؟
ذاكَ الترفُ من النّجومِ يسبّبُ لي الإحراجَ.
النّجومُ التي اعتدتُ عليها واضحةٌ ودائمةٌ،
ولا أظنّ أنها ترغبُ في كلّ هذا البَذخِ الباهرِ
من رفقاء كثر، أو حتى بوداعةِ الجنوبِ.
إنّها طهرانية، وأكثر ميلاً للعزلة، مقارنةً بسواها ـ
حين تسقطُ إحداها تتركُ خلفها فراغاً،

وثمة شعورٌ بالغيابِ يحتلُّ موقعَها المشعَّ القديمَ.
وحيث أستلقي، الآنَ، بصحبةِ نجمتي الدّاكنة،
أرى تلك العناقيدَ من النّجومِ في رأسي،
لا يواسيها الهواءُ العليلُ القادمُ من بستانِ الخوخِ.
ثمة سهولةٌ مفرطةٌ هنا، والنجومُ تحسنُ معاملتي.
فوق هذه الهضبةِ، المملوءةِ بالقلاع المضاءةِ،
كلُّ جرسٍ يهتزُّ، يحصي عددَ القطيع. أُطبقُ جفنيّ
وأشربُ اللّيلَ الصغيرَ بارداً مثل أنباءٍ قادمةٍ من الوطن.

147- الخصم

إذا ابتسمَتْ أنثى القمر، فإنّها تشبهكِ.
تتركينَ الانطباعَ ذاتَه
عن شيءٍ جميلٍ، لكنّه ساحقٌ.
كلاكما مستعيران عظيمان للضّوء.
فمُها المدوّرُ يندبُ العالمَ، وفمُكِ لا يأبهُ لشيءٍ،

موهبتُكِ هي أن تصنعي حجراً من كلِّ شيء.
أصحو على ضريحٍ، فأراكِ هنا،
تفركين أصابعكِ خلف طاولة الرّخام، بحثاً عن سيجارةٍ،
وتتشوّقين لقولِ شيءٍ لا جوابَ له.

أنثى القمرِ، أيضاً، تهملُ مواضيعَها،
لكنّها، خلال النهارِ، تكون حمقاء.
شكاواكِ، من جهةٍ أخرى، تصلُ
كوّةَ البريدِ بانتظامٍ باهرٍ،
بيضاء وخاوية، وقابلة للانتشار كغازِ الكربون.

لا نهارَ يسلمُ من أخبارٍ عنكَ، وأنتَ تتجوّلُ،
مشياً على الأقدام في إفريقيا تفكّر بي دائماً.

تموز، 1961

148- مرتفعات وذرينغ

الفضاءاتُ تهاتفني كثلّةٍ من الشواذّ،
بارزة، ومتشوّقة، ودوماً قلقة.
إذا لمسَها عودُ ثقابٍ، أشعرُ بالدفء.
خطوطُها الدقيقةُ تسفعُ الهواءَ أرجوانياً،
قبل أن تتبخّرَ المسافاتُ التي تعتقلُها،
مُثقِلةً السّماءَ الشاحبةَ بلونِ الجنودِ.
لكنّها، كالوعود، تذوبُ، ثم تذوبُ،
حالما أخطو إلى الأمام.

لا حياةَ أكثر رفعةً من تيجانِ العشبِ،
أو قلوبِ الأغنامِ، والرّيحُ تندفعُ كالقدر،
أمامها ينحني كلُّ شيءٍ باتجاهٍ واحد.
أستطيعُ أن أتحسّسَ هبوبَها
وهي تحاولُ أن تخفّفَ من القيظِ حولي.
لو أنّي أولي زهورَ الخلنجِ انتباهاً أكبر،
كانتْ ستدعوني لأصقلَ عظامي بين أوراقِها.

قطيعُ الأغنام يعرفُ أين هو،
يجترُّ طعامَه تحت سُحبِ الصّوفِ الوسخةِ،
الرّماديةِ كالطّقس.

البؤبؤُ الأسودُ للعيونِ يدعونني إليهِ.
كأنما أرسلكَ أحدُهم إلى الفضاء،
كرسالةٍ سخيفةٍ، متناهيةِ الصغر.
إنها تقف هناك متشحّةً بملابس أمومية،
كلّها ضفائرُ مدوّرة، وأسنانٌ صفراء،
وثغاءٌ عاجيٌ قاسٍ.

أصادفُ آثارَ دواليبَ، وماءً
شفّافاً كمثلِ لحظاتِ الوحدة
التي تنسربُ من بين أصابعي.
ممرّاتُ الأبوابِ الخاويةُ تتنقّلُ
من عشبٍ إلى عشبٍ؛
السقيفةُ والحافّةُ انخلعتَا من مكانِهما.
والهواءُ لا يتذكّرُ من النّاس سوى
بضعةَ حروفٍ غريبةٍ،
يتدرّبُ عليها بأنينٍ غامض:
حجرٌ داكنٌ، حجرٌ داكنٌ.

السماءُ تتكئ عليّ، عليّ أنا المنتصبةُ،
بين كلِّ الأشياءِ الأفقيةِ.
العشبُ يضربُ رأسَه شارداً.

عشبٌ هشٌّ لا يتحمّلُ حياةً
كتلكَ التي يفرضُها محيطُه؛
والظلامُ يُدخِلُ الذعرَ إلى قلبِهِ.
الآنَ، في الوديانِ الضيّقةِ،
السّوداء، كحقائب الجيبِ،
أضواءُ المنزلِ تتلألأُ كتغييرٍ صغيرٍ.

مكتبة
t.me/t_pdf

149- قطفُ العلّيقِ

لا أحدَ في الرّدهة، ولا شيءَ، لا شيءَ سوى العلّيق.
علّيقٌ على الجانبين، لكنّه أكثر كثافةً في جهةِ اليمين.
زقاقٌ من العلّيق، يتدحرجُ مع خُطّافاته، وفي نهايتِهِ بحرٌ يتنهّدُ.
حبّاتُ علّيقٍ كبيرةٌ كرأسِ الإبهامِ، مغفّلة كعيونِ الأبنوس،
تنتشرُ على حوافّ الدّغلِ، طافحةً بالعصيرِ الأحمرِ والأزرقِ.
والعصيرُ ينداحُ فوق أصابعي. لم أطلبْ يوماً
صداقةَ الدّمِ تلك. لكنّها لا بدَّ تعشقني.
إنّها تتأقلمُ مع زجاجةِ الحليبِ في يدي،
أحشرُها، فتلينُ حوافُّها، من أجلِ ذلك.

فوق رؤوسِنا تحلّق الغربانُ السّوداءُ، أسراباً غير متجانسةٍ ـ
قصاصاتٌ من ورقٍ محترقٍ تتطايرُ في سماءٍ من هبوب.
نعيقُها هو الصوتُ الوحيدُ الذي يشكو، ثم يشكو.
لا أعتقدُ أنّ البحرَ سيظهرُ على الإطلاق.
المروجُ العاليةُ الخضراءُ تتوهّجُ كأنّما تُنارُ من الدّاخلِ.
صادفتُ دغلاً من العلّيق، بدا في نضجِهِ دغلَ ذبابٍ،
تتدلّى ثماره الزرقاءُ والخضراءُ، كأنّ أجنحُها علقتْ
فوق شاشةٍ صينيةٍ. كرنفالُ العلّيق الحلو كالعسلِ
أصابَها بالذهول، حتى باتتْ تؤمنُ بالجنّة.
خطّافٌ آخر، وينتهي العلّيقُ، وينتهي الدّغلُ.

الشيءُ الوحيدُ الذي يلي هذا هو البحر.
من بين هضبتين ريحٌ مفاجئةٌ تهبّ نحوي،
تسوطُ غسيلَها السرابيّ نحو وجهي.
هذه الهضابُ خضراء جدّاً، وحلوةٌ جدّاً
كأنّها لم تذقْ طعمَ الملحِ أبداً.
أسلكُ دربَ الأغنامِ بين جنباتِها. خطّافٌ أخيرٌ
يوصلني إلى هضابِ الوجهِ الشماليّ، والوجهُ
صخرةٌ أرجوانيةٌ تطلُّ على اللاّشيء. لا شيءَ
سوى الفضاءِ العظيمِ من أضواء بيضاء، ونحاسية،
وضوضاء قوية كأنّ حدّادين يضربون، ويضربون، بمطارقِهم
يسقون معدناً غير قابلٍ للانحناء.

23-أيلول، 1961

150- (فينيستير) أو حافّةُ الأرض

تلك كانت حافّةُ الأرض: آخرُ الأصابعِ، المتشنّجةِ، الملتهبةِ،
القابضةِ على اللاّشيء. جروفٌ سوداء خطِرةٌ،
والبحرُ يتفجّرُ بلا قعرٍ، حيث لا شيءَ في جانبِهِ الآخر،
وتزيدهُ وجوهُ الغرقى بياضاً.
الآن بحرٌ كئيبٌ فقط، أطلالٌ من الصّخور ـ
بقايا جنودٍ من حروبٍ عبثيةٍ، قديمةٍ.
البحرُ يدوّي في آذانِهم كالمدافعِ، لكنّهم لم يتراجعوا.
صخورٌ أخرى تُخفي آلامَهم تحت المياه.

الجروفُ مزروعةٌ بالبرسيمِ والنجومِ والأجراسِ،
كتلك التي تطرّزُها الأصابعُ، قريبةً من الموتِ،
صغيرة جداً أمام الضبابِ كي يأبهَ لشأنِها.
الضبابُ جزءٌ من معدّاتٍ قديمةٍ متروكةٍ ـ
أرواحٌ، سقطتْ في الهديرِ الدائريّ للبحرِ.
إنها تُدمي الصخورَ في كينونتِها ، ثم تبعثُها حيّةً.
تبدأُ بالصعودِ، بلا أملٍ، كالتنهّدات.
أمشي بينها، فتحشو فميَ بالقطنِ.
حين تُطلقُ سراحي، أكونُ منمنمةً بالدّموع.

سيّدتُنا، عذراءُ الغرقى، تظهرُ في الأفقِ الشّاسعِ،
تنّورتُها العاجيةُ يقسمُها الهواءُ إلى جناحين قرمزيين.
بحّارٌ من رخامٍ، يركعُ عند قدميها شارداً، وعند قدميهِ
فلاّحةٌ ترتدي السوادَ، تصلّي لتمثالِ البحّارِ الرّاكعِ.
سيّدتُنا، عذراءُ الغرقى، أكبر من حجمِ الحياةِ، بأضعافٍ ثلاثة.
شفتاها نديّتان من عسلِ الألوهةِ.
إنّها لا تسمعُ ما يقولهُ البحّارُ أو ما تقولُه الفلاّحةُ ـ
هي متيّمةٌ بغرامِ السّديمِ الجميلِ للبحرِ.

شرائط، بألوانِ النّوارسِ، تتأرجحُ مع هواءِ البحرِ،
قربَ كوىً لبيعِ بطاقاتِ البريد.
الفلاّحون يثبّتونها بأحجارِ المحارِ. إحدى الحكايات تقولُ:
"هذه هي الحليُّ النّاعمةُ الجميلةُ التي يخبّئها البحرُ،
أصدافٌ صغيرةٌ مصنوعةٌ في هيئةِ قلائد، ودمى نساءٍ.
إنها لم تأتِ من خليجِ الموتى، في الأسفلِ هناكَ،
بل من مكانٍ آخر، استوائيّ وأزرق،
لم نزرْهُ أبداً من قبل.
هذه هي رقائقُنا من الحلوى: تذوّقوها قبل أن تبردَ".

20 أيلول، 1961

151- الجرّاحُ في الثانيةِ صباحاً

الضوءُ الأبيضُ اصطناعيٌّ وصحّيٌّ كالسَّماء.
لا يمكنُ للفيروساتِ أن تعيشَ من بعده.
إنّها ترحلُ في أثوابِها الشفّافةِ، هاربةً
من المباضعِ والأيدي المطّاطية.
الشّرشفُ المعقّمُ حقلٌ من الثّلج، متجمّدٌ ومسالمٌ.
الجسدُ تحتهُ بين يديّ.
كالعادةِ، لا يوجدُ وجهٌ. ثمة نتوءٌ من البياضِ الصّيني
بفتحاتٍ ثمانيةٍ، مطوية نحو الدّاخل. الروحُ ضوءٌ آخر.
لم أرها. إنّها لا تطيرُ من مكانِها.
الليلةَ، تراجعَتْ قليلاً كمثلِ ضوءِ السّفينةِ.

حديقةٌ ينبغي أن أتعاملَ معها ـ عروقٌ وثمارٌ
تبعثرُ رحيقَها اللّزجَ.
سجّادةٌ من جذورٍ. الممرّضون طووها باتجاهِ الخلفِ.
روائحُ وألوانٌ تهاجمني.
هذه شجرةُ الرئةِ.
شتَلاتُ السّحلبيةِ الرائعة. إنها تلمعُ وتتكوّرُ كالأفاعي.
القلبُ برعمٌ أحمرُ كالجرسِ، لكنّه يعاني الكَمَد.
أنا صغيرةٌ جداًّ

بالمقارنةِ مع هذه الأطراف!
أتكوّرُ وأسعلُ في برّيةٍ أرجوانيةٍ.

الدمُ شفقُ الغروبِ. معجبةٌ به أنا.
موغلةٌ في عشقهِ، هذا الأحمرُ، الرّقراقُ.
إنه ما يزالُ ينزفُ، ولم يجفّ بعد.
ساحرٌ تماماً! نبعٌ حارّ
ينبغي أن أمهرَ مياهَه، قبل أن أدعَه يملأُ
الأنابيبَ الزرقَ الهشّةَ تحت هذا الرّخام الشّاحب.
أنا معجبةٌ جداً بالرّومان ـ مسيلاتُ المياهِ،
حمّامات كاراكالا، وأنفُ الصّقرِ!
الجسدُ شيءٌ رومانيٌّ.
أقفلَ فمَهُ على الحبّةِ الحجريةِ للسّكينةِ.

إنه التمثالُ، ذاكَ الذي تجرّهُ الوصيفاتُ.
أوصلْتُهُ، أنا، إلى درجةِ الكمال.
ما تبقّى لي ذراعٌ أو ساقٌ
طقمُ أسنانٍ، أو حجارةٌ
أرميها داخل زجاجةٍ، في المنزلِ،
ومزقُ أنسجةٍ ـ تشبهُ السّجقَ المهروس.
اللّيلةَ، ستُدفَنُ هذه الأجزاءُ داخل صندوقِ الجليدِ.

وغداً، سوف تسبحُ في الخلِّ،
كرُفاتِ القدّيسين.
غداً، سيوضعُ للمريضِ طرفٌ بلاستيكيٌّ، متورّدٌ، ونظيفٌ.

فوق أحدِ الأسرةّ في الجناحِ، ضوءٌ صغيرٌ أزرق
يعلنُ قدومَ روحٍ جديدةٍ. السّريرُ أزرقُ اللّونِ.
الليلةَ، بالنسبةِ لهذا الشّخصِ، الأزرقُ لونٌ جميلٌ.
ملائكةُ المورفين حملتْهُ عالياً فوق أجنحتِها.
إنه يطفو على بعدِ سنتميتراتٍ من السّقف،
يشمّ نسيمَ الفجرِ البارد.
أمشي بين النائمين داخلَ توابيتِ الشّاش.
أضواءُ الليلِ الحمراءُ أقمارٌ مسطّحةٌ. إنَّها مثقلةٌ بالدم.
أنا الشّمسُ، بمعطفٍ أبيض.
الوجوهُ المكفهرّةُ، المهشّمةُ بالعقاقير، تتبعني كالزّهور.

29-أيلول، 1961

152- كلماتٌ أخيرةٌ

لا أريدُ صندوقاً عارياً، أريدُ تابوتاً حجرياً،
مزيّناً بخطوطِ جلدِ النّمرِ، وفوقه وجهٌ
مدوّرٌ كالقمرِ، يحدّقُ صوبَ الأعلى.
أريدُ أن أنظرَ إليهم حين يأتون،
ويبحثون بين المعادنِ الخرساءِ، والجذور.
أنا أراها للتوّ ـ الوجوهُ الشّاحبةُ، البعيدةُ كالنّجوم.
الآنَ، هي لا شيء، وليستْ حتّى وجوه أطفالٍ.
أتخيّلهم بلا أمّهات أو آباء، كالآلهةِ الأوائل.
سيعبّرون عن دهشتِهم لو كنتُ ذا أهميةٍ.
ينبغي أن أحلّي وأحفظَ أيامي كالفاكهة!
مرآتي يعلوها الغبشُ ـ
بضعُ زفراتٍ أخرى، لن تعكسَ شيئاً.
الزهورُ والوجوهُ تكتسبُ بياضاً بلونِ الشّراشفِ.

أنا لا أثقُ بالرّوح. إنها تهربُ كبخارٍ
في الأحلام، عبر فتحةِ فمٍ أو فتحةِ عينٍ.
وأنا لا أستطيعُ أن أوقفَها.
ذاتَ يومٍ، لن تعودَ أدراجَها. الأشياءُ ليستْ هكذا.
إنها تبقى، وألقُها الصغيرُ

يزدادُ دفئاً من كثرةِ اللّمسِ.
ولها صوتُ الخريرِ تقريباً.
وحين يصبحُ أسفل القدمين بارداً
تواسيني العينُ الزرقاءُ للفيروز.
دعْ أواني مطبخي النّحاسيةَ، ودعْ أطباقي الورديةَ
تتبرعمُ حولي كزهورٍ ليليةٍ، ويفوحُ منها روائحُ زكيّةٌ.
سوف تغلّفني بالضمَادات، وتحفظُ قلبي
تحت قدميّ، كالهديةِ، في رزمةٍ أنيقةٍ.
بالكادِ سأعرفُ نفسي، عندئذٍ،
وسيكونُ الظلامُ، وألقُ تلك الأشياءِ الصغيرةِ،
أكثر عذوبةً من وجهِ عشتار.

21- تشرين الأول 1961

153- القمرُ وشجرةُ الصّنوبر

هذا هو ضوءُ العقلِ، باردٌ وكوكبيّ.
أشجارُ العقلِ سوداء. الضوءُ "أزرقُ"
العشبُ يزفرُ أحزانَه فوق قدميّ كأنّني الله،
يخزُ كاحليَّ، هامساً بكلماتِ التّواضع.
ضبابٌ غائمٌ، مسحورٌ، يستوطنُ هذا المكانَ.
بيني وبين منزلي صفٌّ من شواهدِ القبورِ
لا أستطيعُ، ببساطة، أن أرى مغزى كلٍّ هذا.

القمرُ ليس باباً. إنه وجهٌ بحدّ ذاته،
أبيض كفقرةِ الإصبعِ، ومتذمّرٌ جداً.
إنه يسحبُ البحرَ خلفه، مثل جريمةٍ سوداء،
ولكم هو هادئٌ برسمِ اليأسِ المطلقِ على فمهِ.
أنا أعيشُ هنا. مرّتين كلّ نهارِ أحدٍ، توقظُ الأجراسُ السَّماء ـ
ثمانيةُ ألسنٍ عظيمة تؤكّدُ حقيقةَ انبعاثِ يسوع.
وفي النّهايةِ، برزانةٍ شديدةٍ، يتباهون بنطقِ أسمائِهم.

شجرةُ الصّنوبر تومئُ إلى الأعلى. هيئتُها شعثاء.
العيونُ تنظرُ أيضاً، وتجدُ القمرَ.
القمرُ أمّي. إنّها، أيّ القمر، ليستْ حلوة كمثلِ مريم.

ملابسُها الزرقُ تُطلق خفافيشَ صغيرة وطيورَ بوم.
كم أودّ لو أنّني أؤمنُ بالحنان ـ
وجهُ الفزّاعةِ، الذي تلطّفهُ الشموعُ،
يطبقُ بعينيه الوديعتين فوقي، على وجهِ الخصوصِ.

سقطتُ إلى قعرٍ سحيقٍ، والغيومُ أزهرتْ
زرقاءَ، غنوصيةً، فوق وجهِ النّجوم.
داخل الكنيسةِ، سيكونُ جميعُ القديسين بلونِ الزّرقةِ،
يسبحون على أقدامِهم النحيلةِ، فوق المقاعدِ،
أياديهم ووجوهُهم متيبّسةٌ من شدّةِ القداسة.
القمرُ لا يرى شيئاً من هذا. هو جريءٌ ومتوحّشٌ.
رسالةُ شجرةِ الصنوبر هي السّوادُ ـ السوادُ والصّمتُ.

22- تشرين الأول، 1961

154- مرآة

أنا فضّيةٌ وصادقةٌ. لا تصوّرات مسبقة لديّ.
كلّ ما أراهُ أمامي أهضمهُ على الفور،
مثلما هو تماماً، لا يعكّرهُ حبٌّ أو كراهيةٌ.
أنا لستُ قاسيةً، أنا صادقةٌ فحسب ـ
عينُ إلهٍ صغيرٍ، بأربع زوايا.
في معظم الأحيان، أصفنُ بالحائطِ المقابل.
إنهورديّ اللّون، مع نقاطٍ صغيرة.
لقد نظرتُ إليه طويلاً
حتى باتَ جزءاً من قلبي. لكنّه يرتجّ.
الوجوهُ والظلامُ تفصلُ بيننا، مراراً وتكراراً.
الآن أنا بحيرةٌ. امرأةٌ تنحني فوقي،
تفتّشُ في أعماقي عن صورتِها الحقيقية،
ثم تلتفتُ إلى أولئك المنافقين، الشموع، أو القمر.
أرى ظهرَها، وأعكسُهُ بإخلاصٍ شديد.
تكافئني بالدموع، وارتعاشِ اليدين.
لي أهميةٌ بالنسبةِ لها. تأتي وتذهبُ.
كلَّ صباحٍ، وجهُها يستبدلُ الظلامَ.
فيّ غرقتْ طفلةً صغيرةً، وفيَّ تنهضُ
عجوزاً لتستقبلَ نهارَها، مثل سمكةٍ مرعبةٍ.

23-تشرين الأول، **1961**

155- مربّياتُ الأطفال

مضى عشرُ سنينَ، الآنَ، منذ أن أبحرنا إلى "جزيرة الأطفال".
كانت الشّمسُ اللهّابةُ، تنزل عموديةً، في تلك الظهيرة،
فوق المياهِ، قبالةَ (ماربلهيد) أو رأسِ الرّخام.
في تلك الصّائفة، كنّا نرتدي نظّاراتٍ سوداء لإخفاءِ عيوننِا.
كنّا دائماً نبكي، في غرفِنا الخاصّة، أخواتٍ صغيراتٍ حزينات،
في المنزلين الأبيضين الجميلين الكبيرين في (سوامبسكوت).
حين كانت حبيبةُ القلبِ من انكلترا، تأتي، ببشرتِها البيضاء،
ومكياجِها الأنيق، كان عليّ أن أنامَ في غرفةٍ واحدةٍ مع الطفل،
فوق فراشٍ قصير الطولِ جداً، وكان ابنُ السّابعة هذا لا يخرجُ
إلا إذا تطابقتْ خطوطُ كنزتهِ مع خطوطِ جوربيِهِ.

آهٍ، كم كان ذاك غنىً! ـ إحدى عشرةَ غرفةً، ويختاً واحداً،
بدرجٍ من خشبٍ أحمر مصقول، يؤدّي إلى الماء،
حيث صبي المقصورة، الذي يستطيعُ أن يزيّنُ الكعكةَ
بطبقةِ كريما رقيقةٍ من ألوانٍ ستّة.
لكنّني لم أكنْ أعرف كيف أطبخُ،
والأطفالُ سبّبوا لي الاكتئابَ.
في ليالٍ كثيرة، كتبتُ في مذكّراتي اليومية، باحتقارٍ،

عن أصابعي التي احمرّتْ موشومةً
بعلاماتِ حروقٍ مثلثيةِ الشّكل،
من كيٍّ ملابسَ داخليةٍ صغيرةٍ، وأكمامٍ مزركشة.
حين ذهبتِ الزوجةُ المغناجُ مع زوجِها الطّبيب في رحلةٍ بحريةٍ
تركوا لي خادمةً اسمها (إيلين)، من أجلِ "الحماية" كما قالوا،
وكلبَ "دالمتيان" صغيراً.

في منزلكِ، في منزلكِ الرئيسي، حالُكِ أحسنُ بكثير.
هناك لديكِ حديقةُ زهورٍ، وكوخٌ صغيرٌ للضيوف،
وحانوتُ صيدليةٍ نموذجيٌّ، وطباخةٌ، وخادمةٌ،
وتعرفين مفتاحَ خزانةِ الويسكي.
أتذكّركِ وأنتِ تعزفين أغنيةً، بفستانكِ الورديّ الشفّاف،
على البيانو، في غرفةِ الألعاب، حين كان "كبارُ القومِ"
يغادرون البيت، والخادمةُ تدخّنُ، وتلهو في المسبحِ، تحت
مصباحٍ مظلّلٍ بالأخضر. لم تكن الطبّاخةُ تستطيعُ النومَ،
لأنّ عينَها دائماً على الحائط، وأعصابُها مشدودةٌ.
قيدَ التجريب، من أيرلندا، راحتِ المرأةُ تحرقُ مربّعات
الكعكِ، الواحدة، تلو الأخرى، ما أدّى إلى طردِها.

أوه! ما الذي حلّ بنا، يا أختاهُ!
في يومِ العطلةِ ذاك، كلانا بكى بحرقةٍ،
أخذنا من صندوقِ مكعّبات الثلجِ الخاصّ بالكبار
قطعةَ لحمٍ مغطسةٍ بالسكّر، وشطيرةَ تفّاح،
واستأجرنا زورقاً عتيقاً أخضر اللّون. جذّفتُ أنا.
ساقاك متصالبتان على المقعدِ، تقرأين بصوتٍ عالٍ
من كتاب (جيلٌ من مصّاصي الدماء).
ثم وصلنا الجزيرةَ. كانت مهجورةً تماماً ـ
الشّرفاتُ تصدرُ صريراً، والغرفُ ساكنةٌ،
منتصبةٌ، ومخيفةٌ، مثل صورةٍ فوتوغرافية لشخصٍ يضحكُ
لكنّه ميتٌ منذ عشر سنواتٍ.

كانت النوارسُ الجريئةُ تستمرّ بالغطسِ
كأنّها تملكُ المكانَ كلّه.
جمعْنا عيداناً طافيةً، وزجرناها بعيداً.
ثم نزلنا درجَ الشاطئِ، الشديدَ الانحدار، صوبَ المياه.
ركلنا أشياءَ بأرجلِنا، وتبادلنا الحديثَ. الملحُ الكثيفُ
أبقانا على السّطحِ.
ما زلتُ أرانا طافيتين، معاً، هناك،
غير منفصلتين ـ دميتين من الفلّين.

يا للفتحةِ التي عبرنا منها، يا للبابِ الذي انغلق!
ظلالُ العشبِ تحلّقت حولنا مثل عقربي السّاعة،
ومن قارّتينا المتقابلتين بدأنا نلوّحُ ونناديِ.
كلّ شيءٍ كان قد حدَثَ للتوّ.

29-تشرين الأول، 1961

1962

156- رأسُ السّنةِ في دارتمور

تلكَ جِدّةٌ خالصةٌ: كلُّ عائقٍ صغيرٍ مبهرجٍ
يأتي مغلفاً بالزّجاج، وغرائبياً،
يومضُ ويصرخُ كصوتِ قدّيسٍ جهوري.
أنتَ، وحدكَ، لا تعرفُ كيفَ تفسّرُ الانزلاقَ المفاجئَ،
والميلانَ الأعمى، والمرعبَ، والأبيضَ، البعيدَ المنال.
لا يمكنُ تجاوزُ هذا بالكلماتِ التي تعرفُ،
لا يمكن تجاوزهُ بفيلٍ أو دولابٍ أو حذاءٍ.
عليكَ فقط أن تأتي وتنظرَ. أنتَ جديدٌ جداً
كي تشاءَ العالمَ في قبّعةٍ من زجاجٍ.

157- ثلاث نسوةٍ : قصيدة من أصواتٍ ثلاثة

المشهد : دارُ أمومةٍ وما حوله

الصّوتُ الأوّلُ :
أنا بطيئةٌ كالعالمِ. أنا صبورةٌ جدّاً،
أتقلّبُ مع دوّامةِ زمني، حيث الشموسُ والنجومُ
توليني انتباهاً خاصّاً.
اهتمامُ القمرِ شخصيٌّ أكثر:
تعبرُ (أي القمر)، جيئةً وذهاباً، بشوشةً كممرّضة.
أهي آسفةٌ لما يمكنُ أن يحدثَ؟ لا أظنُّ ذلك.
إنّها ببساطةٍ مندهشة أمام الخصوبة.

حين أخرجُ إلى الملأ، أكونُ حَدَثاً عظيماً.
لا ينبغي عليّ أن أفكّرَ، أو حتّى أتدرّبَ.
ما يحدثُ فيّ، يحدثُ من دونِ انتباهٍ.
الهدهدُ يقفُ على التلّة؛
إنّه ينسّقُ ريشَهُ البنّي.
لا أتمالكُ نفسي من الابتسام إزاءَ ما أعرفُهُ.
الأوراقُ والبراعمُ تحرسُني. أنا جاهزةٌ.

الصوتُ الثاني :

حين رأيتُهُ للمرّةِ الأولى، ذاكَ الرّشحُ الأحمرُ الصغيرُ، لم أصدّقْهُ.
راقبتُ الرّجالَ يمشون حولي في المكتبِ. كانوا سخيفين جدّاً!
يشبهون كثيراً رقعةً كرتونيةً، وأنا الآن أستحوذُ عليها،
ذاكَ التسطّحُ المسطّحُ، والمستوي، الذي تنطلقُ منه الأفكارُ
والدمارُ، والبلدوزراتُ، والمشانقُ، وحجراتُ الصّراخِ،
تنطلقُ بلا توقّفٍ، وبلا انقطاعٍ ـ التجريداتُ والملائكةُ الباردون.
أجلسُ خلف مقعدي، بجواربي، وكعبي العالي،

والرّجلُ الذي أعملُ له ضحكَ: "هل رأيتِ شيئاً مرعباً؟
صار وجهُكِ أبيضَ، على حين غرّة". لكنّني لم أقلْ شيئاً.
رأيتُ الموتَ في الأشجارِ العاريةِ، ورأيتُ الحرمانَ.
لم أستطعْ أن أصدّقَ ذلك. هل يصعبُ على الرّوحِ
أن تتصوّرَ وجهاً، أو فماً؟
الحروفُ تنطلقُ من هذه الأزرارِ السّوداء،
وهذه الأزرارُ السوداءُ تنطلقُ من أصابعِ الأبجديةِ،

ترتّبُ الأجزاءَ، والنثراتِ، والمزقَ، والأعدادَ المضاعفةَ.
أحتضرُ، وأنا جالسةٌ. أخسرُ أحدَ الأبعادِ.
القطاراتُ تهدرُ في أذنيّ، الرّحيلَ، الرّحيلَ!
المسارُ الفضيُّ للزّمنِ يخلو على مدِّ النّظر،

والسّماءُ البيضاء تخلو من وعدِها كالفنجان.
هاتان هما قدماي، هذه الأصداءُ الميكانيكيةُ.
انقرْ، انقرْ، على الأسافينِ الفولاذيةِ. أنا وُجِدتُ ناقصةً.

هذا مرضٌ أحملُهُ إلى المنزلِ، هذا موتٌ.
مرّةً أخرى، هذا موتٌ. هل هو الهواءُ،
هل هي ذرّاتُ الدّمارِ، تلك التي أستنشقُها؟
هل أنا النبضُ الذي ما يفتأُ يضعفُ أمام الملاكِ الباردِ؟
أهذا هو عشيقي إذاً؟ هذا الموتُ، هذا الموتُ!
في صغري أحببتُ اسماً ملدوغاً بالطّحالبِ.
أهذا هو الإثمُ الوحيدُ، هذا الحبُّ القديمُ الميتُ للموتِ؟

الصوتُ الثالث :
أتذكّرُ اللحظةَ التي عرفتُ فيها عن يقينٍ.
شجرُ الصّفافِ يرتجفُ من الصّقيعِ.
الوجهُ في البحيرةِ جميلٌ، لكنّه ليس وجهي ـ
يضمرُ نظرةً خطرةً، مثل أيّ شيءٍ آخر،
وكلّ ما رأيتُهُ كان مخاطرَ محدقةً: يمامٌ وكلماتٌ،
نجومٌ، ووابلٌ من ذهبٍ ـ مفاهيم، مفاهيم!
أتذكّرُ جناحاً، ناصعاً، وبارداً

لطائرٍ بجعٍ عملاقٍ، بنظرتِهِ المرعبةِ،
يأتي نحوي، كالقلعةِ، من أعلى النّهرِ.
ثمة أفعى في البجعات. انسلّ الطائرُ قربي.
لعينيه معنىً داكنٌ. رأيتُ العالمَ كلّه فيهما ـ
صغيرٌ، ولئيمٌ، وداكنٌ، حيث كلّ كلمةٍ صغيرةٍ،
تجدها عالقةً بكلمةٍ صغيرةٍ أخرى، وكلّ فعلٍ بفعلٍ آخر.
نهارٌ قائظٌ أزرق تفتّحَ عنه شيءٌ ما.

لم أكنْ جاهزةً. السُّحبُ البيضُ التي تحلّقُ
فوقي كانت تجرّني إلى الجهاتِ الأربعِ.
لم أكنْ جاهزةً.
لم أكنْ أضمرُ التبجيلَ.
ظننتُ أنّهُ بمقدوري تجاهل النتائج ـ
لكنّ الأوانَ قد فات. فات الأوانُ، حقّاً،
وراح الوجهُ يصوغُ نفسَه بالحبّ، كأنني كنتُ جاهزةً.

الصوتُ الثاني :
إنه عالمٌ من ثلجٍ، الآنَ. أنا لستُ في البيت.
كم هي بيضاء، ناصعة، هذه الشراشفُ. ليس للوجوهِ ملامحُ.
إنّها جرداء، ومستحيلة، مثل وجوهِ أطفالي،
هؤلاء الصغار المرضى الذين لا تضمّهم ذراعايَ.

أطفالٌ آخرون لا يلمسونني: إنّهم مرعبون.
ألوانهم كثيرةٌ، ويختزنون فيضاً كبيراً من الحياةِ.
هؤلاء ليسوا هادئين، هادئين،
كالفراغات القليلةِ التي أحملُها.

أتتْني فرصٌ كثيرة. وحاولتُ، حاولتُ.
رتقتُ الحياةَ بي كعضوٍ نادرٍ،
ومشيتُ بحذرٍ، بترقّبٍ، كشيءٍ نادرٍ.
حاولتُ أن أفكّر طويلاً ومليّاً. حاولتُ أن أكونَ طبيعيةً.
حاولتُ أن أكون عمياءَ في الحبّ، كالنسوةِ الأخريات،
عمياء في سريري، مع عشيقي، الأعمى، العذب،
لا أنظرُ، عبر الظّلامِ الكثيفِ، عن وجهِ عشيقٍ آخر.

لا، لم أنظرْ. مع هذا، كان الوجهُ هناك،
وجهُ من لم يولدْ بعدُ، ذاكَ الذي أحبَّ كمالَهُ،
وجهُ الميتِ الذي لا يمكن أن يكون إلاّ كاملاً،
في سلامِهِ السهلِ، ومقدّساً في تلقائيتِهِ، هكذا.
وكان ثمّة تلك الوجوه الأخرى أيضاً. وجوهُ الأممِ،
والحكوماتِ، والبرلماناتِ، والمجتمعاتِ،
والوجوه التي بلا وجوهٍ للرجال المهمّين.

هؤلاء الرّجال، تحديداً، يشغلُون بالي.
إنهم يغارون من كلّ شيءٍ لا يكونُ مسطّحاً، سخيفاً.
إنّهم آلهةُ الغيرةِ، يحبّون أن يكونَ العالمُ كلَّه
سخيفاً، مسطحاً، لأنّهم هم أنفسهم على هذا النحو.
أرى "الأبَ" يحادثُ "الابنَ".
ذاك التسطّحُ لا يمكنهُ أن يكونَ إلاّ مقدّساً.
"دعونا نصنعُ سماءً"، يقولون.
دعونا نسطّحُ، ونسوّي التعرّجات، في هذه الأرواح".

الصوتُ الأوّلُ:
أنا هادئةٌ تماماً. إنّهُ الهدوءُ الذي يسبقُ أمراً جللاً:
اللحظةُ الصفراءُ قبل أن تمشي الرّيحُ، وترفعَ الأوراقُ
أيديها نحو الأعلى، وتنثرُ شحوبَها. إنه هدوءٌ مطبقٌ هنا.
الشّراشفُ، والوجوهُ بيضاء، ومعطّلة، كساعاتِ الحائط.
الأصواتُ تختنقُ وتتسطّحُ. أبجدياتُها المرئيةُ تتوارى
فوق لحاءِ الصّفحاتِ كي تصدَّ الريحَ بعيداً.
إنّهم يصبغونَ تلكَ الأسرارَ بالعربيةِ والصينيةِ.

أنا حمقاء وسمراء. أنا بذرةٌ على وشكِ التشقّقِ.
السمرةُ هي ذاتي الميتةُ، وهي ذاتٌ حاقدةٌ:
ذاتي لا ترغبُ في أن تكونَ مختلفةً، أو أكثر.
الغسَقُ يغلّفني كالرّداء، كمثلِ مريمَ أخرى.

آهِ، يا لونَ المسافةِ، يا لونَ النسيانِ!
متى سيكونُ ذلكَ، حين يتفتّتُ الزّمنُ،
وتغمرُهُ الأبديةُ، فأغرقُ أنا بكلّيتي؟

أتكلّمُ مع نفسي، نفسي وحدها، المنفصلة ـ
المشبعة، والمطهّرة بالمعقّمات، كالأضحيةِ.
الانتظارُ يرخي ظلالَه، ثقيلاً، على جفنيّ. يكمنُ كالنّوم،
كمثلِ بحرٍ كبيرٍ. في البعيدِ، البعيدِ، أشعرُ
بالموجةِ الأولى تحملُ شحنتَها من المعاناةِ
وتتجهُ نحوي، عاليةً كالمدِّ، لا مفرَّ منها.
وأنا، كصَدَفةٍ، أرنُّ على هذا الشّاطئِ الأبيضِ،
أواجهُ الأصواتَ التي تغمرُني، وأواجهُ العنصرَ المرعبَ.

الصوتُ الثالثُ:
أنا جبلٌ الآن، بين نسوةٍ كالجبال.
الأطباءُ يتحركون، كأنّ ضخامتَنا
أخافتِ العقلَ. هم يبتسمون كالحمقى.
اللّومُ يقعُ عليهم، لما أنا عليه، وهم يعرفون ذلكَ.
يعانقون تسطّحَهم كشكلٍ من أشكالِ الصحّةِ.
وماذا لو وجدوا أنفسهم مندهشين، كما وجدتُ نفسي؟
سيُجنّ جنونُهم على إثرِ ذلك.

وماذا لو أنّ حياتين اثنتين دلَفَتا من بين فخذيّ؟
لقد رأيتُ الحجرةَ البيضاء، النظيفةَ، ومعدّاتها.
إنّها مكانٌ للصرَخات. إنّها ليستْ سعيدة.
"إلى هنا ستأتين حين تكوني جاهزة".
أضواءُ اللّيلِ أقمارٌ حمراء مسطّحةٌ.
إنّها مرهقةٌ بالدّم.
أنا لستُ جاهزةً لأيّ شيءٍ يحدثُ،
كان ينبغي أن أقتلَ هذا الذي يقتلُني.

الصوتُ الأول :
لا توجدُ معجزةٌ أكثر قسوةً من ذلك.
أنا التي تجرّني الأحصنةُ، والحوافرُ الفولاذيةُ.
أتحمّلُ هذا. إنّي أتحمّلُ هذا. ثم أنجزُ العملَ.
نفقٌ مظلمٌ، تسري عبرهُ الأخيلةُ،
والرؤى، والتجلّياتُ، والوجوهُ المذعورةُ.
أنا مركزُ مجزرةٍ بالفعلِ.
أيةُ آلامٍ، وأحزانٍ، سأربّيها كالأمّ؟

هل يمكنُ لتلكَ البراءةِ أن تقتلَ، وتقتلَ؟ إنّها تستنفذُ حياتي.
الأشجارُ تيبسُ في الشّوارع. والمطرُ يفتّتُ الأشياءَ.
أكادُ أتذوّق قطراتِه على لساني. أتذوّقُ الرّعبَ الملموسَ،
والرّعبَ الذي يقفُ، والرّعبَ الذي يستريحُ،

القابلاتُ النّحيلاتُ، بقلوبهنّ التي تدقُّ، وتدقُّ،
مع حقائبِ معدّاتهنّ.
سأكونُ حائطاً، وأكونُ سقفاً، للحمايةِ.
سأكونُ سماءً، وهضبةً من الخيرِ: أوه! دعني أكونُ!

ثمة قوّةٌ تتملّكني، عنادٌ قديمٌ.
إنّي أتداعى كالعالمِ. وثمة هذا الظلامُ،
هذا الخدرُ في العتمةِ. أفتحُ يدي لأضمَّ جبلاً.
الهواءُ ثقيلٌ. الهواءُ ثقيلٌ بسببِ هذا الإعياء.
أنا مستَعْمَلةٌ. تدقّ الطبولُ فأطيعُ استعمالي.
عيناي معصورتان بسبب هذا الظّلام.
إنّي لا أرى شيئاً.

الصوتُ الثّاني:
أنا متّهمةٌ. أنا أحلمُ بالمجازرِ.
أنا حديقةٌ من الآلامِ الحمراء والسّوداء. أشربُها،
كارهةً نفسي، كارهةً وخائفةً منها. والآن،
العالمُ يتصوّرُ نهايتَه، ويهرولُ نحوها،
بذراعين مفتوحتين، حبّاً. إنّهُ حبُّ الموتِ،
الذي يجعلُ كلَّ شيءٍ مريضاً.
شمسٌ ميتةٌ تبقّعُ ورقَ الجرائدِ. إنّها حمراء.
أمقتُ الحياةَ بعد الحياةِ. الأرضُ السوداءُ تشربُهم.

إنّها مصّاصةُ الدّماءِ بيننا جميعاً. لذا هي تساعدُنا،
وتسمنّنا، وهي لطيفةٌ. وفمُها أحمر.
أعرفُها أنا. أعرفُها عن كثب.
وجهٌ شتويٌ هَرِمٌ، أجرد وشائخٌ، وقنبلةٌ موقوتةٌ هرمةٌ.
الرجالُ عاملوها بلؤمٍ عارمٍ. سوف تأكلُهم.
تأكلُهم، وتأكلُهم، وتأكلُهم في النّهايةِ.
لقد غربتِ الشّمسُ. أنا أموتُ. أنا أصنعُ الموتَ.

الصوتُ الأوّلُ:
من يكونُ هذا الصبيُّ الأزرقُ المهتاجُ،
السّاطعُ والغريبُ، كأنّما تدحرجَ من نجمةٍ؟
إنّهُ يبدو شديدَ الغضب.
يطيرُ إلى غرفتِهِ، كمن تتعقّبُ كاحلَه صرخةٌ.
اللونُ الأزرقُ يشحبُ. إنّه إنسانٌ في نهايةِ المطاف.
زهرةُ لوتس حمراء تتفتّحُ في إناءٍ من الدّم.
إنهم يقطّبون جسدي بالحرير كأنّني المادّة.

ماذا كانت تفعلُ أصابعي قبل أن يُمسكوا بي؟
ماذا كان قلبي يفعلُ بحبّهِ؟
لم أرَ شيئاً بهذا الوضوحِ من قبل.
جفناهُ يشبهان زهرةَ اللّيلكِ،

وأنفاسُه ناعمةٌ كفراشةٍ.
لن أستسلمَ البتّة.
لا يوجدُ مكرٌ أو اعوجاجٌ فيه. ليتَهُ يبقى هكذا.

الصوتُ الثاني :
هناكَ يمكثُ القمرُ، في الشُّباك العالي. انتهى كلّ شيء.
يا للشتاءِ كيفَ يملأ روحي! وذاك الضوءُ الطباشيريّ
نافخاً حراشفَه فوق النوافذ، نوافذِ المكاتبِ الفارغةِ،
والصفوفِ المدرسيةِ الفارغةِ، والكنائسِ الفارغةِ.
أوه، يا للفراغِ الكبير!
ثمة هذا الجمود. ثمة هذا التوقّفُ المخيفُ لكلّ شيءٍ.
أجسادٌ تتكدّسُ حولي، الآنَ. هؤلاء النائمون القطبيون ـ
أيّ شعاعٍ قمريٍّ أزرق يجمّدُ أحلامَهم؟
أشعرُ به يدخلُ فيَّ، بارداً، غريباً، كأداةٍ،
وذاك الوجهُ القاسي المجنونُ في نهايتِهِ،
ذاكَ الفمُ المفتوحُ في شكلِ "آهٍ"،
الفاغرُ في تعبيرِهِ عن الحزنِ الأبديّ.
هل هي التي تجرُّ بحرَ الدّم الدّاكنِ، نحوها،
شهراً وراء شهرٍ، بأصواتِ الخسارةِ المسموعةِ منه؟
أنا عاجزة كمثلِ هذا البحرِ في نهايةِ خيطِ المسافة.
أنا قلقةٌ. قلقةٌ وعديمةُ النّفعِ. أنا أيضاً أبتكرُ الجثثَ.

ينبغي أن أتوجّه شِمالاً. سأتوجّه إلى عتمٍ أطول.
إنّي أرى نفسي كظلٍّ، لا كامرأةٍ أو كرجلٍ.
لا كامرأةٍ يسعدُها أنّها كالرّجلِ، ولا كرجلٍ،
صريحٍ وواضحٍ، حتى أنّه لا يشعرُ بالنّقصِ.
إنّي أشعرُ بالنّقصِ. أرفعُ أصابعي إلى الأعلى،
كعشرة أوتادٍ بيضاء. ألا ترى!
الظلامُ يدلفُ من الشقوقِ.
وأنا لا أستطيعُ احتواءَهُ. لا أستطيع احتواءَ حياتي.

سأصبحُ بطلةً لكلّ ما هو هامشيّ.
لن أكون متّهمة بأزرارٍ منفردةٍ،
بثغراتٍ في كعوبِ الجوارب، بالوجوهِ البيضِ،
السّاكتةِ، بالرّسائل التي لم يُردّ عليها،
المطمورةِ داخل علبٍ خاصّة بالرّسائل.
لن أكون متّهمةً. لن أكون متّهمةً.
السّاعةُ لن تجدَني أنتظرُ، ولا هذه النجومُ
التي تُجنُّ في مكانِها، هاويةً بعد هاويةٍ.

الصوتُ الثالث :

أراها في نومي، فتاتي الحمراء المرعبة.
إنها تبكي خلف الزجاجِ الذي يفصلُ بيننا.
إنّها تبكي، وهي غاضبةٌ جداً.

صرخاتُها خطّافاتٌ تصرُّ وتزعقُ كالقطط.
ومن خلال هذه الخطّافات تجعلني ألتفتُ إليها.
إنها تبكي على الظّلامِ، أو على النّجومِ،
التي تضيءُ تائهةً في المسافةِ التي تبعدُها عنّا.

أظنّ أنّ رأسَها الصغيرَ محفورٌ في الخشبِ، الأحمرِ،
الصّلدِ، بعينيها المطبقتين، وفمِها المفتوحِ.
ومن الفمِ المفتوحِ تنطلقُ صرخاتٌ حادّةٌ
تنغرزُ في نومي كالسّهام،
تنغرزُ في نومي وتخترقُ خاصرتي.
ليس لابنتي أسنانٌ. فمُها واسعٌ.
إنّها تطلقُ تلك الأصوات الداكنة، المزعجة.

الصوتُ الأوّلُ:
من ذا الذي يرمي تلك الأرواح البريئة نحونا؟
انظرْ، إنها متعبة جداً، وجميعُها تستلقي أفقيةً
فوق أسرّتها. أسماؤها مقيّدة إلى رسغها،
تلك القلائد الفضيّة الصغيرة التي قطعوا
كلّ تلك المسافات من أجلِها.
بعضُهم، شعرهُ أسود كثّ، وبعضُهم أصلع الشّعر.
لونُ بشرتهم ورديٌّ أو شاحبٌ، بنّيٌّ أو أحمرُ،
وقد بدأوا يتذكّرون اختلافاتهم.

أعتقدُ أنهم مصنوعون من الماء، ولا تعابيرَ لهم.
ملامحهم نائمةٌ، كمثل الضّوء فوق مياهٍ هادئةٍ.
إنّهم النسّاكُ الحقيقيون والرّاهباتُ الحقيقياتُ
في ملابسهم المتطابقة.
أراهم يمطرون كالنّجومِ فوق العالمِ ـ
فوق الهندِ، وأفريقيا، وأمريكا، أبناء المعجزة هؤلاء،
هذه الصّورُ الطّاهرةُ الصغيرةُ. تفوحُ رائحتُهم حليباً.
أقدامُهم غير قابلةٍ للمسّ. إنها مشاؤون في الهواء.

أيمكنُ للاشيء أن يكون ممتلئاً هكذا،
هو ذا ابني.
عينُهُ الواسعةُ هي تلك الزرقةُ المسطّحةُ الشائعةُ.
إنه يلتفتُ نحوي مثل نبتةٍ صغيرةٍ، ساطعةٍ، عمياء.
صرخةٌ واحدةٌ تكفي لتكونَ الخطّافَ الذي أتمسّكُ به.
ثم أصيرُ نهراً من حليبٍ.
أنا هضبةٌ دافئةٌ.

الصوتُ الثاني :
أنا لستُ بشعةً. أنا حتّى جميلة.
المرآةُ تعكسُ امرأةً بلا تشوّهات.
الممرضاتُ يُرجعن ملابسي، وهويتي.

يقلْن من المعتادِ أن يحدثَ شيءٌ كهذا.
أمرٌ معتادٌ في حياتي، وفي حياة الأخريات.
أنا واحدةٌ من خمسة، تقريباً، لكنّني لستُ بلا أملٍ.
أنا جميلةٌ كالإحصاء. هنا قلمُ حمرتي.

أرسمُ فوق الفمِ القديم.
الفم الأحمرُ الذي وضعْتهُ، جانباً، مع هويتي.
منذ يومٍ مضى، منذ يومين، منذ ثلاثة أيام. كان يومَ جمعةٍ.
بل إنّي لا أحتاجُ إلى عطلةٍ. أستطيعُ الذهابَ إلى العملِ اليومَ.
أستطيعُ أن أحبّ زوجي، الذي لا بدّ أن يتفهّمَ الأمرَ.
يحبُّني، رغم دمغةِ تشوّهي، كأنّي خسرتُ ساقاً، أو عيناً، أو لساناً.
هكذا أجدُ نفسي، عمياء قليلاً. هكذا أمشي
على دواليب، يجهزونها مسبقاً، بدلاً من ساقيّ.
وأتعلّمُ كيف أتحدّثُ بأصابعي، وليس لساني.
الجسدُ غايةٌ في الثراء.
جسدُ السمكةِ النّجميةِ يمكنه أن يسترجعَ الذّراعين،
والسمندلُ حيوانٌ مائي سخيٌّ بالأرجلِ.
ليتني أكونُ سخيةً بما ينقصُني.

الصوتُ الثالثُ :

إنها جزيرةٌ صغيرةٌ، مسالمةٌ ونائمةٌ.
وأنا سفينةٌ بيضاء تنعبُ: وداعاً، وداعاً.
النهارُ يتوهّجُ. إنّهُ في حالةِ حِدادٍ شديدةٍ.
الزهورُ في هذه الغرفة حمراء واستوائية.
لقد عاشتْ خلفَ الزّجاجِ طوال حياتِها،
وتلقت رعايةً وحناناً طوال هذه المدّة.
الآن، هي تواجهُ شتاءً من الشّراشفِ البيضاء، والوجوهِ البيضاء.
ثمة القليلُ مما يمكنني وضعه داخل حقيبةِ ملابسي.

ثمة ملابس المرأة البدينة التي لا أعرفُها.
ثمة مشطي وفرشاتي. وثمة الفراغ.
أشعر بالهشاشة على حين غرّة.
أنا جرحٌ يخرجُ ماشياً من المشفى.
أنا جرحٌ يتمّ الإفراج عنه.
أتركُ صحّتي ورائي. أتركُ أحداً ما
وفياً لي: أفكُّ أصابعها كالضمادات، وأمضي.

الصوتُ الثاني :

أعودُ إلى ذاتي ثانيةً. لا توجدُ نهاياتٌ سائبةٌ.
لقد نزفتُ حتى صرتُ بيضاء كالشّمع، وليست لديّ روابط.

أنا مستويةٌ وعذراء، وهذا يعني أن لا شيءَ حدثَ البتّة،
لا شيءَ لا يمكن خياطتُه، وترميمُه، ورتقُه، والبدءُ من جديد.
هذه الأغصانُ السوداءُ الصغيرة لا تفكّر بالبراعم،
كما أنّها لا تذبل، والمزاريبُ الجافّةُ تحلمُ بالمطر.
هذه المرأة التي تقابلني خلف النوافذ ـ أنيقة جدّاً.

أنيقةٌ جداً، لدرجةِ أنّها شفّافة، كالرّوح.
يا لها! كيف تفرضُ ذاتَها الأنيقةَ، بخجلٍ شديدٍ، على
جحيمِ البرتقال الأفريقي، والخنازير المعلّقة من عرقوبها.
إنها تتجاهلُ الواقعَ. إنّها أنا. إنّها أنا ـ
تتذوقُ المرارةَ بين أسناني.
الشرّ المستطيرُ للأشياء اليومية.

الصوتُ الثّالثُ:
إلى متى أستطيعُ أن أكونَ حائطاً، أصدُّ الريحَ؟
إلى متى أستطيعُ أن أداعبَ الشّمسَ بظلِّ يدي،
وأتلقّى الصّواعقَ الزّرقاءَ للقمرِ الباردِ؟
أصواتُ الوحدة، وأصواتُ الحزن،
تزعقُ خلف ظهري بلا انقطاعٍ.
كيف يمكنُ لهذه التّرنيمةِ الصغيرةِ أن تلطّفَ حدّتَها؟

إلى متى سأبقى حائطاً حول ممتلكاتي الخضراء؟
إلى متى ستظلُّ يداي ضماداً حول جرحكَ، وكلماتي
عصافير ساطعة في السماء، تواسيكَ، تواسيكَ؟
إنّه لأمرٌ مخيفٌ أن تكون منفتحاً جدّاً،
كأنّ قلبي استعارَ وجهاً، وانطلقَ إلى العالم.

الصّوتُ الثّالثُ:

اليومَ، الكلّياتُ سكرى بالرّبيع.
ردائي الأسود جنازةٌ صغيرةٌ:
يُظهرني امرأةً جدّيةً جدّاً.
الكتبُ التي أحملها تلتصقُ بخاصرتي.
أُصبتُ بجرحٍ قديمٍ، يوماً، لكنّه في طور الشفاء.
حلمتُ بجزيرةٍ، حمراء بالصّرخات.
كان حلماً فقط، ولم يكن يعني شيئاً.

الصّوتُ الأوّلُ:

زهورُ الفجرِ تحت شجرة الدردارِ، خارج المنزل،
وطيورُ السمّان عادتْ: تصرخُ كصواريخَ ورقيةٍ.
أسمعُ صوتَ السّاعات يعلو ثمّ يخبو فوق السياجِ.
أسمعُ خوارَ الأبقارِ. الألوانُ تعيدُ ابتكارَ نفسِها،
والدّخانُ يتصاعدُ من الأيكة الرّطبةِ تحت الشّمس.
زهورُ النّرجسِ تتفتّحُ تيجانُها في البستان كوجوهٍ ناصعةٍ.

ثمة شيءٌ يدعوني للطمأنينةِ. شيءٌ يدعوني للطمأنينة.
تلك هي الألوانُ الواضحةُ السّاطعةُ لروضةِ الأطفالِ،
للبطّ الذي يتكلّمُ، وللحملانِ السّعيدة.
أنا بسيطةٌ من جديد. إنّي أؤمنُ بالمعجزات.
أنا لا أؤمنُ بأولئك الأطفال المرعبين
الذين يجرحونَ نومي بعيونِهم البيضاء،
وبأياديهم التي بلا أصابع.
سوف أتأمّلُ ما هو عاديّ.
سوف أتأمّلُ ابني. إنه لا يمشي.
إنه لا ينبسُ ببنتِ شفة.
إنّه ما يزالُ ملفوفاً بأربطةٍ بيض.
لكنّه متوردٌ، وبصحّة تامّة. كما أنّه دائم الابتسامة.
لقد فرشتُ غرفتَه بزهورٍ كبيرةٍ،
ورسمتُ قلوباً صغيرةً فوق كلِّ شيءٍ.

لا أريدُ له أن يكونَ استثنائياً.
الاستثناءُ هو ما يثيرُ اهتمامَ الشّيطان.
الاستثناءُ هو الذي يصعدُ هضبةَ الآلام،
أو يجلسُ في الصّحراء، ويجرحُ قلبَ أمّهِ.
أريدُ له أن يكونَ من العامّة،
وأن يحبّني مثلما أحبّه،
وأن يتزوجَ من يريد، وأينما يريدُ.

الصوتُ الأوّلُ :

ظهيرةُ قيظٍ في المروجِ. زهرُ الحوذان الأصفر
يندى ويذوبُ، والعشّاقُ، يعبرونَ، ويعبرونَ.
داكنون هم، ومسطّحون، كالظّلال.
جميلٌ ألا يكونَ لكَ أية ارتباطات!
أنا وحيدةٌ كالعشب. ما الذي أفتقدُهُ؟
هل سأجدهُ، ذاتَ يوم؟ كائناً ما كان؟

البجعاتُ رحلَتْ، مع ذلكَ، النهرُ
يتذكّرُ كم كنَّ ناصعاتِ البياض.
إنه يطاردهنّ بأضوائِه.
يعثرُ على ظلالهنَّ في غيمةٍ.
ما هذا العصفورُ الذي يبكي،
بكلّ ذاكَ الحزنِ في صوتِهِ؟
أنا شابٌّ، كما دائماً، يقولُ. ما الشّيءُ الذي أفتقدهُ؟

الصّوتُ الثّاني :

أشعرُ بالرّاحةِ وأنا في دائرةِ الضوء. المساءاتُ تطولُ.
أرفو قميصاً داخلياً من حريرٍ: زوجي يقرأُ الجريدةَ.
يا للجمالِ، كيف يضمُّ الضوءُ كلَّ هذه الأشياء.
ثمة نوع من الدُّخان في هواءِ الرّبيع،

دخانٌ يأخذُ الحدائقَ، والتماثيلَ الصغيرةَ
بوجوهها المتورّدة، كأنّ حناناً ما استيقظَ،
الحنان الذي لم يتلاشَ، إكسير الشفاء هو.
أنتظرُ وأتوجّعُ. أظنّ أنّني في طورِ الشفاء.
ثمة الكثير مما يمكنُ القيام به. يداي يمكنهما
أن ترفوا التخاريمَ في هذا النّسيجِ بأناقةٍ بالغةٍ.
زوجي يقلّبُ ويقلّبُ صفحاتِ الكتابِ.
ها نحنُ في المنزل معاً، بعد ساعات قليلة.
وحده الوقتُ يرخي بثقلِهِ فوق راحاتِنا.
الوقتُ وحده، وهو ليس بالشّيء المادّي.

يمكن للشوارعِ أن تتحوّلَ إلى ورقٍ، فجأةً،
لكنني أُشفى من السقوطِ الطّويلِ، وأجدُ
نفسي في السّرير، آمنةً فوق فراشي،
يداي إلى الأمام، خوفاً من سقوطٍ آخر.
أجدُ نفسي ثانيةً. أنا لستُ طيفاً،
رغم أنّ ظلاً يتشكّلُ عند قدميّ. أنا زوجةٌ.
المدينةُ تنتظرُ وتتوجّعُ. العشبُ الصغيرُ
يشقّ طريقَهُ بين الحجارةِ، أخضرَ، يرفلُ بالحياةِ.

آذار، **1962**

158- مقطعٌ موسيقيٌّ صغيرٌ

الأصابعُ السّودُ لشجرةِ الصنّوبرِ ترتجفُ؛
سحبٌ باردةٌ تمرُّ في الأعلى.
هكذا يشيرُ الأبكمُ والأخرسُ
للأعمى، لكنّ لا أحدَ يلتفتُ.

أعشقُ البيانات السوداء.
واختفاء ملامحِ تلك الغيمة، الآنَ!
بيضاء، بكلّيتها، كالعينِ.
عينُ عازفِ البيانو فوق

طاولتي في السّفينة.
راحَ يتلمّسُ طعامَه.
لأظافرهِ أنفُ ابنِ عرس.
لم أستطعْ سوى أن أنظرَ.

كان يصغي إلى بيتهوفن.
صنوبرةٌ داكنةٌ، وسحابةٌ بيضاء،
تلك هي المضاعفات الرّهيبة.
فخاخُ أصابع ـ وفوضى مفاتيح.

فارغة وسخيفة كالصّحون،
كذا هي الابتسامةُ العمياء.
أحسدُ الضّوضاءَ الكبيرةَ،
سياجَ الصّنوبر في (كروس فيوج).

الصمَمُ شيءٌ آخر تماماً.
الأنبوبُ الأسودُ، والدي!
أرى صوتَكَ
داكناً، ومورقاً، كما كان الحالُ في طفولتي،

سياجُ الصّنوبر على نسقٍ واحدٍ،
بربريٌّ وغرائبيٌّ، وألمانيٌّ بامتياز.
الرّجالُ الموتى يصرخون منه.
أنا لستُ مذنبةً بشيء.

الصنوبرُ يسوعُ، بالنسبة لي، إذاً.
ألم يتعرّض لتعذيبٍ مماثلٍ؟
وأنتَ، خلال "الحرب العظيمة"،
كنتَ تتناولُ الأطعمةَ المعلّبةَ من كاليفورنيا

وتعلّقُ النقانقَ من عراقيبِها!
إنّهم يلوّنون نومي،

أحمرَ، وأرقشَ، مثل أعناقِ مقطوعةٍ.
ثمّ خيّمَ صمتٌ!

صمتٌ عظيمٌ من نظامٍ آخر.
كنتُ في السّابعة، ولم أكنْ أعرفُ شيئاً.
العالمُ حدثَ هكذا.
لكَ ساقٌ واحدةٌ، وعقلٌ من مملكةِ بروسيا.

الآن سحبٌ مشابهةٌ
تبسطُ شراشفَها الفارغةَ.
هل لا تقولُ شيئاً؟
أنا عرجاءُ الذّاكرة.

أتذكّرُ عيناً زرقاء،
وحقيبةً من البرتقال.
كان هذا هو الرّجلُ، إذاً!
داكناً تفتّحَ الموتُ، كمثلِ شجرةٍ داكنةٍ.

أنجو لبعض الوقتِ،
فأرتّبُ صباحاتي.
هذه أصابعي، وذاك طفلي.
السحبُ ملابسُ زواجٍ من قماش الشّحوب.

2-نيسان، 1962

159- مظهرٌ خارجيٌّ

ابتساماتُ صناديقِ مكعّباتِ الثّلجِ تمحوني.
تلك التّيارات الزرقُ في عروقِ من أحبّ.
أسمعُ قلبَها العظيمَ يصهلُ.

من شفتيها الأبجدياتُ والإشاراتُ الخفيّةُ
تختفي كالقُبل.
إنّهُ يومُ الإثنين في رأسِها: المعاييرُ الأخلاقيةُ

تُكوى وتُغسَلُ، وتقدّمُ نفسَها.
كيف لي أن أفسّرَ هذه التناقضات؟
أرتدي أكماماً بيضاء، ثم أنحني.

أهو الحبّ، إذاً، تلك المادّةُ الحمراءُ
المتدلّيةُ من إبرةِ الفولاذِ التي تطيرُ عمياءَ.
سوف أخيطُ ملابسَ ومعاطفَ صغيرة،

تكفي لتغطّي سلالةً بحالِها.
يا لجسدِها كيف ينفتحُ وينغلقُ ـ
ساعةٌ سويسريةٌ، مذهّبة الحوافّ!

آهِ، يا قلبُ، ما هذا التفكّكُ!
النجومُ تتلألأ مثل أرقامٍ مرعبة.
ألف، باء، تاء، تقولُ عيناها.

4- نيسان، 1962

160- عبور الماء

بحيرةٌ سوداء، وقاربٌ أسود، واثنان أسودان،
وأناسٌ من ورقٍ مقصوص.
أينَ تذهبُ الأشجارُ السّودُ التي أتتْ إلى هنا لتشربَ؟
لا بدّ أنّ ظلالَها تغطّي كندا.

ضوءٌ صغيرٌ يتقطّرُ من زهورِ الماءِ.
أوراقُها لا تريدُ لنا أن نسرعَ الخطى:
إنّها مدوّرةٌ ومسطّحةٌ ومليئةٌ بالحكمةِ السّوداء.

عوالمُ باردةٌ تهتزُّ من المجذاف.
روحُ السّوادِ موجودةٌ فينا، وموجودةٌ في الأسماكِ.
نتوءٌ مثل تلويحةَ وداعٍ، يرفعُ يداً شاحبةً.

النجومُ تتفتّحُ بين زهورِ الزّنبقِ.
هل أبهرتْكَ النواقيسُ التي تعجزُ عن التعبير؟
هذا صمتُ الأرواحِ المذهولةِ.

4-نيسان، 1962

161- بين زهورِ النّرجس

رشيقٌ، وملتوٍ، ورماديٌّ، مثل عيدانِ أذارٍ،
"بيرسي" ينحني، بسترتِهِ الخضراء، بين زهورِ النّرجس.
إنّه يتعافى من شيءٍ راسبٍ في الرئة.

زهورُ النّرجسِ، أيضاً، تنحني أمامَ شيءٍ ما، كبيرٍ.
إنها تنثرُ نجومَها فوق التلّةِ الخضراء، حيث بيرسي
يخفّفُ من مشقّةِ ضماداتِهِ، ثمّ يمشي، ويمشي.

ثمة نبلٌ في هذا، ثمة رزانةٌ أيضاً ـ
الزهورُ حيّةٌ كالضّماداتِ، والرّجلُ يتعافى.
تنحني وتقفُ: إنها تعاني من نوباتٍ جمّةٍ!

والرّجلُ الثمانينيّ يعشقُ القطيعَ الصغيرَ.
إنّه أزرق، تماماً، والرّيحُ تقلّدُ أنفاسَهُ المرعبة.
النّرجسُ ينظرُ إلى الأعلى، كالأطفالِ،
ناصعَ البياضِ، وفائقَ السّرعةِ.

5-نيسان، 1962

162- طائرُ الدُرّج

قلتَ إنّكَ ستقتلُهُ هذا الصبّاح.
لا تقتله. ما يزالُ يجعلني أجفلُ،
ذاكَ النتوءُ لرأسٍ داكنٍ غريبٍ،

يتحرّكُ بين العشبِ الطّويلِ، فوق هضبةِ الصّنوبرِ.
إنّه لشيءٌ عظيمٌ أن تمتلكَ طائرَ الدرّج،
أو أن يزوركَ هذا الطّيرُ على الإطلاق.

أنا لستُ صوفيةً: لم أقلْ
أنّ للدرّجِ روحاً.
الروحُ متغلغلةٌ في جوهرِ عنصرهِ.

هذا ما يمنحهُ هيبةَ الملوك، أو الحقّ بذلكَ.
طبعةُ كفِّهِ على الوحلِ في الشّتاءِ الماضي،
ثم أثرِ ذيلهِ فوق الثلجِ في باحةِ دارنا ـ

تلك الأعجوبةُ، وسط ذاكَ الاصفرار،
عبر خطوطٍ متشابكةٍ من السنونو والترقّب.
أهي ندرتُهُ، إذن؟ إنه شيءٌ نادرٌ.

سربٌ من تلك الطّيور يستحقّ أن نمتلكَه،
أو مئة منها، فوق تلك التلّة ـ الخضراء والحمراء،
تروحُ وتجيءُ، عندئذٍ: شيءٌ غاية في الحسن!

إنه الشّكلُ المحضُ، المفعمُ بالحياةِ.
إنّها حفلةُ الألوان تلك.
يصفّقُ بجناحيهِ، بنّياً كورقةٍ،

ثمّ يتوارى خلف شجرة الدردار، سهلاً كالهواء.
لكنّ جمالهُ أكثر سحراً بين زهورِ النّرجسِ.
أتجاوزُ كلَّ الحدودِ. ليكنْ هذا، ليكنْ، فحسبُ.

7-نيسان، 1962

163- شجرةُ الدردار

أعرفُ القعرَ، تقولُ هي. أعرفُه من خلال جذري العظيم.
هو ذا ما تخشاه أنتَ.
أنا لا أخافُه. لقد سبقَ وكنتُ هناك.

أهو البحرُ، ذاك الذي تسمعُهُ فيّ،
وأمزجته المتقلّبة،
أو صوتُ اللاشيء، الذي كان جنونك؟

الحبّ ظلٌّ فحسب.
كيف تكذبُ، ثم تبكي بعد ذلك.
اسمعْ: تلك وقعُ حوافرهِ، لقد فرّ بعيداً، كحصان.

طوالَ اللّيل، سوف أعدو، هكذا، بتهوّرٍ،
حتى يصبحَ رأسُكَ حجراً، ووسادتُك مرجاً صغيراً
يتردّد منها الصّدى، ... يتردّدُ الصّدى.

أم هل عليّ أن أحضّرَ لكَ صوتَ السمّ؟
هذا مطرٌ الآنَ، ومن ثمّ سكينةٌ كبيرةٌ،
ثمّ ثمارها، بيضاء كالزّرنيخ.

لقد كابدتُ مجازرَ غروب الشّمسِ،
واحترقتُ حتّى جذوري،
أغصاني الحمراء تحترقُ، وتلوّحُ يداً من أسلاك.

الآن أتكسّرُ شذراتٍ صغيرةً وأتطايرُ كالعيدان،
ريحٌ بذاك العنف لن تحتملَ
الوقوفَ على الحياد: يجب أن أصرخَ.

القمرُ امرأةٌ بلا رحمةٍ: سوف تجرُّني
بقسوةٍ، لأنني عاقر.
سطوعُها يحرقُني. أو ربّما أنا التي اصطدتُها.

أُطلِقُ سراحَها، أُطلقُ سراحَها،
مسطّحةً، ومنكمشةً، كأنّما بعد عمليةٍ جراحيةٍ.
يا لأحلامكِ السيئةِ، كيف تستحوذُ عليّ، وتغنيني.

أنا ملجومةٌ بصرخةٍ.
في اللّيلِ تخفقُ بأجنحتِها،
باحثةً بأسافينِها عن شيءٍ تحبّهُ.

أنا مرعوبةٌ من هذا الشّيءِ الدَّاكنِ
الذي ينامُ فيّ.
طوال النّهارِ أشعرُ بتحرّكِهِ الرّيشيّ النّاعمِ، وبخبثِهِ.

الغيومُ تعبرُ وتتفرّقُ. هل هي وجوهُ الحبِّ،
تلك الصّورُ الشّاحبةُ التي لا يمكنُ استرجاعها؟
ألهذا السّبب أعذّبُ قلبي؟

أنا لستُ قادرةً على معرفةٍ أكبر.
ما هذا؟ هذا الوجه القاتلُ
الذي يُطبقُ على الأغصان؟

أسيدُهُ الأفعوانيّ يطبع قبلةً
ويشلُّ الإرادةَ! تلك هي العثراتُ البطيئةُ المعزولةُ
التي تقتلُ، وتقتلُ، وتقتلُ.

19-نيسان، 1962

164- صائدُ الأرانب

إنّه مكانُ قوّةٍ ـ
بشَعري الذي يطيرُ تدغدغُ الرّيحُ فمي
وتمزّقُ صوتي، والبحرُ يبهرني بأضوائِهِ،
حيث أرواحُ الموتى تتلوّى فيه مسفوحةً كالزّيت.

ذقتُ الخبثَ القاتلَ لنباتِ الوزّال،
وإبرَهُ السّوداءَ،
والسّكونَ المتطرّفَ لشموعٍ زهورهِ الصَفراء،
إنّها مكتفيةٌ بذاتِها، وجمالُها عظيمٌ،
باذخةٌ هكذا، كالعذاب.

كان ثمّة مكانٌ واحدٌ يمكنُ الركونُ إليه.
مهتاجةً، معطّرةً،
الدروبُ الصغيرةُ تضيقُ، موصلةً للفسحةِ الخاويةِ.
والكمائنُ كاد يمحو بعضها بعضاً ـ
الأصفارُ تُطبقُ على اللاّشيء،

متناوبةً، قريبةً، كمثلِ آلامِ الولادة.
غيابُ الصرخاتِ

أحدثَ فتحةً في النّهار الحارّ، فراغاً ما.
الضوءُ الزجاجيُّ جدارٌ واضحٌ.
الأكماتُ هادئةٌ.

شعرتُ بانشغالٍ هادئٍ، بغايةٍ ما.
شعرتُ بيدين حول إبريقِ الشاي، صريحتين، ملولتين،
تُحْدثان رنيناً في الأواني الخزفيةِ البيضاء.
يا لها كيف انتظرتهُ، تلك الميتاتُ الصغيرةُ!
لقد انتظرتْ قدومَه كعاشقاتٍ. ولطالما متّعْنهُ.

ونحن أيضاً كانتْ لدينا علاقات ـ
ثمة أسلاكٌ مشدودةٌ بيننا،
ودبابيس، شديدةُ العمقِ، لا يمكنُ اقتلاعها،
وعقلٌ يشبهُ الحلقةَ يقفلُ على شيءٍ ما سريعٍ،
كما أنّ الانقباضَ يكاد يقتُلني.

21-أيار، 1962

165- حدث

يا للعناصرِ كيف تتحجّرُ! ـ
ضوءُ القمرِ، والجرفُ الكلسيُّ
الذي نستلقي في صدوعِهِ

كتفاً لكتفٍ. أسمعُ بومةً تنتحبُ،
من شجرتِها الزرقاءِ الباردةِ.
أحرفٌ صوتيةٌ لا تُطاقُ تخترقُ قلبي.

الطفلُ في مهدِهِ الأبيضِ يتقلّبُ، ويتنهّدُ،
يفتحُ فمَه، مطالباً بشيءٍ ما.
وجهُهُ الصّغيرُ مرسومٌ على خشبٍ أحمر يتألّم.

ثمّ بانتْ نجومٌ ـ قاسيةٌ، وغيرُ قابلةٍ للمحو ـ
لمسةٌ واحدةٌ، ونحترقُ أو تمرضُ.
لا أستطيعُ أن أرى عينيكَ.

وإذ برعمُ التفّاحِ يُدخِلُ الصقيعَ لليلِ،
أمشي داخل حلقةٍ،
أو بستانٍ من العثرات القديمةِ، العميقةِ والمرّة.

الحبّ لا يمكنُهُ المجيءَ إلى هنا.
فجوةٌ سوداء تفضحُ نفسَها.
على الشفَةِ المقابلةِ

روحٌ بيضاء صغيرةٌ تهيّجُ
نزوةً بيضاءَ صغيرةً. أطرافي أيضاً غادرتْني.
من ذا الذي قطّعناهُ إرْباً، إرْباً؟

الظّلامُ يذوبُ. وها نحن نتلامسُ كائنين مشلولين.

21-أيار، 1962

166- حدوس

ثمة هذا الحائطُ الأبيضُ. فوقه تبتكرُ السّماءُ نفسَها ـ
لانهائيةً، خضراء، لا تُلمَسُ أبداً.
فيها الملائكةُ تسبحُ، والنجومُ أيضاً، غارقة في اللامبالاة.
إنّها مجالي الحيوي.
الشّمسُ تذوبُ فوق هذا الحائطِ، نازفةً أضواءَها.

حائطٌ رماديٌّ، الآنَ، مدمىً ودمويٌّ.
ألا توجدُ طريقةٌ للهروبِ من العقلِ؟
خطواتٌ على ظهري تسقطُ في البئرِ.
لا توجدُ أشجارٌ أو طيورٌ في العالمِ.
يوجدُ فقط عذابُ الخيبةِ.

هذا الحائطُ الأحمرُ يرمشُ باستمرارِ:
الأحمرُ، أولاً، يفتحُ ويغلقُ،
حقيبتان، رماديتان، من الورق ـ
من هذا أنا مصنوعةٌ، وثمة رعبٌ ـ
أن أُدهَسَ تحت الصلبان،
وتحت مطرٍ من تماثيلِ العذراء.

على حائطٍ أسود، عصافيرُ مجهولةٌ،
تلوي أعناقَها، وتبكي.
لا حديثَ عن الخلودِ فيما بينها.
فراغاتٌ باردةٌ تزحفُ نحونا:
إنها تتحرّكُ على عجلٍ.

28-أيار، 1962

167- بيرك بليج

(محمية طبيعية شمال فرنسا)

مكتبة
t.me/t_pdf

(1)

هذا هو البحرُ، إذاً، ذاكَ المتحلّقُ العظيمُ.
وتلك الطريقةُ التي تستدرجُ فيها الشّمسُ تهيّجُ بشرتي.

تلك هي المثلّجاتُ الملوّنةُ، التي تنقلُها من الثلاّجةِ،
فتياتٌ شاحباتُ الوجهِ، يجتزْنَ الهواءَ بأيدٍ موشومةٍ.

لماذا كلّ هذا الهدوء؟ وما الذي يخفيه هؤلاء؟
لي ساقان، وها أنا أتنقّلُ، مبتسمةً.

مثبّطٌ رمليٌّ يقتلُ كلَّ الاهتزازات،
ويمتدُّ إلى أميالٍ بعيدةٍ. الأصواتُ المنحسرةُ، تومئُ،

لا يسندُها شيءٌ، إنّها تبلغُ نصفَ حجمِها السّابق.
خطوطُ العينِ، التي أرهقتْها تلك السّطوحُ العاريةُ،

ترتدُّ إلى نحرِها مثل مطّاطٍ مشدودٍ، حارقةً المالكَ.
أمرٌ يدعو للعجبِ أن يرتدي نظّاراتٍ سوداء؟

أمرٌ يدعو للعجبِ أن يتخفّى بلباسِ الكاهنِ؟
ها هو يأتي، مع صيّادي سَمكِ الأسقمريّ،

الذين يديرون له ظهورَهم. إنّهم يتعاملون مع
الفراغات الخضْرِ والسّودِ كأنّها من أجزاءِ الجسدِ.

البحرُ، الذي صقَلَها كالكريستالِ، يهربُ بعيداً،
بأفاعيهِ الكثيرةِ، يطاردهُ هسيسٌ طويلٌ من الاكتئاب.

(2)
هذه الجزمةُ الفاحمةُ، ليس في قلبِها رحمةٌ لأحدٍ.
ولمَ يتوجّبُ عليها! إنهّا نعشُ قدمٍ ميتةٍ فحسب.

القدمُ العاليةُ، الميتةُ، التي بلا أصابع،
لهذا الكاهنِ الذي ينظّفُ بئرَ كتابهِ

حيث الطباعةُ المائلةُ تنتفخُ أمامَه كالمنظرِ.
ملابس نسائيةٌ فاضحةٌ تختبئُ في الكثبانِ.

أثداءٌ وأوراكٌ، وسكّرُ صانعِ الحلوى،
تلك أشياءُ الكريستالِ، التي تدغدغُ الضوءَ،

بينما بحيرةٌ خضراء تفتحُ عينَها،
تعاني المرضَ بسبب ما ابتلعتهُ ـ

أعضاءٌ، وصورٌ، وصرخاتٌ. خلف متاريس
الاسمنتِ ثمة عاشقان يفكّان أزرارَ حبّهما.

آهِ، يا آنيةَ الفخّارِ البحريّة البيضاء،
أية تنهّداتِ مخنوقةٍ تلك، وأيُّ ملحٍ في الحنجرةِ...

النّاظرُ، ينجذبُ، مرتعشاً،
كمادّة، صلبةٍ، طويلةٍ،

عبرِ خبثِ ساكنٍ،
حيث عشبةٌ وافرة الزّغب كشيءٍ خاصّ.

(3)
على شرفةِ الفندقِ أشياء تتلألأ.
أشياء، وأشياء ـ

كراسٍ فولاذيةٌ للمُقعدين، أنبوبيةُ الشّكلِ،
وعكاكيز من الألمنيوم. تلك هي العذوبةُ المرّةُ.

لماذا عليّ أن أمشي خلف مكسرِ الأمواجِ
مرتديةً نظّارتين؟ أنا لستُ ممرّضةً، بيضاءَ وحاضرة.

أنا لستُ ابتسامةً. هؤلاء الأطفالِ
يطاردون شيئاً ما، بأسافينِهم وصرخاتهِم،

وقلبي صغيرٌ جداًّ، لا يستطيعُ تضميدَ عثراتِهم المرعبةِ.
هذه خاصرةُ إنسانٍ: وتلك أضلاعُهُ الحمراءُ،

وهذه هي الأعصابُ، كالشّجرِ، وهذا هو الجرّاحُ:
عينٌ مرآويةٌ واحدةٌ.

وثمة ملمحُ معرفةٍ.
فوق فراشٍ مزوّقٍ، في الحجرةِ المجاورةِ،

ثمة رجلٌ طاعنٌ في السنّ، يتلاشى.
زوجتُه، التي تنتحبُ، لا تسعفهُ في شيءٍ.

أين هي أحجارُ العينِ، تلك الصفراء الثمينة؟
اللسانُ ياقوتةٌ من رمادِ.

(4)

وجهٌ في كعكةِ الزّفافِ مغلّفٌ بزينةٍ ورقيّةٍ.
يا لهُ من متفوّقٍ، الآنَ.

كأنّهُ يمتلكُ قدّيساً.
الممرّضاتُ، بملابسِ غرفهنّ، لم يعدْن جميلاتٍ.

إنهنّ يزدْدن سُمرةً، كمثل غاردينيا تحت اللّمسِ.
الفراشُ يتدحرجُ بعيداً عن الحائط.

هذا ما ينبغي أن نكملَه. إنّه شيء مرعبٌ.
أهو يرتدي البيجاما أم سترتَه المسائيةَ

تحت الغطاءِ اللّزجِ، حيث منقاره المعطّر
يرتفعُ ناصعَ البياض، بلا حمايةٍ؟

ضربوا فكّه بكتابٍ حتى تخشّبَ،
وفردوا يديهِ، اللّتينِ ترتعشان: وداعاً، وداعاً.

الآن، الشراشفُ المغسولةُ تطيرُ في الشّمسِ،
وأغطيةُ الوسائدِ تنشرُ عطرها.

إنّها هبةٌ، إنّها هبةٌ.
التّابوتُ الطّويلُ من بلّوطٍ صابونيّ اللّون،

والحمَلَةُ الفضوليون، والموعدُ الخامُ،
محفوراً على الفضّةِ بهدوءٍ رائعٍ.

(5)

السّماءُ الرماديةُ تدنو، والهضابُ، مثل بحرٍ أخضر،
تتماوجُ، مرجاً إثر آخر، في البعيد، خافيةً فراغاتها،

الفراغاتُ التي تنهالُ فيها أفكارُ الزوجةِ ـ
قوارب عملية، صريحة،

مملوءةٌ بالثياب، والقبّعات، والأواني الخزفية، والبنات المتزوجات.
في شرفةِ البيتِ الحجري

ستارةٌ وحيدةٌ ترتجفُ من النّافذة المفتوحة،
تتماوجُ، وتُوقعُ أرضاً شمعةً مسكينةً.

هذا هو لسانُ الرّجل الميت: تذكّرْ، تذكّرْ.
كم هو بعيدٌ الآن، أعمالُهُ حوله

مثل أثاثِ غرفةِ الجلوسِ، كالديكور.
وإذْ يتراكمُ الشحوبُ ـ

شحوبُ الأيدي والوجوهُ الجارَةُ،
والشحوبُ المبتهجُ للقزحيةِ الطّائرة.

إنّها تطيرُ إلى اللامكان: تذكّرونا.
المقاعدُ الخاويةُ للذاكرة تعتني بالحجارة،

واجهاتُ رخامٍ معرّق بالأزرقِ، وباقاتُ نرجسٍ في كؤوسٍ
هلاميةٍ من زجاج. المكانُ جميلٌ جداً: إنه مكانٌ للتوقّف.

(6)

الكثافةُ الطبيعيةُ لأوراقِ الزّيزفون ـ
كراتٌ خضراء مقطوعةٌ: الأشجارُ تزحفُ نحو الكنيسةِ.

صوتُ الكاهنِ في الهواءِ الرّقيقِ،
يلتقي الجثّةَ عند البوابةِ،

ثم يخاطُبها، بينما تدحرجُ الهضابُ ألحانَ جرسِ الموتِ.
لألأةٌ للقمحِ والترابِ الفجّ.

ما اسمُ ذاكَ اللّون؟ ـ
الدمُ القديمُ للجدرانِ المشويةِ، التي تشفيها الشمسُ.

الدمُ القديمُ لجذوعِ الأطرافِ، والقلوبِ المحترقِة.
الأرملةُ مع كتاب الجيب الأسودِ، وبناتِها الثلاثة،

ضروريةٌ بين الأزهار،
تطوي وجهَها كحريرٍ باذخٍ،

ولن تبسطَ ملامحَه ثانيةً.
بينما السماءُ، المملوءةُ بابتسامات المجاملة،

تطيّرُ سحابةً، إثرَ سحابةٍ.
زهورُ العروسِ تضوعُ نضارةً،

والروحُ عروسٌ في مكانٍ هادئٍ،
والعريسُ أحمر، بلا ذاكرة، وبلا ملامح.

(7)

خلف زجاجِ هذه السّيارةِ،
العالمُ ينوسُ، وديعاً، متلاشياً.

أنا هادئةٌ، أرتدي بزّةً سوداء، كضيفٍ في الحفلة،
أسيرُ، بطيئةً، بمحاذاةِ العَرَبةِ.

الكاهنُ زورقٌ،
قماشٌ أغبر، نادمٌ وملولٌ

يتبعُ التابوتَ فوق عربتِهِ المزهرة، مثل امرأةٍ جميلةٍ،
موجةٌ من الأثداء، والشفاهُ والرّموشُ

تقتحمُ ذروةَ الهضبةِ.
بعدئذٍ، الأطفالُ من خلفِ الباحة المسيّجة

يشمّون ذوبان دهان الحذاء،
وجوههم، تلتفتُ بطيئةً، بلا كلمات،

عيونُهم تتفتحُ
على شيءٍ رائعٍ -

ستُّ قبّعاتٍ، سوداء، مستديرة، فوق العشبِ
ومساحةٌ من خشب، وفمٌ عارٍ، أحمر، ومائل.

للحظةٍ بدتِ السماءُ تنزلقُ من فتحةٍ كالبلازما.
لا يوجدُ أملٌ البتّة. لقد أقلعنا عن الأمل.

30-حزيران، 1962

168- الآخر

تدخلينَ متأخّرةً، وتمسحينَ شفتيكِ.
ما الذي تركْتهُ، أنا، لم ألمسْهُ على العتبةِ ـ

الربّةُ البيضاءُ (نايكي)
تتهادى بين جدراني؟

مبتسماً، البرقُ الأزرقُ،
يتكفّلُ بلملمةِ أجزائهِ.

الشرطةُ تحبّكِ، لأنّكِ تعترفين بكلِّ شيءٍ.
شعرٌ فاتحٌ، وحذاءٌ أسود من بلاستيكٍ عتيقٍ.

هل حياتي معقّدةٌ إلى هذا الحدّ؟
أمن أجل هذا تتوسّعُ الدوائرُ حول عينيكِ؟

أمن أجل هذا ترحلُ ذرّاتُ الهواء؟
إنها ليستْ ذرّات هواء، بل هي الخلايا.

افتحي حقيبةَ يدكِ. ما تلك الرائحةُ السيئةُ؟
أهو النسيجُ الذي تغزلينَه، وقد تشابكتْ

خيطانُه، بعضُها مع بعض؟
إنّها سكاكركِ الدّبقةُ.

ها هو رأسُكِ متكئٌ على حائطي.
حبالُ السرّةِ، حمراءُ وزرقاءُ، وشفّافةٌ،

تصرخُ من بطني كالسهام، وتلكَ أمتطيها.
آه يا ضياءَ القمرِ، آهِ أيُّها المريضُ بمفردكَ،

الخيولُ المسروقةُ، والفواحشُ،
تحيطُ كليّاً برحمٍ من رخام.

إلى أين أنتِ ذاهبةٌ
تستنشقينَ أنفاسَكِ كالمسافةِ؟

مُراهَقَاتٌ جهنّميةٌ تنوحُ في الحلمِ.
يا للزجاجِ البارِدِ، كيف تحشرين نفسكِ

بين نفسي ونفسي.
أخمشُ كقطّة.

الدمُ الذي يسيلُ فاكهةٌ سوداء ـ
تظاهرٌ، وتجمّلٌ.

أنتِ تبتسمينَ.
كلاّ، تلك ليست الابتسامة القاتلة.

2-تموز، 1962

169-كلماتٌ سُمِعتْ مصادفةً على الهاتفِ

أهٍ، يا وحلُ، يا وحلُ، كم أنتَ سائلٌ! ـ
سميكٌ كمثلِ قهوةٍ أجنبيةٍ، ونبضُكَ بطيءٌ.
تكلّمْ، تكلّمْ! من هناك؟
إنّهُ نبضُ الأمعاءِ، عاشق الهضم.
أنتَ، هو، الذي دوّنَ هذه الحروف.

ما هذه الكلماتُ، هذه الكلماتُ؟
إنّها تتدحرجُ كالوحلِ.
آهٍ، يا إلهي، كيف لي أن أنظّفَ طاولةَ الهاتفِ؟
إنها تضغطُ على فتحاتِ السّمعِ، باحثةً عمّن يُصغي.
أهو هناكَ؟

القمرُ يهسهسُ، الآنَ. الآلةُ
تسحبُ مجسّها.
لكنّ النّزيفَ العارمَ في قلبي. أشياءُ الخصوبةِ تلك.
يا أنبوبَ القذارة، يا أنبوبَ القذارةِ ـ
أنتَ ضخمٌ جداً.
ينبغي أن يعيدوكَ!

11-تموز، 1962

170- خشخاشٌ في تموز

زهورُ خشخاشٍ صغيرةٌ، ألسنةُ لهبٍ صغيرةٌ.
ألا تتسبّبينَ بأي ضررٍ؟

تتأرجحينَ. لا أستطيعُ لمسَكِ.
أضعُ يدي في اللّهبِ. لا شيءَ يحترقُ.

ويرهقُني النظرُ إليكِ
تتأرجحينَ، هكذا، حمراءَ، جليّةً، كبشرةِ الفم.

فمٌ امتلأ دماً للتوّ.
تنانيرُ حمراء صغيرةٌ!

ثمة أبخرةٌ لا أستطيعُ لمسَها.
أين هو خدُركِ، وكبسولاتُ غثيانكِ؟

لو كان بمقدوري أن أنزفَ، أو أنامَ! ـ
لو كان فمي قادراً على مضغِ أذىً كهذا!

لو كان نبيذكَ ينفذُ إليّ، في حبّةٍ زجاجيةٍ،
تخدّرني وتهدّئني.

لكنّها، بلا لونٍ. بلا لونٍ.

20-تموز، 1962

171- إحراق الرسائل.

أضرمتُ ناراً، لأنني تعبتُ
من القبضاتِ البيضاء
في الرّسائل القديمةِ، وخشخشةِ الموتِ فيها،
كلّما اقتربتُ أكثرَ من سلّةِ المهملات.
ما الذي كانوا يعرفونه ولم أعرفْه أنا؟
حبّةً بعد حبّةٍ، يدحرجونَ
الرّملَ حيث حلمُ الماءِ الصّافي
مرِّ كمثلِ سيارةٍ مسرعةٍ.
أنا لستُ لماحة في الحبّ، يا حبّ،
ولستُ على ما يرام، وقد سئمتُ
رقعَ اللّعبِ الكرتونية التي لها لونُ الاسمنت،
أو ثلّة كلابٍ اجتمعتْ على الكراهيةِ،
تحت أمرة ثلّةٍ من الرّجال، بستراتٍ حمرٍ،
خلال زمنِ شاراتِ البريدِ.

يمكنُ للنّارِ أن تتلكأَ أو تترنّحَ، لكنها لا ترحمُ.
علبةٌ زجاجيةٌ أدخِلُ أصابعي من خلالها،
رغم أنّها قد تذوبُ وتهنُ، وثمة من يقولُ:
"ممنوع اللّمس".

هنا تنتهي الكتابةُ، والخطّافاتُ الخفيفةُ
تنحني وتنكمشُ، والابتساماتُ، الابتساماتُ.
ستكونُ مكاناً مناسباً، على الأقلّ، تلك الحجرة السفلية.
على الأقلّ لن أختنقَ تحت السّطحِ،
سمكةً حمقاءَ،
بعينٍ صغيرةٍ واحدةٍ،
أرقبُ الوميضَ
مسافراً عبر قطبي الشّمالي،
بين هذه الرّغبةِ وتلك.

أوقظُ عصافيرَ الكربونِ على ثوبي المنزلي.
إنّها أكثر جمالاً من تلك البومةِ، التي بلا جسد،
تلك الطيورُ تواسيني -
تعلو وتحلّقُ، لكنّها عمياء.
ترفرفُ، سوداءَ، مشعّةً،
تستحقّ أن تكونَ ملائكةَ الجمرِ،
لكن ليس لديها ما تقولُهُ لأحدٍ البتّةَ.
كنتُ شاهدةً على ذلك.
بشفرةٍ مجرفةٍ
أكنسُ الأوراقَ التي تتنفّسُ كالنّاس،
وأرميها بعيداً،

بين الخسِّ الأصفرِ والملفوفِ الألماني،
المتورِّطِ بأحلامِهِ الزّرقاءِ الغريبةِ،
المتورِّط كالجنين.
وثمة اسمٌ بحوافَّ سوداء،

يذبلُ عند قدميَّ،
وسحلبٌ متعرّجٌ
في عشٍّ من جذورِ الشَعرِ، والضجرِ-
عيونٌ شاحبةٌ، وأصواتٌ خشنةٌ،
مصنوعةٌ من جِلدٍ مدبوغٍ!
مطرٌ دافئٌ يمسحُ شَعري، لكنّه لا يطفئُ شيئاً.
عروقي تتوهّجُ كالشّجرِ.
الكلابُ تمزّقُ ثعلباً. هكذا يبدو الوضعُ-
انبجاسٌ أحمر، وصرخةٌ تنفصِلُ عن حقيبتِها الممزّقةِ،
ولا تتوقّفُ مع العينِ الميتةِ،
والتعبيرِ المدجّجِ، بل تمعنُ
في طلاءِ الهواءِ، شارحةً لذرّات السحبِ، والأوراقِ، والماءِ
ماذا يعني الخلود. هذا بحدّ ذاتِهِ ضربٌ من الخلود.

13-آب، 1962

172- إلى ابنٍ بلا أب

سوف تعي غياباً، للتوّ،
يكبرُ حولكَ، كمثلِ شجرةٍ،
شجرة موتٍ، لونُها يتلاشى،
كمثل شجرةِ صمغٍ أسترالية ـ
جرداء، مشخنةٌ بالبروق ـ هي وهمٌ،
سماءٌ كخاصرةِ خنزيرٍ، نقصٌ حادّ في الانتباه.

لكن، في هذه اللّحظة، أنتَ ما زلتَ مغفّلاً.
وأنا أحبُّ غباءَكَ،
حيث المرآةُ العمياءُ. أنظرُ فيها
لا أجدُ وجهاً سوى وجهي، وأنت تعتقدُ أنّ هذا مضحكٌ.
يحلو لي كثيراً أن أدعكَ تُمسكَ أنفي، كدرجةِ سلّمٍ.
ذاتَ يومٍ قد تلمسُ المكانَ الغلطَ.
الجماجمُ الصغيرةُ، والهضابُ الزرقُ
المهشّمة، والسكينةُ الرهيبةُ.
حتى ذلك الحين، ابتساماتُكَ نقودٌ مكتشفةٌ.

62-أيلول، 1962

173- هديةُ عيدِ ميلاد

ما الذي خلف هذا الوشاح، أشيءٌ بشعٌ، أم جميلٌ؟
هل يومضُ متلألئاً، ولهُ أثداءٌ، ولهُ حوافٌّ؟

أنا متأكّدةٌ أنه شيءٌ فريدٌ، ومتأكّدة أنه تماماً مثلما أريدُ.
حين أكونُ هادئةً، في أثناء الطّبخِ، أشعرُ به
ينظرُ إليّ، أشعرُ به يفكّرُ:

"أهذه ما ينبغي أن أظهرَ من أجلِها، هل هي واحدة من النّخبةِ،
بكدمةٍ سوداء حول العينِ، وندبةِ جرحٍ؟

تُحصي الطحينَ، وتُنقِصُ الفائضَ،
وتتقيّدُ بالقواعدِ، القواعدِ، القواعدِ.

أهذه تصلحُ للخلاصِ؟
إلهي، أية ضحكةٍ تلك!"

لكنّه يومضُ، ولا يتوقّفُ، وأظنّه يريدُني.
لا آبهُ إن كانَ عظْماً، أو زرَّ لؤلؤةٍ.

لا أطلبُ المزيدَ من الهدايا، هذا العام، في أيّ حالٍ.
فأنا على قيدِ الحياةِ بمحضِ المصادفة.

كان يمكن أن أقتلَ نفسي، بكلٍّ سعادةٍ، بأيةِ طريقةٍ ممكنةٍ.
الآنَ، ثمة هذه الوشائحُ، تتلألأُ كالسّتائرِ،

والساتانُ الشفّافُ لنافذةِ كانون الثاني،
ناصعُ البياضِ كأطفالِ رضّعٍ، يلمعونَ
بأنفاسٍ ميتةٍ. آهٍ، يا للعاجِ!

لابدّ أنه نابُ فيلٍ هناك، أو عمودُ شبحٍ.
ألا ترى أنه لا يهمُّني كثيراً ما يكون.

ألا تستطيعُ أن تعطيَني إياهُ؟
لا تخجلْ ـ لا يهمّ إنْ كان صغيراً.

لا تكنْ لئيماً، أنا مستعدّةٌ للضخامةِ.
دعنا نجلسُ حوله، كلٌّ منّا في جهةٍ، نتغزّلُ بضيائهِ،

وبالسّطوعِ الذي فيه، وتعدّدِ مراياه.
دعنا نتناولُ عشاءَنا الأخيرَ، منه،
كأنّما من صحنِ مشفى.

أعرفُ لماذا لا تريدُ أن تعطيني إياه،
لأنّكَ تخشى أن يُنسَفَ العالمُ

في صرخةٍ واحدةٍ، ويطير رأسُكَ معه، نحاسياً،
مثل درعٍ عتيقٍ، أعجوبة تتركُها لأحفادِ أحفادِكَ.

سوف آخذهُ فقط، وأنزوي جانباً، بكلّ هدوءٍ.
لن تسمعَني حتّى وأنا أفتحُهُ. لا خشخشةَ ورقٍ،

لا شرائطَ تنفضُّ، ولا صرخةً في النهايةِ.
لا أظنّكَ ستقدّرُ لي هذه الحصافة.

لو كنتَ تدري فقط كيف كانتِ الوشائحُ تقتلُ أيامي.
بالنسبة لكَ هي مجرّدُ أشياء شفّافةٍ، أو هواءٍ واضحٍ.

ولكن، إلهي، الغيومُ تشبهُ القطنَ،
وثمة جيوشٌ منها. ثاني أكسيد الكربون.

بعذوبةٍ، بعذوبةٍ، أستنشقُهُ،
وأملأُ شراييني بالخفايا، مع ملايين

الذرّاتِ المحتملةِ التي تذرو الأعوامَ من حياتي كالقشّ.
ترتدي بزّةً فضّيةً للمناسبة. آهٍ، أيتُها الآلةُ المضافةُ ـ

هل من المستحيلِ أن تتخلّى عن شيءٍ، وتتخلّى عنه بكلّيتهِ؟
هل ينبغي أن تمهرَ كلّ جزءٍ باللّونِ الأرجوانيّ؟

هل ينبغي أن تقتلَ ما أنتَ قادرٌ على قتلهِ؟
شيءٌ واحدٌ أريدهُ، اليومَ، ووحدكَ القادرُ على منحي إياه.

إنه يستقرُّ خلف نافذتي، شاسعاً كالسّماء.
يتنفّسُ من أغطيتي، ذاكَ المركز البارد الميت،

حيث الأعمارُ المهدورةُ تتحجّرُ، ثم تيبسُ، للتّاريخ.
لا تدعهُ يأتي بالبريدِ، إصبعاً، إصبعاً.

لا تدعْه يأتي، مثل كلمةٍ في فمٍ. سأبلغُ الستّين
حين أستلمُهُ بكاملهِ، ويعلوني الخدرُ قبل أن أستعملَهُ.

فقط ارفعِ الوشاحَ، الوشاحَ، الوشاحَ.
إذا كان موتاً، فسأحترمُ كثيراً جاذبيتَه

العميقةَ، وعينيه اللّتين بلا زمنٍ.
عندئذٍ سأعرفُ أنّكَ جادٌّ.

وسيكونُ نبلاً، وقتَها، وسيكونُ عيدَ ميلادٍ حقّاً.
لن تحزَّ السكّينُ أو تقطعَ، حينَها، بل ستلجُ

صافيةً ونظيفةً كبكاءِ الطّفلِ،
ثمّ يولدُ الكونُ برمّتِهِ من خاصرتي.

30-أيلول، 1962

174- المفتّشُ

ما الذي كانت تفعلُه، هي، حين هبَّ
فوق الهضابِ السبعِ، والأثلامِ الحمرِ، والجبلِ الأزرقِ؟
هل كانت ترتِّبُ الفناجينَ فحسب؟ هذا مهمٌّ.
هل كانت خلف النافذةِ، تسترقُ السمعَ؟
في ذاك الوادي، زعيقُ القطارِ يتردّدُ صداهُ مثل أرواحٍ
مصلوبةٍ على أكثر من إسفينٍ.

ذاكَ هو وادي الموت، رغم أنّ الأبقارَ تغتبطُ في مراعيه.
في حديقتِها ينفضُ الكذبُ حريرَهُ الرّطبَ،
وعينا القاتل تتحرّكان بكسلٍ، على نحوِ مواربٍ،
غير قادرتين على مواجهةِ الأصابعِ، أو النرجسيين أولئك.
الأصابعُ تدفعُ امرأةً باتجاه الحائطِ،

وتعلّقُ الجسدَ على أنبوبٍ، بينما الدّخانُ يتصاعدُ.
هذه رائحةُ السنين التي تحترقُ، هنا، في المطبخِ،
وتلك هي الخدعُ المعلّقة كصورِ العائلة.
هذا هو الرّجل، انظرْ إلى ابتسامتهِ،
سلاحِ الموت؟ ولكن لا أحدَ ميتٌ.

لا أحدَ في المنزلِ على الإطلاق.
ثمة رائحةُ ملمّعِ الأحذيةِ، والسجّادات الوبرية فحسب.
وثمة ضوءُ الشمسِ، يشحذُ سكاكينَه،
وسفّاحٌ ضجرٌ، في غرفةٍ حمراء،
حيث اللاسلكي يتحدّثُ إلى نفسِهِ مثل قريبٍ عجوزٍ.

هل أتى ـ الموتُ ـ كسهمٍ، هل أتى كسكّينٍ؟
أيّ السمومِ هو؟
أيّةُ آلةٍ تجعّدُ الأعصابَ، والمهيّجات؟ هل يكهربُ؟
هذا صندوقٌ بلا جسدٍ.
الجسدُ لا يقربُ منه بتاتاً.

إنها علبةٌ للتبخّر فحسب.
الفمُ أوّلاً، حيث يُعلَنُ عن غيابِهِ،
في السّنةِ التاليةِ. كان فماً لا يشبعُ،
وكعقابٍ له، عُلّق كثمرةٍ بنّيةِ اللّون،
لكي يجفَّ، وتحرثُه التجاعيدُ.

يلي ذلك الثديان.
هذان هما الأكثر قسوةً: حجران أبيضان فحسب.
الحليبُ يخرجُ أصفر، ثم أزرقَ اللون، ثم صافياً كالماء.

لم يكن ثمة من غيابٍ للشفتين. طفلان، هناك،
عظامهما بارزةٌ، وقمرٌ يفترُّ ثغرُه عن ابتسامةٍ.

ثمّ الخشبُ الجافُّ، والبواباتُ،
والتجاعيدُ البنّيةُ للأمّ، والبستانُ برمّتِهِ.
نمشي على الهواء، يا (واتسون).
القمرُ فوقنا يراقُبنا، مطلياً بالفوسفور،
والغرابُ يحطُّ على الشّجرةِ. سجّلْ ملاحظاتك.

1-تشرين الأول، 1962

175- شجاعةُ السكوتِ

شجاعةُ الفمِ السّاكتِ، رغمِ المدافعِ!
الخطُّ قرمزيٌّ وهادئٌ، دودةٌ تتشمّسُ.
ثمة أقراصٌ سوداء خلفه، أقراصُ الشّجاعةِ،
وغضب السماء، ودماغها المرسوم بدقّة.
الأقراصُ تدورُ، طالبةً أن يسمعَها الجميعُ ـ

محشوةً، كما هو الحال، بحساباتِ اللاّشرعية.
أفعالٌ لا شرعيةٌ، واستخداماتٌ، وهجرٌ، وازدواجيةٌ،
والإبرةُ المسافرة في الثلمِ،
والوحشُ الفضّيّ بين واديين داكنين،
والجرّاحُ العظيمُ، الذي باتَ رسّامَ وشمِ الآنَ،

يحفرُ وشمَه، مراراً وتكراراً، فوق الهمومِ ذاتها،
والأفاعي، والأطفالِ الرضّعِ، وأثداء حورياتِ البحرِ،
وفتيات الأحلامِ اللّواتي يمشين على الأقدام.
الجرّاحُ هادئٌ تماماً، لا ينطقُ ببنتِ شفة.
لقد رأى موتاً كثيراً، ويداهُ ممتلئتان به.

هكذا تدورُ أقراصُ الدماغ، مثل مسنّناتِ المدفعِ.
ثم هناكَ، ذاك المنجلُ الفريدُ، واللّسانُ الأرجوانيّ،
الذي لا يعرفُ الكللَ. هل ينبغي قطعَه؟

له تسعةُ أذنابٍ، وخطرهُ داهمٌ.
فضلاً عن الضجّةِ، التي يسلخُها عن الهواء، حالما يبدأُ الحركةَ!

كلاّ، حتى اللّسان، تم وضعَهُ جانباً،
لقد تُركَ معلّقاً في المكتبةِ، مع زخارف (رانغون)،
ورؤوسِ الثعالبِ، ورؤوسِ الفقماتِ، ورؤوسِ الأرانبِ.
إنّه شيءٌ فائق الرّوعةِ ـ
تلك الأشياءُ التي اخترقها في حينِها.

ولكن ماذا عن العيونِ، العيونِ، العيونِ؟
يمكن للمرايا أن تقتلَ وتتكلّمَ، إنّها حجراتٌ مرعبةٌ،
حيث التعذيبُ مستمرٌّ ولا يملكُ المرءُ سوى أن يشاهدَ.
الحقيقةُ التي عاشتْ في هذه المرآةِ هي وجهُ رجلٍ ميتٍ.
لا تقلق بشأن العيون ـ

يمكنها أن تكونَ بيضاءَ وخجولةً، لكنّها
لا تشبهُ حمامَ الرفوفِ في شيءٍ،
أشعّةُ الموتِ في مآقيها تُطوى كرايات البلدان
التي لم يعدْ أحدٌ يسمعُ بها،
استقلاليةٌ عنيدةٌ
مفلسةٌ بين الجبال.

2-تشرين الأول، 1962

176- اجتماعُ النّحل

من هم هؤلاء النّاسِ على الجسرِ
الذين يريدون مقابلتي؟ إنّهم القرويون ـ
الكاهنُ، والقابلةُ، وقندلفتُ الكنيسةِ، ووكيلةُ النّحل.
في ملابسي الصيفية، التي بلا أكمام، ليس لي حمايةٌ قطّ،
هم يرتدون القفّازات، والملابس الواقية، وأنا لم يخبرني أحدٌ؟
إنّهم يبتسمون، ويرفعون أغطيةَ الوجهِ الموصولةِ إلى قبّعاتٍ قديمةٍ.

أنا عاريةٌ مثل رقبةِ دجاجةٍ. هل لا يحبني أحدٌ؟
نعم، ها هنا سكريترةُ النّحلِ، بمريولها الأبيض،
تزرّرُ لي أكمامَ الرّسغ، والفتحةَ من العنق حتى الركبتين.
أنا حريرٌ كعشبةِ اللّبن، الآنَ، والنّحلُ لن يلاحظَ ذلك.
سوف لن يشمّ خوفي، خوفي، خوفي.

من يكون الكاهنُ، الآنَ، أهو ذاكَ الرّجلُ بملابس سوداء؟
ومن تكون القابلة؟ أذاك هو معطفُها الأزرقُ؟
الكلُّ يومئُ برؤوسٍ مربّعةٍ سوداء، إنّهم فرسانٌ بأقنعةٍ.
تحت آباطهم عُقدت صفائحُ من شاشِ القطنِ،
ابتساماتُهم وأصواتُهم تتبدّلُ.
ثمة من يقودني إلى حقلٍ من الفاصولياء.

شرائط من ورق الألمونيوم ترمشُ كالبشرِ،
مراوحُ ريشٍ تلوّحُ ، في بحرٍ من زهورِ الفاصولياء.
زهورُ فاصولياء ناصعة، بعيون سودٍ، وأوراقٍ كقلوبٍ مكلومةٍ.
أهي عقدُ دمٍ تجرّهُ الحوالقُ على طولِ ذاكَ السلِك؟
كلاّ، كلاّ، إنّها زهورٌ قرمزيةٌ، ستؤكلُ، ذات يومٍ.

الآن، يناولونني قبعةً إيطاليةً بيضاء من القشّ،
وقناعاً أسود، يغطّي وجهي. إنهم يجعلونني واحدةً منهم.
إنهم يأخذونني إلى حقلٍ محصودٍ، حيث حلقاتُ خلايا النّحل.
أهو الزعرور البرّي ما ينشرُ تلك الرّائحة؟
الجسدُ العاري للزّعرور، منوّماً أطفاله.

أثمة من يُجري عمليةً جراحيةً هنا؟
أهو الجرّاحُ الذي ينتظرُهُ جيراني؟
ذاك الطيفُ بخوذتهِ الخضراء،
وقفّازيه البرّاقين، وبذّتهِ البيضاء.
أهو الجزّارُ، أم السمّانُ،
أم ساعي البريدِ، أم أحدٌ ما أعرفه؟

لا أستطيعُ أن أركضَ، فجذوري ضاربةٌ في المكان،
والجولقُ يجرحُني، بجيوبِهِ الصفرِ، ودروعِهِ الشّوكية.
لم يكنْ بوسعي أن أركضَ، سوى أن أركضَ إلى الأبد.

خليةُ النّحلِ البيضاء دافئةٌ كعذراء،
تحمي خلايا شرايينِها، وعسلِها، وطنينِها الهادئِ.

الدخانُ يتدحرجُ، ويتلوّى في البستان.
عقلُ خليةِ النّحلِ يحسبُ أنّ هذا هو نهايةُ كلّ شيءٍ.
ها هم يأتون، فرسانُ النحلِ، على صهواتٍ مطّاطيةٍ هيستيريةٍ.
إذا ظللتُ ساكنةً، سوف يظنّون أنّني بقدونس ترعاهُ الأبقارُ،
رأساً زئبقياً لا يمكن أن تمسّهُ عداواتِهم،

لا تشيرُ حتّى أو تومئُ، بل مجردّ شخصٍ خلف سياجٍ.
القرويون يفتحون الحجرات، إنّهم يصطادون الملكةَ.
هل هي مختبئة؟ هل هي تأكلُ العسل؟ إنّها ذكية جداً.
إنّها هرمةٌ، هرمةٌ، هرمةٌ، وينبغي أن تعيشَ لعامٍ آخر، وهي تدركُ ذلك.
وإذ تختبئ داخلَ فتحاتِ الخلية، تحلمُ عذارى النّحل الجديدةُ

بمبارزةٍ سيكونُ النصرُ فيها حليفهنّ، لا محالةَ،
إذ لا تفصلهنّ عن طيرانِ العروسِ سوى ستارةٍ من الشّمعِ،
طيرانُ القاتلةِ عالياً، نحو السماءِ التي تحبُّها.
القرويون يعزلون عذارى النّحلِ، ولن تكون هناك مقتلةٌ.
الملكةُ الهرمةُ لا تُظهِرُ نفسَها، وهل لن تعترف بالجميل؟

أنا مرهقةٌ، أنا مرهقةٌ ـ
عمودٌ من بياضٍ بين سوادٍ من السكاكين.
أنا ابنةُ السّاحرِ التي لا تجفلُ.
القرويون يخلعون ملابسَ التمويهِ، ويتصافحون يداً بيد.
لمن ذاك الصندوقُ الأبيضُ الطّويلُ في الحقلِ،
وما الذي أنجزوهُ؟ ولمَ أنا باردةٌ؟

3-تشرين الأول، 1962

177- وصولُ صندوقِ النّحلِ

أنا التي أمرتْ بإحضارِهِ، هذا الصّندوق الخشبيّ النّظيف،
المربّعُ كالكرسيّ، والثقيلُ بحيث يصعبُ رفعَه تقريباً.
كان يمكنني القولُ إنه تابوتٌ لقزمٍ صغيرٍ
أو لطفلٍ مربّعٍ
لو لم يُسمعُ في داخلِهِ ذاكَ الطّنينُ.
الصندوقُ مقفلٌ، لأنّه خطيرٌ.
كان ينبغي أن أمكثَ معه طوالَ تلكَ اللّيلةِ
ولم يكن بمقدوري الابتعاد عنه.
ليس ثمة فتحات، وبالتالي لا أعرفُ ما الذي هناك.
يوجدُ قفلٌ صغيرٌ، ولا مخرجَ البتّةَ.

وضعتُ عيني فوق فتحةِ القفلِ.
إنه ظلامٌ، ظلامٌ،
مع شعورٍ جارفٍ بأيادٍ إفريقيةٍ
صغيرةٍ ودقيقةٍ، معدّة للتصدير،
ظلاماً فوق ظلامٍ، تخبّطُ غاضبةً.

كيف يمكنني أن أطلق سراحها؟
الطّنينُ، قبل كلِّ شيء، هو ما يخيفني،
تلكَ الحروفُ المبهمةُ.

هذا يشبهُ جوقةً رومانيةً، صغيرةً،
احتُجزتْ، الواحد تلو الآخر، ولكن، إلهي، الجميع معاً!

أسترقُ السمعَ لأحرفٍ لاتينيةٍ خرقاء.
أنا لستُ قيصر.
لكنني أمرتُ بإحضارِ صندوقٍ من المعتوهين.
يمكنني إرجاعهم فوراً.
يمكن أن يموتوا، ولا أستطيعُ أن أطعمهم شيئاً، أنا المالكةُ.

أتساءلُ كم هم جائعون الآن.
أتساءلُ كيف لهم أن ينسونني
إذا أنا خلعتُ القفلَ، وأخذتُ خطوةً إلى الوراءِ،
وتحولتُ فجأةً إلى شجرةٍ.
توجدُ شجرةُ الوزّال، وصفٌّ من أعمدتِها الشّقراء،
ثم التنانير التّحتية لشجرِ الكرز.

يمكنهم أن يتجاهلونني على الفور،
في بذّتي القمرية، ونقابي الجنائزي.
أنا لستُ نبعاً للعسلِ،
وبالتالي لماذا سيتمرّدون عليّ؟
غداً سأكون ربّةً رحيمةً، وأطلقُ سراحَهم جميعاً.

الصندوقُ شيءٌ آنيٌّ فحسب.

4-تشرين الأول، 1962

178- وخزات

بيدين عاريتين، أسلّمُ المشطَ.
الرجلُ بالأبيض يبتسمُ، عاريَ اليدين،
قفازاتُنا، من قطنِ الجبنة، أنيقةٌ وحلوةٌ،
وحناجرُ رسغَيْنا سوسنٌ جريءٌ.
هو وأنا ـ

آلافُ الخلايا النظيفةِ بيننا،
ثمانيةُ أمشاطٍ من الكؤوسِ الصفرِ،
وخليةُ النّحلِ ذاتها هي بمثابة فنجان شاي،
مزخرفة بزهورٍ قرمزية،
أطليها، أنا، بالحبِّ الفائض،
ولسانُ حالي يقولُ: "عذوبةٌ، عذوبةٌ".
خلايا الدم، بلونها البني كمستحاثّات الأصداف،
تُدخِلُ الهلعَ إلى قلبي، إذ تبدو هرمةً جدّاً.
ما الذي أشتريه، شجرة الماهاغوني التي ينخرها السوسُ؟
هل ثمة من ملكةٍ تتوارى فيها؟

إن كان ثمة من ملكة، فستكونُ طاعنةً في السنّ،
وجناحاها شالان ممزّقان، وجسدها الطّويل

بلا وبرِ المخملِ ـ
فقيرة، وعارية، بلا هيبة، وحتى مخجلة.
أقفُ في صفٍّ

نسوةٍ مجنّحاتٍ، لسْنَ ضرباً من المعجزةِ،
متسوّلاتُ عسَلٍ هنّ.
أنا لستُ متسوّلةً، مع أنني، لسنواتٍ، أكلتُ الغبارَ،
وجفّفتُ الصحونَ بشَعري الكثيفِ.

ورأيتُ غرائبيتي تتبخّرُ.
ندىً أزرقُ من بشرةٍ خَطِرةٍ.
هل ستكرهْنَني،
تلك النسوةُ اللواتي يهرولْنَ فحسب،
أخبارهنّ كرزٌ متفتّحٌ، وبرسيمٌ متفتّحٌ؟

انتهى كلّ شيءٍ تقريباً.
أنا وراء دفّة القيادة.
وها هنا آلتي لصنعِ العسلِ،
وسوف تعملُ من دون تفكيرٍ،
وتتفتّحُ في الرّبيع كعذراءَ مثابرةٍ

من أجل أن تجلوَ السّطوحَ اللزجةَ
مثلما يجلو القمرُ، بمسحوقهِ العاجيِّ، جسدَ البحر.
شخصٌ ثالثٌ يراقبُ.
لا علاقةَ له بالأكثر مبيعاً، أو بي.
ها قد توارى عن الأنظار، الآن،

خلف ثمانية أمداء، أضحيةً عظيمةً.
ها هنا فردةُ شبْشبه، وتلك هي الأخرى،
وهنا مربّع الحريرِ الأبيض الذي يرتديه،
عوضاً عن القبّعة.
لكم هو عذبُ المعشر،

وعرقُ جهدِهِ مطرٌ
يحثّ العالمَ إلى مزيدٍ من الثمار.
لقد عثرَ عليه النحلُ،
فالتصقَ بشفتيهِ كالكذبِ،
ما زادَ في تعقيدِ ملامحِهِ.

لقد ظنّ أنّ الموتَ يستحقُّ هذا العناء،
لكن لي ذاتٌ أريدُ إنقاذَها، إنّها تلك الملكة.
هل هي ميتةٌ، هل هي نائمةٌ؟

أين كانت كلّ هذا الوقت،
بجسدِها الأحمر كالشّجاعةِ، وجناحيها الزجاجيين؟

الآنَ، إنّها تحلّقُ عالياً،
أكثر رعباً مما كانت عليه من قبل،
جرحاً أحمرَ في السّماء، شهاباً أحمر،
فوق الآلةِ التي قتلتَها ـ
الضّريحُ، بيتُ الشّمع.

6-تشرين الأول، 1962

179- سربُ النّحلِ

أحدُهم يفتحُ النّارَ على شيءٍ ما في بلدتِنا ـ بومْ! ، بومْ!
أصواتُ طلقاتٍ رتيبةٌ تُسمَعُ في شارعِ الأحد.
يمكنُ للغيرةِ أن تفتحَ الدمَ،
وتُنبتَ زهوراً سوداء.

أنت السّببُ الذي يجعلُ السّكاكينَ تخرجُ من غمدِها
في (واترلو)، (واترلو)، يا نابليون،
حيث سنامُ (إيلبا)، فوق ظهرِكَ القصيرِ،
والثّلجُ، شاهراً أدواتِه السّاطعةِ،
كتلةً، كتلةً، يقولُ: "صهٍ!".

"صهٍ!" هؤلاء هم بشرُ الشّطرنجِ الذين تلعبُ بهم،
شخصيات ساكنةً من العاج.
الوحلُ يتغلغلُ إلى الحناجرِ،
أحجاراً تدوسُها الأحذيةُ الفرنسيةُ.
القبابُ الذّهبيةُ والبنفسجيةُ لروسيا، تذوبُ وتطفو،

في أفرانِ الجشَعِ. غيوماً، غيوماً.
هكذا، يتدحرجُ السربُ ويفرُّ،

سبعين قدماً نحو الأعلى، باتجاهِ صنوبرةٍ سوداء.
لا بدّ أنّ أحدَهم أطلقَ عليه النّارَ. بومْ! بومْ!
السربُ أحمقُ، حقّاً، إذ يظنُّ الطلقاتِ رعداً.

السربُ يظنّ أنّ هذا هو صوتُ الله،
يباركُ المنقارَ، والمخلبَ، وابتسامةَ الكلبِ،
بحدبتهِ الصفراء، كلبُ الشلّة،
مبتسماً أمام عظمٍ من العاج،
كباقي الشلّةِ، الشلّةِ، كالجميعِ.

النّحلُ ابتعدَ كثيراً. سبعون قدماً نحو الأعلى!
روسيا، وبولندا، وألمانيا!
الهضابُ الصغيرةُ، مراكز الجذب القديمة ذاتها،
مروجٌ انحسرتْ مثل فلسٍ يُرمى في النّهر. يلي هذا عبور النهر.

النّحلُ يتجادلُ فيما بينه داخل كرتهِ السّوداء.
ثمة سياجٌ طائرٌ، مرصّعٌ بالأشواكِ.
الرّجلُ، بيديه السمراوين، يقفُ تحت قرصِ العسلِ،
أحلامُ النّحل تلك، المحطّةُ التي تشبهُ الخليةَ،
حيث القطارات الوفيةُ لأقواسِها الفولاذية،

تغادرُ وتصلُ، ولا توجد نهايةٌ للبلاد.
بومْ، بومْ. السّربُ يسقطُ،
ممزّقاً، فوقَ عريشةِ اللّبلاب. لا حاجةَ للحديثِ عن الحوذيين،
والجنودِ المشاةِ، والجيشِ الجرّارِ!
خرقةٌ حمراء، يا نابليون!

رايةُ النصرِ الأخيرةُ.
السربُ وُجد مرمياً داخل قبّعةٍ من قشّ.
"إيلبا"، "إيلبا"، فقاعةٌ فوق بحرٍ!
الصدورُ النصفيةُ البيضاءُ لأكثر
من مارشالٍ، وأدميرالٍ، وجنرالٍ،
تتدافعُ نحو ملاجئِها.

أيّ درسٍ يمكنُ استخلاصه هنا؟
الأجسادُ الحمقاءُ المكدّسةُ،
تمشي فوق المنصّة الخشبية المزينة بالرايات الممزقة
للأمّ فرنسا، باتجاه ضريحٍ جديدٍ،
وقصرٍ من العاجِ، تلك الصّنوبرة الشّعثاء.

الرّجلُ ذو اليدين البنّيتين يبتسمُ ـ
إنهّا ابتسامةُ عمليّةٍ صرفةٍ، لرجلٍ أعمالٍ ناجحٍ.

هاتان ليستا يدين، بل وعاءين لحريرِ الصّخرِ.
بومْ! بومْ! "كان يمكن أن يقتلونَني".
وخزاتٌ كبيرةٌ كدبابيسِ الرّسم.
يبدو أنّ للنّحلِ فكرة ما عن الشّرف،
وعن عقل مظلم لا تُسبرُ أغوارهُ.
نابليون سعيدٌ، وهنا كلُّ شيءٍ يفرحُهُ.
آهٍ، يا أوروبا، آهٍ، يا أطنانَ العسل!

7-تشرين الأول، 1962

مكتبة
t.me/t_pdf

180-شتائيات

هذا هو الوقتُ السّهلُ، إذ لا شيءَ يمكنُ فعله.
حرّفتُ مقتطفَ القابلةِ،
فأنا لي عسَلي،
ستٌّ جرارٍ من العسل،
ولي ستٌّ من عيون القططِ في قبوِ النّبيذ،
أُمضي الشتاءَ في عتمٍ بلا نوافذَ،
في قلبِ المنزلِ،
قرب الفوضى الزّنخة لآخرِ مستأجرٍ،
وزجاجاتِ اللألأةِ الخاويةِ.
سيدي، الفخُّ ـ الشّركُ، هذا أو ذاك.

هذه هي الحجرةُ التي لم أدخلْها قطّ.
هذه هي الحجرةُ التي لم أستطعْ أن أتنفّس فيها أبداً.
الأسودُ تعرّض للضّربِ هناك كالخفّاش،
حيث لا ضوءَ،
سوى المشعلِ

واصفرارِه الصّيني الخافتِ على الأشياءِ ـ
دكنةٌ غبيةٌ. تسوّسٌ.

امتلاكٌ.

هؤلاء هم من يمتلكونني.

لستُ قاسيةً، ولستُ لامباليةً.

أنا جاهلةٌ، فحسب.

هذا هو وقتُ التعلّقِ بالنّحل ـ

النحلُ بطيءٌ جداً بالكاد أعرفُهُ،

مصطفّاً كالجنودِ

فوق علبةِ عصير الفواكهِ

ليصنعَ العسلَ الذي قطفتهُ.

هذا ما يجعلهُ يستمرُّ في الحياة،

ذاك الثلج المصفّى.

كائنات النحلِ تعيشُ عليه، ، عوضاً عن الزّهور.

تشربهُ، فتسري البرودةُ في العروق.

الآن يدحرجُ النحلُ ما يشبهَ الكرةَ.

ذاك السواد،

ذاك العقل إزاء كلّ هذا البياض.

ابتسامةُ الثلجِ بيضاء.

تنداحُ في الفضاءِ، مسافةَ أميالٍ بحالهِا،

وفي ضوئها، في أيامِ الدفء،
تنقلُ النحلةُ موتاها.
النحلُ كلّهُ من النساء،
الوصيفاتُ وسيدتهنّ الملكة.
لقد تخلّصْن من الرّجالِ.
أولئك الفاشلين، الفظّين، الأجلاف.
الشتاءُ للنساءِ ـ
المرأةُ خلف سنّارتها،
عند سريرِ شجرةِ الجوزِ الإسبانية،
جسدها مصباحٌ في البرد، بليدٌ، لا يفكّرُ.

هل ستنجو خليةُ النّحلِ، وهل سينجحُ العلّيق،
في تخزينِ نيرانِها
استعداداً للدخولِ في شتاءٍ آخر.
كيف سيكونُ طعمُها، زهورُ عيدِ الميلاد تلك؟
نساءُ النّحلِ تطيرُ. لقد ذقْنَ طعمَ الرّبيع.

9-أكتوبر، 1962

181- سرّ

سرٌّ! سرٌّ!
يا لسموّهِ.
أنتَ أزرقُ وضخمٌ، كشرطيّ المرورِ
رافعاً كفّاً واحدةً ـ

هل هذا اختلافٌ بيننا؟
لي عينٌ واحدةٌ، ولكَ اثنتان.
السرُّ التصقَ بكَ كالختمِ،
خافتاً، متموّجاً، كعلامةٍ مائيةٍ.

هل يمكن كشفَه بفاحصٍ أسود؟
هل سيظهرُ للعيانِ
مرتعشاً، حقيقياً، غير قابلٍ للمحو،
عبر الزّرافة الإفريقية في جنّتها الخضراءِ،

ومارِدِ الماء المغربي؟
إنها تحدّقُ من مربّعها، مثل تطريزٍ نافرٍ.
كائنان للتصدير.
أحدهما أحمقُ، والآخرُ مغفّل.

سرٌّ ....كهرمانٌ إضافيٌ
إصبعٌ من البراندي،
يحطّ، ثمّ يغرّدُ: "أنتَ، أنتَ"،
خلف عينين اثنتين، لا تعكسان سوى القرود.

سكّينٌ نستلُّها
كي تبري الأظافرَ،
أو ترفعَ الترابَ.
"لن تؤذي".

طفلٌ غير شرعيّ ـ
الرأسُ الأزرقُ الكبيرُ ـ
يا له كيف يتنفّسُ في درجِ الخزانةِ!
"هل هذه ملابسُ داخلية نسائية، أيتُها الأليفةُ؟"

"إنّ لها رائحة السّمكِ المملّحِ، ومن الأفضلِ
أن تغرزي القرنفلَ في التفّاحة،
أو تصنعي كيساً طبّياً،
أو تتخلّصي من ابنِ الزنا".

"تخلّصي منه نهائياً".
"كلاّ، كلاّ، إنه سعيدٌ هناك".

"لكنّه يريدُ الخروجَ.
انظري! انظري! إنّه يريدُ أن يزحفَ".

إلهي!، ها قد طارتِ السدادةُ!
السّياراتُ في "بليس دي لا كونكورد" ـ
انتبهي!
ازدحامٌ خانقٌ. ازدحامٌ خانقٌ.

أبواقٌ تتعالى، وأصواتٌ متوحّشةٌ!
زجاجةٌ متفجّرةٌ من الدّهنِ،
رغوةٌ لزجةٌ في الحضنِ.
ها أنتَ تتعثّرُ،

أيّها الطفلُ القزمُ،
السكّينُ في ظهركِ.
"أشعرُ بالضّعف".
السرُّ ذاعَ صيتُه.

10-تشرين الأول، 1962

182- مرشّحة لوظيفة

باديَ ذي بدءٍ، هل أنتِ الشّخص الذي يناسُبنا؟
هل تضعين عيناً زجاجيةً، أم أسناناً اصطناعيةً، أم عكّازين،
أم حلقةً نحاسيةً، أو خطّافاً،
أو ثديين من مطّاطٍ، أو مهبلاً مطاطياً،

أو غرزِ إبرةٍ كي تخفي شيئاً مفقوداً؟ كلاّ، كلاّ؟
كيف يمكننا، إذاً، أن نقدّمَ لكِ شيئاً؟
توقّفي عن البكاء.
افتحي يدَكِ.
فارغة؟ فارغة؟ هذه يدٌ

تريدُ أن تمتلأ، وراغبة
بأن تجلب فنجاين الشاي، وتطردَ وجعَ الرأسِ،
وتفعل كلّ ما تطلبين منها.
هل تتزوجينها؟
هي تضمنُ أن

تُغمِضَ لكِ عينيكِ في النهاية،
وتطردَ الأحزان.

نبني مخزوناً جديداً من الملحِ.
أرى أنكِ عارية تماماً.
ماذا عن هذه البزّةِ ـ

سوداء ومكوية، إنّها ليست خياراً سيئاً.
هل تتزوجينها؟
إنها مضادّة للماء، وضدّ النميمة،
ومضادّة للنّارِ، والقنابل، عبر السقف.
صدّقيني سوف يدفنونكِ فيها.

الآن، رأسُكِ ـ اعذريني ـ فارغٌ.
اللصقةُ، التي تثبتُ ذلك، معي.
تعالي إلى هنا، يا حلوتي، اخرجي من التخفّي.
حسناً، ما رأيُكِ بهذا؟
عاريةً كورقة قبل أن تبدأ،

ولكن بعد خمسة وعشرين عاماً ستصبحُ فضّيةً،
وفي الخمسين ذهبيةً
دميةً حيةً، حيثما تنظرُ.
يمكنها أن تعملَ في الخياطة،
ويمكنها أن تطبخَ،
ويمكنُها أن تتكلّمَ، تتكلّمَ، تتكلّمَ.

ويمكنها أن تشتغل، إذ لا عيبَ فيها.
إن كان ثمّة من فتحةٍ ما، فإنها تعملُ كسدادة.
إن كان ثمة عينٌ ما، تعملُ كصورة.
يا ولدي، إنها ملاذُكَ الأخيرُ.
هل تتزوّجُها، تتزوجُها، تتزوّجُها.

11-تشرين الأول، 1962

183- أبي

لا نفعَ منكَ، لا نفعَ منكَ،
بعد الآنَ، أيُّها الحذاءُ الأسودُ،
الذي عشتُ في داخلهِ كقَدَمٍ،
على مدى ثلاثين عاماً، فقيرةً وبيضاء،
بالكادِ أستطيعُ أن أتنفّسَ أو أسعلَ.

أبي، كان يجبُ أن أقتلكَ.
لكنّكَ متَّ قبل أن أملكَ الوقتَ ـ
ثقيلاً كالرّخام، حقيبةً مملوءةً بالربّ،
تمثالاً شبحياً بإصبعِ قدمٍ رماديةٍ،
كبيرةً كختمِ سان فرانسيسكو.

ورأسٌ في الأطلنطيّ المجنونِ
يسكبُ الأخضرَ الفاتحَ فوق الأزرقِ،
في المياهِ قبالةَ (ناوست) الجميلة.
اعتدتُ أن أصلّي كي أغطّيكَ.
آهٍ، يا أنتَ.

في اللّغةِ الألمانية، في البلدةِ البولندية،
التي سُوّيتْ بالأرضِ تحت محدلةِ

الحروبِ، الحروبِ، الحروبِ،
لكنّ اسمَ البلدةِ شائعٌ.
صديقي البولندي يقولُ

ثمة دزينة أو اثنتان.
لهذا لم أستطعْ أبداً أن أعرفَ
أين وضعتَ قدمَكَ، قدمَكَ،
ولم يكن بمقدوري أن أتحدّثَ إليكَ.
التصقَ اللسانُ في سقفِ فمي.

التصقَ في شركِ سلكٍ مفخّخٍ.
أنا، أنا، أنا، أنا،
كنتُ بالكادِ قادرةً على الكلامِ.
ظننتُ أنّ كلّ ألمانيٍّ هو أنتَ.
واللغةُ بذيئةٌ،

محرّكٌ، محرّكٌ،
يهينُني بفظاظةٍ كأنّني يهودية.
يهودية إلى داكو، وآوشْفيتزْ، وبيلسين(*).
وبدأتُ أتكلّمُ كيهوديةٍ.
أظنّ أنّني، ربّما، قد أكونُ يهوديةً.

(*) معسكرات نازية.

ثلوجُ (تايرول)، والبيرةُ الصّافيةُ لمدينةِ فيينا،
ليستْ صافيةً جدّاً، أو حقيقيةً.
بسببِ جدّتي الغجريةِ، وحظّي العاثرِ،
وطغمةِ (تاروك)، وطغمةِ (تاروك)،
قد أكونُ يهوديةً، شيئاً ما.

أمضيتُ عمري كلّه خائفةً منكَ،
ومن سلاحِ جوّكَ الألماني، ومصطلحاتِكَ المعقّدة.
من شاربِكَ الأنيق،
وعينيكَ الآريتين، الزّرقاوين، الصافيتين.
يا رجلَ المدرّعةِ، يا رجلَ المدرّعةِ، آهِ، يا أنتَ ـ

ليس الربُّ، بل الصّليب المعقوفُ(*)،
المعتمُ جدّاً، بحيث لا تستطيعُ سماءٌ النفاذَ منه.
لكلّ امرأةٍ رجلٌ فاشيٌّ تعبدُهُ،
الجزمةُ في الوجهِ، والقلبُ المتوحّشُ
المتوحّشُ، لمتوحّشٍ مثلكَ.

تقفُ أمام السبّورةِ، يا أبي،
في الصّورةِ التي أحملُها لكَ،

(*) شارة الحزب النازي.

ندبةٌ في ذقنِكَ، عوضاً عن قدمِكَ،
ولكن هذا لا يجعلُ منكَ شيطاناً أقلّ، لا،
ولا رجلاً أقلّ دكنةً،

عضّ قلبي الأحمرَ الجميلَ، وشطرَهُ نصفين.
كنتُ في العاشرةِ حين دفنوكَ.
وفي العشرين حاولتُ أن أموتَ،
وأعودَ، أعودَ، أعودَ، إليكَ.
ظننتُ أنّ العظامَ، حتّى العظامَ، ستؤدّي المهمّةَ.

لكنّهم سحبوني من الكيسِ،
ولصقوا أجزائي بالصمغِ.
ثم أدركتُ ما ينبغي أن أفعلَ.
بنيتُ نموذجاً منكَ،
رجلاً بملابس سوداء، ونظرةِ "كفاحي"(*)،

وعشقاً لمخلعةِ وبراغي التّعذيب.
وقلتُ، أنا أُنهي المهمّةَ، أُنهي المهمّةَ.
لهذا، يا أبي، أكملتُ، أخيراً، عملي.

(*) كتاب هتلر.

التلفونُ الأسودُ مقطوعٌ من أصلهِ،
والأصواتُ، ببساطةٍ، لا تعبرُ أسلاكَه.

إن كنتُ قتلتُ رجلاً واحداً، فأنا قتلتُكَ ـ
مصّاصَ الدّماء الذي قالَ إنّه أنتَ،
وشربَ دمي لمدة عامٍ واحدٍ،
بل وسبعةِ أعوامٍ، إذا كنتَ تريدُ أن تعرفَ.
أبي، لا تستطيعُ أن تتراجعَ، أو ترتاحَ الآنَ.

ثمة وتدٌ في قلبِكَ الفاحمِ المنفوخِ،
والقرويون لم يحبّوكَ، أبداً.
إنّهم يرقصونَ، ويدوسونَ، عليكَ.
لطالما أدركوا أنّكَ لستَ سوى أنتَ.
أبي، أبي، يا ابنَ الزّانيةِ، إنّي أسكتُ.

12-تشرين الأول، 1962

184- قنديلُ البحر

قبالةَ قطعةِ الأرضِ تلكَ من قوابسِ الفمِ الحجريّ،
والعيونِ التي تتحرّكُ بقضبانٍ بيضاء،
والآذانِ التي تجلّلُ اضطراباتِ البحر،
تُخفي رأسَكِ الصّلدَ ـ الكرةَ، الربّ،
وعدساتِ الرّحمة،

وها هم جواسيسك الأذلاّء
يجوسون زنزاناتهم المتوحّشةَ تحت ظلٍّ سفينتي المسطّحة،
يقاومون أقدارَهم كالقلوب،
حيث العلاماتُ الحمرُ، الفارقةُ، في قلبِ المركزِ،
راكبين المدّ العالي إلى أقرب نقطةِ مغادرة

جارّين خلفهم شعرَ إلههم يسوع.
هل هربتُ، أنا، أتساءلُ؟
عقلي يتسكّعُ إليكَ،
يا حبلَ السرّةِ الملتفّ، يا برقيةَ الأطلنطي،
عقلي، الذي يحتفظُ بنفسه، كما يبدو،
في حالةِ ترميمٍ تشبهُ المعجزةَ.

في كلّ الأحوال، أنتَ دائماً هناك،
أنفاسٌ راجفةٌ في نهاية خطّي،
قوسٌ من الماءِ الناهضِ
صوب سلكي المائيَ، مدهشاً وممتنّاً،
تلمسُ وترضعُ.

لم أتّصلْ بكَ.
لم أتّصلْ بكَ أبداً.
مع ذلكَ، مع ذلكَ،
بدوتَ لي فوق البحر،
بديناً وأحمرَ كمشيمةٍ

تصيبُ العشّاقَ اليائسين بالشلل.
ضوءُ كوبرا
يعصرُ الأنفاسَ من أجراسِ الدم
لزهرة "فوشيا" الأرجوانية. لم أستطعْ أن أزفرَ نفساً واحداً،
لأني ميتةٌ ومفلسةٌ.

مكشوفاً، علانيةً، كضوءِ الأشعّة،
من تظنّ نفسَكَ؟
بسكويتُ القدّاسِ؟ مريمُ المنتحبةُ؟

لن آخذ نهشةً من جسدكَ،
هذه هي الزجاجةُ التي أعيشُ في داخلِها،

فاتيكانٌ شبحيٌّ.
أنا مريضةٌ، حتى اللبّ، من الملحِ الحارّ.
أخضر كالمخصيين، رغباتكَ
تهسُّ كالأفاعي على ذنوبي.
اغربْ، اغربْ، أيّها المجسُّ الزَلِقُ!

لا يوجدُ شيءٌ بيننا البتّةَ.

16-تشرين الأول، 1962

185- السجّانُ

عرقي الليليُّ يبلّلُ صحنَ فطورهِ.
اللافتة نفسُها، من الضبّاب الأزرق، تضعُ في مكانِها
مع الأشجارِ وشواهدِ القبور.
أهذا كلّ ما يمكنه الاتيان به،
حاملُ المفاتيح هذا؟

ثمة من خدّرني واغتصبني.
لسبعِ ساعاتٍ، فقدتُ عقلي السليمَ،
ورُميتُ في كيسٍ أسود
لأرتاحَ كجنينٍ أو قطّة،
كرافعة لأحلامِه الرّطبة.

شيءٌ ما مفقودٌ.
حبوبُ نومي، ومنطادي الأحمرُ والأزرقُ،
يرميني من علوّ مخيفٍ.
تتهشّمُ الصدفةُ،
وأتناثرُ أمام مناقيرِ الطّيورِ.

آهِ، أيتُها المثاقيبُ الصغيرةُ ـ
أية فتحاتٍ امتلأ بها للتوّ هذا النهارُ الورقيّ!

مضى زمنٌ أحرقني خلالَه بسجائره،
مدّعياً أنني زنجية بمخالبَ وردية.
أنا لستُ سوى نفسي. هذا لا يكفي.

الحمّى تنقّطُ، ثمّ تجفُّ على شعري.
أضلاعي تبرزُ. ما الذي أكلتُهُ؟
الكذبُ والابتسامات.
بالتأكيد ليس هذا لونَ السماء،
بالتأكيد العشبُ، لابدّ، يتموّجُ.

طيلةَ النهارِ، بينما أنهمكُ بترميمِ كنيستي
من عيدانِ الكبريتِ المطفأة،
أحلمُ بشخصٍ آخر كليّاً.
أما هو، وبسببِ هذا الهدمِ،
يقومُ بإيذائي، هو المسلّحُ
بدرعِ زيفهِ،

وبأقنعتهِ العاليةِ الباردةِ من فقدان الذاكرة.
كيف وصلَ بي المآلُ إلى هنا؟
أيها المجرمُ الغامضُ
إني أموتُ ميتاتٍ متنوّعةً ـ
شنقاً، جوعاً، حرقاً، صلباً.

أتخيّلهُ
عاجزاً جنسياً كرعدٍ بعيدٍ،
حيث، في فيئِهِ، أكلتُ حصّتي الشَبحية.
أتمناه ميتاً أو بعيداً.
هذا، كما يبدو، هو المستحيلُ.

ذاكَ مفروغٌ منه. ماذا يمكنُ للظّلامِ
أن يفعلَ، من دون حمّى يقتاتُ عليها؟
ماذا يمكنُ للضّوءِ أن يفعلَ
بعينين تلمعان كالسكّين،
ما الذي سيفعلهُ هو،
يفعلهُ، يفعلهُ، من دوني أنا؟

17-تشرين الأول، 1962

مكتبة
t.me/t_pdf

186- ليسبوس (جزيرة في بحر إيجة)

الشرُّ في المطبخِ!
حبّاتُ البطاطا تهسُّ.
كلُّ شيءٍ هنا، كمثل هوليوود، بلا نوافذ،
الضوءُ المتفتّحُ يغمزُ. يضيءُ وينطفئ، كصُداعٍ نصفيٍّ رهيبٍ،
ملصقاتٌ ورقيةٌ باردةٌ مستخدمةٌ كأبواب ـ
ستائرُ المسرحِ، وشعرُ الأرملةِ الأجعدُ،
وأنا، يا حبّي، كاذبةٌ، مدمنةٌ،
وطفلتي ـ انظرْ إليها، وجهُها مائلٌ نحو الأسفل،
تلك الدميةُ الصغيرةُ، التي بلا خيطان،
تخبّطُ بقدميها، تريدُ أن تختفي ـ
لماذا تعاني البنتُ الانفصامَ،
وجهُها أحمرُ وأبيضُ، يشي بالذّعر.
رميتِ قطَطَها الصغيرةَ خارج نافذتكِ،
إلى نوعٍ من البئرِ الاسمنتية،
هناك حيثُ تتقيأُ وتقذفُ وتبكي،
أمّا هي فلا تسمع.
تقولينَ إنّكِ لا تطيقينها،
ابنةُ ابنِ الزّنا.
رميتِ أقنيتَكِ كمذياعٍ قديم

خالٍ من الأصواتِ والتّاريخِ،
ذاك الضجيجُ الدبقُ لكلٍّ ما هو جديد.
تقولين يجب أن أُغرِقَ القططَ. رائحتُها!
تقولين يجب أن أُغرِقَ البنتَ.
ستذبحُ نفسَها في سنّ العاشرة
طالما هي مجنونةٌ في سنّ الثانية.
الطفلُ يبتسمُ، تلك السّحليةُ البدينةُ،
من المربّعات المصقولةِ للمشمّعِ البرتقالي.
يمكنكَ أن تأكلَه. هو صبيٌّ، فحسب.
تقولين إنّ زوجكِ لا يصلحُ لكِ.
أمّهُ اليهوديةُ تحرسُ نسلَه الصّافي كالجوهرةِ.
لديكِ طفلٌ، ولديّ طفلان.
ينبغي أن أجلسَ على صخرةٍ
قبالة (كورنوول)، وأسرّحَ شعري.
ينبغي أن أرتدي بنطلونَ النّمرِ،
ينبغي أن أبدأ علاقةً عاطفيةً.
ينبغي أن نلتقي في الحياةِ الآخرةِ
ينبغي أن نلتقي في الهواءِ، أنا وأنتَ.

في غضونِ ذلك، ثمة رائحةُ طفلٍ بدينٍ.
أنا مخدّرةٌ وبليدةٌ، بسبب حبّةِ النومِ الأخيرةِ.

دخانُ الطّبخِ، ودخانُ جهنّمٍ،
يجعلُ رؤوسَنا تطفو، نحن الضدّان المسمومان،
عظامنا تطفو، وشعرُنا يطفو.
أناديكِ، يتيمة، يا يتيمة. أنتِ مريضةٌ.
الشمسُ تسبّبُ لكِ القرحةَ،
والريح تسبّبُ لكِ السلّ.
لقد كنتِ يوماً جميلةً.
في نيويورك، في هوليوود،
كان الرّجالُ يقولون: "أنتِ؟
إلهي، يا طفلة، كم أنتِ نادرة!"
وكنتِ تمثّلين، تمثّلين، تمثلينَ من أجل الإثارة.
الزوجُ العاقرُ ينهارُ بحثاً عن القهوة.
أحاولُ أن أقنعَهُ بعدمِ الخروج،
عمودٌ قديمٌ للبرقِ،
حماماتُ الأسيدِ،
مزقُ السّماءِ حولك.
يدحرجُها أسفلَ الهضبة البلاستكية الخرقاء،
مثل جرارٍ مربوطٍ إلى حبلٍ. الشّررُ أزرقُ اللّون.
الشّررُ الأزرقُ يتطايرُ
مشطوراً كذرّاتٍ دقيقةٍ ناعمةٍ.
آهٍ، أيتُها الجوهرةُ! آهٍ يا للثمنِ الباهظِ!

في تلك اللّيلة، سحبَ القمرُ حقيبتَه الدّموية،
كمثلِ حيوانٍ مريضٍ فوق أضواءِ الميناءِ.
ثم مالَ إلى اللّونِ الطّبيعي،
قاسياً، حيادياً، وناصعَ البياض.
اللّمعانُ الذهبيُّ فوق الرّمالِ أخافني حتّى الموت.
لكنّنا رحنا نلملمُ باقاتِ الضّوءِ، مغرمين بها،
ونتعاملُ معها كالعجينةِ، أو كجسدٍ خلاسيٍّ،
كخيوطِ الحريرِ.
كلبٌ تلقّفَ زوجَكِ الملحاحَ، ومضى.

الآنَ، صامتةٌ أنا. تغمرُني
الكراهيةُ حتى عنقي،
سميكةً، سميكةً.
لا أنطقُ ببنتِ شفة.
أحزمُ البطاطا القاسيةَ كالملابسِ الجيّدةِ.
أحزمُ الأطفالَ أيضاً.
أحزمُ القططَ المريضةَ.
آهِ، يا مزهريةَ الأسيدِ،
أنتِ مملوءةٌ بالحبّ. وتعرفينَ من تكرهين.
إنه يعانقُ كرتَه وأصفادَه عند البوابةِ،
المفتوحة على البحرِ، يلعبُ بها الموجُ،

داكناً، وأبيضَ، ثمّ يوصدُها من جديد.
كلَّ ليلةٍ تحشوهُ يداكِ بمادّةِ الرّوحِ كالقنينةِ.
أنتِ منهكةٌ تماماً.
صوتُكِ حلقةٌ في أذني،
يخفقُ ويمصُّ، مثل خفّاشٍ عاشقٍ للدّم.
تلك هي الحقيقة. تلك هي الحقيقة.
تحدّقين من ثقبِ البابِ،
شمطاء حزينةً. "كلُّ امرأةٍ هي، بالضّرورة، عاهرةٌ.
لا يمكنني التّواصلُ مع أحدٍ".

أرى ديكوركَ الجميلَ،
ملتصقاً بكَ مثل قبضةِ الرّضيعِ،
أو شقائقِ النعمان، ذاك البحر العاشق،
المصابِ بهوسِ السّرقةِ.
أنا ما زلتُ نيئةً.
أقولُ يمكن أن أعودَ أدراجي.
أنتَ تعرفُ ما وظيفةُ الكذبِ.

حتى في سمائكَ الرّوحيةِ، سماء "الزن" تلك، لن نلتقي.
18-تشرين الأول، 1962

187- تسمّرٌ في المكان

صريرُ مكابح.
أم هي صرخاتُ مخاضٍ؟
ها نحن هنا، معلّقين فوق القطْرةِ الميتةِ.
العمُّ، في مصنعِ البنطلونات، ذاك الميليونير.
وأنتَ، هناكَ، تعاني البردَ، قربي، على كرسيّكَ.

تلك الدواليبُ! ودودتان من المطّاط، تعضّان ذيلَهما.
هل هي إسبانيا، تلك البلادُ في الأسفلِ؟
حمراء وصفراء، ظلاّن معدنيان، ساخنان وعاطفيان،
يتقلّبان ويتنهّدان. أيُّ نوعٍ من المشاهدِ تلك؟
إنها ليستْ إنكلترا، فرنسا، ايرلندا.

المشهدُ عنيفٌ. ونحن هنا، في زيارةٍ عاجلةٍ،
بصحبة طفلٍ أحمق يأتي صراخُه من بعيدٍ.
ثمة دائماً طفلٌ مأفونٌ في الهواءِ فوقَنا.
أودّ أن أسمّيه الغروبَ.
ولكن من سبقَ وسمعَ الغروبَ
يعوي بتلك الطريقة!

غاطساً أنتَ خلف ذقونِكَ السّبعة، هامداً كفخذٍ مملّحٍ.
من تظنّني أكونُ،
عمّاهُ، يا عمّاهُ؟
هاملت الحزين، حاملاً سكّيناً؟
أين تطمرُ حياتَكَ؟

أهي فلسٌ، زمرّدةٌ ـ
روحُكَ، روحُكَ.
سوف أحملُها مثل فتاةٍ، غنيةٍ، مغناجٍ.

افتحْ، ببساطةٍ، البابَ، وانزلْ من السّيارةِ،
وعشْ، في جبلِ طارق، على الهواءِ، الهواءِ.

19-تشرين الأول، 1962

188- حمّى 103 درجات مئوية

صافية؟ ماذا يعني هذا؟
ألسنةُ الجحيم
بليدةٌ، بليدةٌ

كمثلِ الألسنةِ الثلاثيةِ البليدةِ للحارس "سيربيرس"(*)

لاهثاً خلف البوابة. هو عاجزٌ
عن لعقِ وتنظيفِ

الوترِ المشدودِ ـ الإثمِ، الإثمِ.
الصّرخاتُ الحنونةُ
والرائحةُ المائجةُ

للشمعةِ المطفأةِ!
يا حبُّ، يا حبُّ، الدُّخان المنخفضُ
يتدحرجُ من جسدي مثل حريرِ (إيسادورا).

(*) في الميثولوجيا اليونانية هو كلب بثلاثة رؤوس يحرس بوابة العالم السفلي.

هلعٌ أصابني لأنّ الوشاحَ طارَ، وعلقَ في الدولاب.
تلك الأبخرةُ الصفراءُ الرزينةُ
تصنعُ عنصرَها الخاصّ. لن تحلّقَ عالياً،

بل سوف تتدحرجُ، الأبخرةُ، حول المعمورةِ،
وتخنقُ المسنّين والهشّين، والضعفاء،

وتخنقُ طفلَ العاهرةِ في سريره.
البستانُ الشّبحيُّ
يعلّق حدائقَه المعلّقةَ في الهواء،

الفهدُ الشّيطانيُّ!
الإشعاعُ أحالَه ناصعاً،
وقتلَهُ في غضونِ ساعة.

أجسادُ المراهقين تعلوها الدهونُ
مثل رمادِ هيروشيما ـ الالتهام.
الإثمُ، الإثمُ.

عزيزي، طوالَ هذا اللّيلِ المديدِ،
كنتُ أرتجفُ كقنديلٍ. أضيءُ تارةً، وأنوسُ أخرى.
الشراشفُ تزدادُ ثقلاً مثل قبلةِ الفاسقِ.

أيامٌ ثلاثة. ثلاثُ ليالٍ.
ماءُ اللّيمونِ، وماءُ الدجاجِ،
الماءُ الذي يجعلني أتقياُّ.

أنا صافيةٌ جداًّ، وأنتَ لا تستحقّني،
ولا يستحقّني أحدٌ. جسدُكَ يؤلمني
مثلما يؤلمُ العالمُ الربَّ. أنا سراجٌ ـ

رأسي قمرٌ
من ورقٍ ياباني، وبشرتي الذهبيةُ
شفافةٌ جداًّ، وباهظةُ الثمن جداًّ.

ألا تبهركَ حرارتي. وضوئي أيضاً.
أنا، بمفردي، شجرةُ كاميليا ضخمة،
أتلألأُ، أروحُ وأجيءُ، بهاءً فوق بهاءٍ.

أظنّني أصعدُ، أُبعَثُ ـ
خرزُ المعدنِ السّاخن يطيرُ
وأنا، يا حبُّ، أنا،

غازٌ صافٍ،
عذراء،
تحرسني الزهورُ،

القُبلُ، والبراعمُ،
وكلُّ ما تعنيه هذه الأشياءُ البنفسجيةُ.
لا أنتَ، لا هو!

لا هو، لا هو!
(ذاتي تذوبُ، يا معاطفَ العهرِ القديمة) ـ
إلى الجنّة.

20-تشرين الأول، 1962

189- فاقدُ الذاكرة

لا فائدةَ، الآنَ، لا فائدةَ، من التضرّعِ: "اعترفْ"!
لا شيءَ تفعلُهُ إزاءَ ذاكَ الفراغ الجميلِ سوى ترتيبه.
الاسمُ، المنزلُ، مفاتيحُ السيارةِ،

الزوجةُ، اللعبةُ الصغيرةُ ـ
أنا الممحوةُ، زفرةً، زفرةً.
أربعةُ أطفالٍ، ووعاءٌ للطبخ!

ممرضاتٌ، بحجمِ الدود، وطبيبٌ دقيقٌ، لا يرُى،
بل يمكن إخفاؤُهُ.
الحوادثُ القديمةُ

تتقشّرُ عن جسدِهِ برمّتها
وتذهبُ إلى بالوعةِ المغسلةِ!
يعانقُ وسادتَه

كمثل الأختِ، برأسِها الأحمرِ،
تلك التي لم يجرؤْ أبداً على لمسِها،
وها هو يحلمُ بامرأةٍ جديدةٍ ـ عاقرٍ. والأقدارُ عاقرةٌ!

ويحلمُ بلونٍ آخر.
سيسافران معاً، ويسافران، ويسافران،
وتتوهّجُ المسافاتُ خلفهما، أخاً ـ أختاً،

كمثلِ ذيلِ شهابٍ!
المالُ هو السائلُ المنويُّ لكلِّ شيءٍ.
إحدى الممرضات تُحضِرُ

شراباً أخضر، والأخرى شراباً أزرق.
كلتاهما تبزغان إلى جانبه كنجمتين.
الشرابان يشتعلان، ويرغيان.

آهٍ، يا أختُ، يا أمُّ، يا زوجةُ،
نهرُ النسيانِ (ليثي) هو حياتي.
أنا، أبداً، أبداً، أبداً، لن أعودَ إلى البيت.

21-تشرين الأول، 1962

190- (لايونيس)

بلدٌ في الأسطورة الآرثرية، غرقَ واختفىٰ
في البحرِ، قبالةَ سواحل انكلترا
المترجم

لا فائدةَ من الصفيرِ لاستدعاءِ بلدٍ اسمه (لايونيس)!
برودةُ البحرِ، بالتأكيدِ، تغلغلتْ إلى أنحاءِ مفاصلِه.
انظرْ إلى الجليدِ الأبيضِ النّاصعِ على جبهتِهِ ـ

ها هنا مكانُ غَرَقِه.
البحرُ الذهبيُّ الحائرُ،
البحرُ الأخضرُ، والأزرقُ، والرماديُّ،

لعينيهِ، تمسحُ أرجاءَ المسافةِ،
وفقاعاتٌ مدوّرةٌ،
تتصاعدُ من أفواهِ الأجراسِ،

والبشرِ، والأبقارِ.
لطالما اعتقدَ مواطنو "لايونيس"
أنّ الفردوسَ شيءٌ آخر،

ولكن مع الوجوهِ نفسِها،
والأمكنةِ نفسِها ....
لم تكنْ صدمةً ـ

الهواءُ الهادئُ الأخضرُ الصّافي،
وخرزُ الصّقيعِ تحت الأقدامِ،
ومتاهةُ الماءِ العنكبوتية في الحقلِ والشّارعِ.

لم يخطرْ ببالهم قطّ أنّهم طيّ النسيان،
وأنّ الله الكبير
أغمضَ، ناعساً، عيناً واحدةً

وجعلهم يسقطونَ، فوق سفوحِ انكلترا،
تحت ركامٍ كثيرٍ من التّاريخ!
لم يرهُ أحدٌ يبتسمُ، ويتحوّلُ، كالحيوانِ،

في قفصِهِ الأثيري، في قفصٍ من نجومٍ كثيرةٍ.
لقد خاضَ حروباً كثيرةً!
فجوةُ عقلِهِ هي الصّفحةُ البيضاءُ الحقيقةُ.

21-تشرين الأول، 1962

191-قَطْعٌ

إلىٰ سوزان أونيل رو

يا لها من إثارةٍ ـ
الإبهامُ بدلاً من البصلةِ.
القسمُ الأعلى طارَ تماماً
ماعدا قصاصة، أو ما شابه،

من الجِلد،
مزقةٌ كالقبعة،
شديدةُ البياض.
ثم ذاك النسيجُ الأحمرُ.

أيّها السّائحُ الصغيرُ،
الهنديُّ سلخَ فروةَ رأسِكَ.
قلنسوةُ الديكِ الرّومي،
ألوانُ السجّادةِ تخرجُ

مباشرةً من القلبِ.
لقد نمتُ فوقَها،
ممسكةً بزجاجتي من الفوّارِ الأحمرِ.

هذا احتفالٌ.

من فتحةٍ واحدةٍ
مليونُ جنديٍّ يركضُ،
والجميعُ يرتدي معاطفَ حمراء.

مع أيّ طرفٍ يحاربون؟
آهٍ، يا قزمي الصغيرَ، أنا مريضةٌ،
أخذتُ حبّةً لأقتلَ

الشعورَ الورقيَّ الرقيقَ.
أيُّها المخرّبُ،
أيُّها الانتحاريُّ ـ

لطخةٌ فوق ضمادةِ شاشِكَ،
علامةُ الكراهيةِ "كو كلاكس كلان"،
غطاءٌ للرأسِ
يشيعُ ظلاماً، ويقتلُ البريقَ،

وإذْ اللبُّ
المدوّرُ لقلبكَ
يواجهُ طاحونةَ
صمتِهِ الصغيرةَ

تقفزُ من مكانِكَ ـ
جنديٌّ مخضرمٌ،
فتاةٌ وسخةٌ،
وإبهامٌ مقطوعٌ.

24-تشرين الأول، 1962

192- على ضوءِ الشّمعةِ

هذا هو الشتاءُ، هذا هو اللّيلُ، يا حبّي الصّغير ـ
شعرُ الحصانِ الأسودِ،
مادّةٌ ريفيةٌ، فظّةٌ، وخرساء،
مزخرفةٌ بالبريق،
النجومُ الخضرُ الهابطةُ نحو بوابتنا.
أضمُّكَ بين ذراعيّ.
الوقتُ تأخّر جدّاً.
الأجراسُ الجافةُ تلعقُ السّاعات.
المرآةُ تطفو بنا على ضوءِ شمعةٍ واحدةٍ.

هذا هو السّائلُ الذي يجعلُنا نلتقي،
هذه هي الهالةُ المتوهّجةُ التي تتنهّدُ،
وتجعلُ ظلّي وظلكَ يذوبان،
ثمّ يعصفُ بهما من جديدٍ،
ظلاّن عملاقان على الحائط.
قدحُ عودِ ثقابٍ واحدٍ يجعلكَ حقيقياً.
في البدءِ الشمعةُ لا تزهرُ أبداً ـ
تطفئُ برعمَها
وتحيلُهُ إلى هباءٍ، تقريباً،
إلى شيءٍ أزرق جافّ، بلا قيمةٍ.

أحبسُ أنفاسي وأنتَ تشقُّ طريقَك نحو الحياة،
كالقنفذ الخائف،
صغيراً، مشاغباً. السكّينُ الصفراءُ،
تزدادُ طولاً. تتمسّكُ بقضبانكَ.
غنائي يجعلكَ تزأرُ.
أهزّكَ كالقاربِ،
عبر السجّادة الهنديةِ، فوق الرّخامِ الباردِ،
بينما رجلُ النّحاسِ
يخرّ، راكعاً، بظهرٍ مقوّسٍ جدّاً،

فاحصاً ثقلَ عمودِه الأبيضِ بالضّوءِ
الذي يُبقي السّماءَ بعيدةَ المنال،
وبالأكداس السوداء! تلك المرصوصة رصّاً في كلّ مكانٍ!
هو لكَ، هذا الأطلسُ النحاسيُّ الصغيرُ ـ
متاعٌ فقيرٌ، هو كلّ ما تملكُهُ،
عند كاحليه خمسُ قذائف مدوّرةٌ،
لا زوجةَ، لا طفلَ.
كراتٌ خمسٌ! خمسُ كراتٍ "نحاسيةٍ ساطعةٍ" نحاسيةٌ، ساطعةٌ!
ترميها عالياً، يا حبّي،
إذ السماءُ على وشكِ السّقوط.

24-تشرين الأول، 1962

193- الجولة

آهٍ، يا عمّتي العانسَ، أتيتِ لتناديني.
هيا ادخلي الرّدهةَ!
مع حشرةِ "أبو بريصِ" الصفيقةِ،
ومع النقرةِ الخفيفةِ!
المسنّناتُ كلُّها تتوهّجُ بغرابةٍ،
وكلّ مسنّنٍ ذهبٌ صلدٌ.
أرتدي الشبشبَ، وملابسَ المنزلِ،
بلا أحمرِ الشفاه!

وأنتِ تريدين القيامَ بجولةٍ!
أجل، أجل، هذا هو عنواني.
أحسبُ، ، لا صدوعَ في المكانِ، حيث أنتِ،
مع إوزّ "جنَوة"، وشجرِ القرود.
إنه مكانٌ مصعوقٌ، قليلاً،
يشبهُ الآلةَ المتوحّشةَ، قليلاً،
ويبدو عماءً عارماً، قليلاً!

أوه، لا ينبغي أن أضعَ إصبعي على هذا،
عمّتاهُ، يمكنُ أن يلسعني!
هو ذا صندوقُ مكعّباتِ الثّلج،

إنّه ليس قطّة، مع أنه يشبهُ القطّة،
بفروه النّاعمِ، وبياضِه النّاصع.
عليكِ أن تري الأشياءَ التي يبدعُها!
ملايين قطعِ الكعكِ الزّجاجية، بأشكالٍ إبريةٍ!

إنّه مناسبٌ للصّداع النصفيّ أو وجعِ البطن.
وهنا، في هذه الفسحةِ، احتفظتُ بالمدفأةِ،
فكلُّ جمرةٍ فيها علامةُ صليبٍ ـ وضوءٌ رائعٌ!
أنا، ببساطة، انفجرتُ ذاتَ ليلٍ فاحمٍ،
وهمتُ دخاناً يتصاعدُ،
لهذا السّبب، يا عمّتي، ليس لي شَعرٌ،
ولهذا السبب أيضاً أشعرُ بالاختناق،

بين الحين والحين، كلّما حاولتُ التقيؤَ.
غازُ الجمرِ مادةٌ رهيبةٌ.
هنا فسحةٌ أظنّكِ ستحبّينها ـ
بركةُ مجدِ الصّباح!
الأزرقُ جوهرةٌ.
بركةٌ تغلي لأربعينَ ساعة متواصلة.

لا ينبغي أن أغمرَ إصبعي فيها، فهذا مؤلمٌ!
في الصيفِ الماضي، يا إلهي، الصيف الماضي!
البركةُ التهمَتْ سبعَ عذارى، وسمكريّاً واحداً،

ثم أعادَت جثثهم، مكويةً ومبخّرة، وقاسيةً كالقمصان.
أنا مصدومةٌ؟ أنا كارهةٌ؟
ها نظّارتُكِ، يا عزيزتي، وها حقيبةُ يدكِ.

عودي أدراجَكِ إلى المنزلِ، الآنَ،
بقبّعتكِ المدوّرة، وتناولي الشّاي.
أنا سأحتسي الشّايَ باللّيمون.
شايُ اللّيمونِ، وقطعُ البسكويتِ،
التي تشبه الحشرات ـ مقززةٌ، مقزّزةٌ!
لا أنصحكِ بهذا.
عودي أدراجكِ إلى المنزلِ قبل أن يسوءَ الطقسُ.
عودي إلى المنزلِ ولا تُغضبي الممرّضةَ!.

يمكن أن تكون صلعاءَ، أو بلا عينين،
ولكنّها، يا عمّتي، فائقة التهذيب.
إنها قرمزية، وتعملُ قابلةً بالولادة ـ
بأصابعِها الناعمةِ، يمكنُها
أن تبعث الميّتَ إلى الحياة،
لقاءَ أجرٍ زهيدٍ. حسناً، أتمنّى أن تكوني
قد قضيتِ وقتاً طيباً، يا عمّتي!

عودي أدراجَك إلى المنزلِ، وتناولي الشّاي!

25-تشرين الأول، 1962

194- آرييل (*)

ركودٌ في العتمةِ.
ثمّ الزرقةُ، التي بلا جوهرٍ،
تنسكبُ هضاباً ومسافاتٍ.

لبوةُ الربّ،
كيف لنا أن نربّيها،
معجزةٌ من الكواحلِ والرُّكب! ـ ذاك الثلمُ

يشقّ طريقَه، ويعبرُ،
قريباً من القوسِ البنّي
على العنقِ، التي لا أستطيعُ لمسَها،

عينٌ زنجيةٌ،
وتوتٌ يزدادُ سواداً،
وأسافينُ ـ

لقيماتٌ من الدم، سوداء، وحلوةٌ،
ظلالٌ.
شيءٌ آخر

يطوّحُ بي في الهواء ـ

(*) اسم حصان + اسم ملاك طائر.

أردافٌ، شَعرٌ،
نِدفٌ تسقطُ من كاحليّ.

"غاديفا"(*) البيضاء،
أكشفُ عنها النقابَ،
يدان ميتتان، وقساوةٌ ميتةٌ.

وأنا، الآنَ،
أزبدُ قمحاً، وشعشعةَ بحارٍ.
صرخةُ الطفلِ

تذوبُ في الحائطِ.
وأنا،
والسّهمُ،

والنّدى الذي يطيرُ
منتحراً، ومتّحداً
مع الشّبقِ نحو الأحمرِ،

العينُ مرجلُ الصّباح.

مكتبة
t.me/t_pdf

27-تشرين الأول، 1962

(*) امرأة انكليزية من طبقة النبلاء في القرن الثالث عشر، اعتادت أن تمتطي الحصان عارية، بشعرٍ أشقر طويل ينسدلُ فوق كتفيها.

195- خشخاشُ تشرين الأول

حتّى غيومُ الشّمس في هذا الصباح
لا تستطيعُ أن تخيطَ تلك التنانير.
لا أقصدُ المرأةَ في سيارةِ الاسعافِ،
التي يزهرُ قلبُها الأحمرُ تحت معطفِها ـ

كتذكارٍ، كهديةِ حبٍّ
لم تنتظرها البتّةَ
سماءٌ تشتعِلُ

شاحبةً، ملتهبةً،
وتضرمُ النّار بذرّاتِ ثاني أكسيدِ الكربون.
عيونٌ تجمّدتْ في لعبةِ البولينغ.

آهِ، يا إلهي، ما أنا،
حتى تصرخَ هذه الأفواهُ الأخيرةُ،
في غابةٍ من الصقيعِ،
في فجرٍ أحمرَ من الخشخاش.

27-تشرين الأول، 1962

196- الرجلُ والشمعدان

في منجمٍ أنا. الضوءُ يحترقُ أزرقَ.
نوازلُ شمعيةٌ
تسيلُ وتتحجّرُ. دموعٌ

يذرفُها رحمُ الأرضِ
من سأمٍ ميتٍ.
هواءٌ من خفافيش سود

يحيطُ بي، شالاتٌ ممزقةٌ،
وقتلةٌ باردون.
ها هم يلتحمون بي كالبرقوق.

كهفٌ عتيقٌ من الكالسيوم،
هوابطُ جليديةٌ، وصدى قديمٌ.
سمندلُ الماءِ يبدو أبيضَ اللون،

وكذا الآلهةُ المقدّسةُ.
والسّمكُ، السّمكُ ـ
يا يسوع، إنّها مرايا الجليد،

رذيلةٌ من سكاكين،
دِينٌ من سمكٍ مفترسٍ،
يحتسي

نبيذَ عشائهِ الربّاني من أصابعِ قدميَّ.
الشمعةُ تزدردُ نفسَها،
ثم تستعيدُ ارتفاعَها الصغيرَ،

وعزمَها الأصفرَ.
آهِ، يا حبّي، كيف وصلتَ إلى هنا؟
آهِ، أيّها الجنينُ، الذي تتذكّرُ،

حتى في نومِكَ،
وضعكَ المعكوسَ.
الدمُ يزهرُ نقيّاً

فيكَ، كالزمرّدِ.
الألمُ الذي تستيقظُ عليهِ
ليس ألمكَ.

حبيبي، حبيبي،
لقد زيّنتُ كهفَنا بالورودِ،
وبالحصرِ النّاعمة،

آخر تذكارات العصرِ الفيكتوري.
دعِ النجومَ تهوي
نحو عناوينِها القاتمةِ،

دعْ ذرّاتِ الزئبق،
التي تشلُّ،
تسيلُ نحو البئرِ المرعبِ،

أنتَ الصّلدُ الوحيدُ
الذي تتكئ عليه الفضاءاتُ الحسودةُ،
أنتَ الطفلُ في المخزنِ.

29- تشرين الأول، 1962

197- بُردة النقاب

فتاةٌ مغناجٌ ـ
حجرُ الخاصرةِ،
الخاصرةِ التي تتوجّعُ

من آدمَ الأخضر، وأنا ـ
قدماي متصالبتان ـ أبتسمُ
مبهَمةً،

أرحّلُ لحظاتِ صفائي،
الباهظةَ جدّاً!
يا للشّمسِ، كيف تجلو تلك الكتف!

هل ينبغي للقمرِ،
ابن عمّي،
الذي لا يعرفُ الكللَ،

أن يشرقَ، بألوانه السّرطانيةِ
الممتقعةِ، ساحباً خلفه الشجرَ ـ
وشتلاتِ المرجانِ الصغيرةَ الملتفّةَ،

والشّبكاتِ الصغيرةِ،
حيث تتلاشى دائرتي من المرئيات؟
إنّي أشعُّ كمرآةٍ.

عند هذه النقطةِ، يصلُ العريسُ،
سيّدُ المرايا!
إنّه يجرُّ، بنفسِهِ،

بين شاشاتِ الحريرِ،
هذه الأطيافَ الرنّانةَ.
أزفرُ، ونقابُ الفمِ

يحرّكُ ستارتَه.
نقابُ
عيني

تموّجاتٌ من أقواسِ قزح.
أنا لهُ.
حتّى في غيابِهِ

أدورُ داخلَ غمدٍ
من المستحيلات،

باهظةً، وهادئةً،
بين طيورِ الببغاءِ الملوّنة!
آهٍ، يا الثرثارون،

يا خدمَ رمشِ العينِ!
سوف أطلقُ سراحَ
ريشةٍ واحدةٍ كالطّاووس.

يا خدمَ الشفَةِ!
سوف أطلقُ سراحَ
نغمةٍ واحدةٍ،

تهشّمُ
ثُريّا
الهواءِ الذي ـ طوالَ النّهارِ ـ

يطيّرُ بلّورَه،
ملايين من الجَهَلَة.
يا الرفقاءُ الخدمُ!

يا الرفقاءُ الخدمُ!
وعند خطوتهِ التاليةِ
سوف أطلقُ سراحَ

سوف أطلقُ سراحَ ـ
من الدميةِ الصغيرةِ المرصّعةِ بحبّات اللؤلؤ
التي يحرسُها كقلبٍ ـ

سراحَ اللبوةِ،
الصرخةَ في الحمّامِ،
ومعطفَ الثقوب.

29-تشرين الأول، 1962

198- السيّدة أليعازر

لقد فعلتُها ثانيةً.
سنة من أصلِ عشر
أنجحُ في ذلك ـ

معجزةٌ تمشي، جسدي
ساطعٌ مثل ظلّ مصباحٍ نازيٍّ،
قدمي اليمنى

خفيفةٌ كورقةٍ،
ووجهي، كتّانٌ يهوديٌّ فاخرٌ،
بلا ملامح.

اسحبْ منديلَ المائدةِ،
آهٍ، يا عدويّ.
هل أسبّبُ الهلعَ؟ ـ

الأنفُ، وتجاويفُ العينِ، وطقمٌ كاملٌ من الأسنان؟
الأنفاسُ الحامضةُ
ستزولُ بعد يومٍ واحدٍ.

قريباً، قريباً،
الجسدُ الذي التهمَتهُ مغارةُ القبرِ
سوف يكسوني من جديدٍ،

وأعودُ، أنا، امرأةً مبتسمةً.
في الثلاثين من العمرِ فقط، أنا.
وكالقطّة، ما زال أمامي تسع محاولات لأموتَ.

هذه كانت هي المرّة الثالثة.
أيةُ زبالةٍ أن نبيدَ السّنوات،
كلّ عشرة أعوامٍ على حدة!

يا لملايينِ الخيوطِ!
الحشودُ التي تطحنُ الفستقَ
تندفعُ نحو الأمام كي تراهم

يفكّكون جسدي، من رأسي حتى أخمص قدميّ.
إنّه مشهدُ التعرّي الكبير.
أيّها السّادةُ، أيتُها السيّداتُ،

تلكم هي يداي،
وركبتاي.
قد أكونُ لحماً وعظماً فحسبُ،

مع ذلك، أنا، نفسي، المرأةُ عينُها.
حدثَ هذا، للمرّة الأولى، حين كنتُ في العاشرة.
كانت مصادفةً بحتةً.

في المرّة الثانيةِ كنتُ أنوي
أن أهزمَه (الموت)، ولا أعود البتّةَ.
أوصدتُ نفسي على نفسي،

كمثل صَدْفةٍ بحريةٍ.
وكان عليهم أن ينادوا، وينادوا،
وينزعوا الديدانَ عنّي كأنّها لؤلؤٌ لزجٌ.

الموتُ فنٌّ،
ككلِّ شيءٍ آخر.
وأنا أؤدّيه ببراعةٍ استثنائيّةٍ.

أؤدّيهِ لكي يصيرَ له طعم الجحيمِ،
وأؤدّيهِ لكي يصيرَ حقيقياً.
أحسبُ أنّي سمعتُ نداءً ما.

من السّهلِ أن تفعلَه في زنزانةٍ.
من السّهلِ أن تفعلَه رابطَ الجأش.
إنّه العودةُ المسرحيةُ

في وضحِ النهارِ
إلى المكانِ نفسِهِ، والوجهِ نفسِهِ،
وإلى الصّرخةِ الضّاريةِ نفسِها:

"معجزة!"
تلك التي تطرحني أرضاً.
ثمة زخمٌ ما

لدى رؤية ندوبي، وثمة زخمٌ
إزاء كلمةٍ أو لمسةٍ،
أو قليلٍ من الدم،

أو مزقة من شعري أو ملابسي.
إذاً، إذاً، سيّدي الدكتور.
إذاً، سيّدي العدوّ.

أنا عملكَ الموسيقي،
أنا تحفتكَ القيّمةُ،
طفلةٌ من الذّهبِ الخالصِ

تذوبُ لتصيرَ صرخةً.
أتقلّبُ وأحترقُ.
لا تظنّن أنني أقلّل من قلقكَ العظيم.

رمادٌ، رمادٌ ـ
تحرِّكُهُ وتذروهُ.
لحمٌ، عظمٌ، لا يوجدُ شيءٌ هناك ـ

كعكةٌ من صابون،
خاتمُ زفافٍ،
حشوةٌ ذهبيةٌ.

سيدي الربّ، سيدي الشيطان
احذرْ
احذرْ.

من الرّمادِ،
أُبعَثُ مع شعري الأحمرِ
وألتهمُ الرجالَ كالهواء.

23-29 تشرين الأول، 1962

199- الرُّسُل

كلمةُ السّحليةِ فوق صحن الوريقةِ؟
إنها ليستْ لي. لا تقبلْ بها.

أسيدُ الخلّ في صفيحةِ قصديرٍ مختومةٍ؟
لا تقبلْ به. إنّه مغشوشٌ.

خاتمٌ من ذهبٍ في قلبهِ شمسٌ؟
كذبٌ. كذبٌ وحزنٌ.

صقيعٌ فوق وريقةٍ، والمرجلُ
المثاليُّ، يثرثرُ ويقرقعُ

بمفرده تماماً فوق القممِ
التسعِ لجبال الألب السّوداء.

ارتجاجٌ في المرايا،
البحرُ يهشّم مرآتَه الرماديةَ ـ

اعشقْ، اعشقْ، فصْلي.

4 تشرين الثاني، 1962

200- الوصولُ إلى هناك

كم يبعدُ من هنا؟
كم يبعدُ الآنَ؟
الداخلُ العملاقُ المفزعُ
لحركةِ الدّواليب يصيبُني بالذّعرِ ـ
الأدمغةُ المرعبةُ
لـ(كروب)، والمسنّناتُ السّوداء
التي تدورُ حول نفسِها، والصّوتُ
الذي يصعقُ الغيابَ! كالمدفعِ.
روسيا هي الأرضُ التي ينبغي أن أعبرَ منها،
إنّها حربٌ أو ما يشبهُ الحربَ.
إنّي أجرّ جسدي بهدوءٍ
عبر حاوياتِ القشّ.
الآنَ، وقتُ الرّشوة.
ما الذي تأكلُه الدواليبُ؟ هذه الدواليبُ
المثبّتةُ إلى أقواسِها كالآلهة،
الوثاقُ الفضيُّ للإرادةِ ـ
العنيدةُ. يا لغرورها!
جلّ ما تعرفُهُ الآلهةُ هو مكانُ الوصولِ.
أنا رسالةٌ في فتحةِ القفلِ ـ

أطيرُ نحو اسمٍ، وعينين اثنتين.
أستكونُ النّارُ هناك، أسيكونُ الخبزُ؟
هنا وحلٌ فحسب.
إنه موقفُ قطارٍ، والممرّضاتُ
يجرّبْن مياهَ الصنبورِ، وأوشحتَهُ،
أوشحةٌ في الديرِ، يطبّبن بها جرحاهنّ،
من الرّجال، حيث الدمُ ما يزالُ يسيلُ،
والسيقانُ والأذرعُ مكوّمةٌ خارج
خيمةِ الصّرخاتِ اللامتنهاية ـ
مشفىً للدمى.
والرّجالُ، وما تبقّى من الرّجال،
حُشِروا داخل هذه السجون،
وهذا الدمُ المسفوحُ على بعدِ ميلٍ،
في السّاعةِ القادمةِ ـ
إنهّا سلالةُ السّهامِ المكسورة!

كم تبعدُ من هنا؟
ثمة وحلٌ على قدميّ،
سميكٌ، زلقٌ، وأحمرُ اللّون.
إنّها جهةُ آدمَ،
هذه الأرضُ التي خرجتُ منها،

يجتاحني عذابٌ كبيرٌ.
لا أستطيعُ تفكيكَ ذاتي،
والقطارُ يتابعُ سيرَه.
أبخرتُهُ تتصاعدُ، ولهاثُهُ يتعالى،
وأسنانُه جاهزةٌ للطَحنِ كأسنانِ الشيطان.
ثمة دقيقةٌ في أقصى النّهاية،
لحظة، أو قطرة ندىً.
كم يبعدُ من هنا؟

إنّه صغيرٌ جداً
ذاك المكان الذي أذهبُ إليه،
فلماذا كلّ هذه العراقيل ـ
جسدُ هذه المرأة،
تنّورتُها المشقوقةُ، وقناعُ موتِها،
ترثيها شخصياتٌ دينيةٌ،
وأطفالٌ متوّجون بأكاليلِ الوردِ.
لا انفجارات ـ
رعدٌ وبنادق فحسب.
ها هي النارُ بيننا.
ألا يوجد مكانٌ هادئٌ هنا
يدورُ ويدورُ في فلكِ الهواءِ،

لم يُلمسْ، وغير قابلٍ للمسّ.
القطارُ يجرُّ نفسَه، وها هو يصرخُ ـ
حيوانٌ فقدَ عقلَه
بحثاً عن مكانِ الوصول
عن بقعةِ الدم
عن الوجهِ في آخرِ الوهجِ.
سوف أدفنُ الجرحى كاليرقات،
وسوف أُحصي، وأدفنُ الموتى.
دعوا أرواحَهم تستحمُّ في النّدى،
وفي البخورِ خلف مساري.
العرباتُ تصطكّ، كأسرّة الأطفال.
وأنا التي تخرجُ من جلدِ
الضمادات القديمةِ، والسأمِ،
والوجوهِ العتيقةِ،

أخرجُ إليكَ، من المقصورة السوداء،
لنهر النسيان (ليثي)،
صافيةً كطفلةٍ.

6-تشرين الثاني، 1962

201- رقصاتُ اللّيل

ابتسامةٌ سقطتْ على العشبِ.
لا يمكنُ استعادتُها!

وكيف يمكن لرقصاتِك اللّيلية
أن تخسرَ نفسَها. في الرّياضيات؟

تلك القفزاتُ والانحناءاتُ الصّافيةُ ـ
بالتأكيد إنّها تسافرُ

في كلّ أصقاعِ العالمِ،
وأنا لن أجلسَ خاويةً من الجمال،

ومن نعمةِ أنفاسكِ الصغيرةِ،
والرائحةِ العشبيةِ المبلّلة لنومكِ، وزنبقكِ، زنبقكِ.

لا صلاتَ لجسدها.
طيّاتُ الأنا الباردةُ،

والنمرُ، منظّفاً جلدَهُ ـ
بُقَعٌ، وبراعمُ ساخنةٌ.

أمام الشُّهبِ،
ذاك المدى الذي ينبغي اجتيازه،

تلك البرودة، وذاك النسيان.
إذاً، إيماءاتُكِ تتساقطُ كالقشّ -

دافئةً وإنسانيةً، ثمّ نورُها البنفسجيُّ،
ينزفُ ويتقشّرُ،

عبر فقدانِ الذّاكرةِ الأسودِ للسّماء.
لماذا أعطوني

هذه المصابيحَ، وهذه الكواكبَ،
التي تنهمرُ كالهِباتِ، كندفِ

سُداسية الحوافِّ، بيضاء،
فوق عينيّ، وشفتيّ، وشعري

تلمسُني، وتذوبُ
في اللامكان.

6-تشرين الثاني، 1962

202- غَلليفر (الرحّالة)

فوق جسدكَ ترحلُ الغيومُ
شاهقةً، ، شاهقةً، صقيعيةً
وملساء، قليلاً،

كأنّها تطفو فوق زجاجٍ لا مرئيٍّ.
على النقيضِ من البجعِ،
لا انعكاسات لها.

وعلى النقيضِ منكَ،
لا خيطان تقيّدُها.
جميعُها باردةٌ، وجميعُها زرقاء. على النقيضِ منكَ ـ

أنتَ، هناكَ، مستلقياً على ظهركَ،
عيناك نحو السّماءِ.
رجالُ العنكبوت ألقوا القبض عليكَ،

شابكين، حائكين، أحابيلَهم الحقيرةَ،
ورشاويهم ـ
والكثير الكثير من الحرير.

وكم هم كارهون لكَ.
إنّهم يثرثرون في وادي أصابعِكَ.
ويتمنّون منكَ أن تنامَ في خزائنِهم.

إصبعُ القدمِ هذه، وإصبعُ القدمِ تلك، والمنحوتةُ.
اقفزْ!
اقفزْ سبعةَ فراسخ بحرية، كمثل هذه المسافات،

التي تدورُ في (كريفلّلي)، نائيةً لا يطالهُا شيءٌ.
لتكنْ هذه العينُ صقراً،
وليكنْ ظلُّ السفينةِ هاويةً.

6-تشرين الثاني، 1962

203-ثاليدومايد

(مسكّن دوائي يسبّب تشوّه الأجنّة)

آهِ، نصفُ قمرٍ ـ

نصفُ دماغٍ، ولمعانٌ ـ
زنجيٌّ، موشومٌ كأبيض،

أعضاؤكَ المبتورةُ السّوداءُ
تزحفُ وتُرعبُ ـ

عنكبوتية، وغير آمنةٍ.
أيّ قفّازٍ،

أيّة متانةٍ جلديةٍ
حمَتْ كينونتي

من ذاكَ الظلّ ـ
البراعمُ التي لا تُمحى،

مفاصلُ فوق نصالِ الكتفِ،
الوجوهُ التي

تتشكّلُ في الوجودِ
ساحبةً برقعَ الجنينِ

الدمويّ، المتدلّيّ، للغيابات.
طوالَ اللّيلِ، كالنجّارِ، أنحتُ

فضاءً للشّيءِ الممنوحِ لي،
عشقٌ

لعينينِ نديتين، وصرخةُ ذعر.
البصقةُ البيضاءُ

للامبالاة!
الثمارُ الداكنةُ تدورُ وتسقطُ.

الزّجاجُ يتهشّمُ على الملأ،
الصورةُ

تهربُ وتُجهِضُ، مثل زئبقٍ ينقّطُ.

8-تشرين الثاني، 1962

204- رسالة في تشرين الثاني

يا حبّ، العالمُ يبدّلُ،
فجأةً، يبدّلُ اللونَ. أضواءُ الشّارعِ
تنشطرُ، عبرِ ذيل فأرٍ،
كقشورِ شجرةِ الأبنوسِ، في التاسعةِ، صباحاً.
إنّه القطب الشّمالي،

تلك الدائرةُ السوداءُ الصغيرةُ،
بأعشابِها الحريريةِ ـ كشَعرِ الرُضَّعِ.
ثمة اخضرارٌ في الهواء،
ناعمٌ، وشهيٌّ.
نديّاً يهدهدُ جسدي.

أشعرُ بالبهجةِ والدفءِ.
أظنّ أنّني شاسعة،
وسعيدة جدّاً كحمقاء،
جزمتي تخوضُ، عميقاً،
تخوضُ في الاحمرارِ الجميلِ.

هذه هي ممتلكاتي.
مرّتين في اليومِ،

أقطعُها، جيئةً وذهاباً،
أشمُّ الزعرورَ البرّيّ،
بأصدافهِ الخضرِ، وحديدِهِ الصّافي،

وجدارِ الجثامينِ القديمةِ.
أحبّها جميعاً.
أحبّها جميعاً كتاريخٍ.
ثمارُ التفّاحِ ذهبيةٌ،
وعليكَ، فقط، أن تتخيّلَها ـ

شجيراتي السبعون
تحملُ كراتِها الذّهبيةَ، المتورّدةَ،
وسطَ حساءِ الموتِ، الرّماديِّ، الكثيفِ،
حيث الملايينُ من أوراقِها المذهّبةِ
تسقطُ، معدنيةً، لاهثةً.
آهِ، يا حبّ، أيها الأعزبُ.
لا أحدَ سواي
يسيرُ حتّى يبتلّ أعلى الخصرِ.
الذّهبُ، الذي لا يُستَبدلُ،
ينزفُ، ويزدادُ عمقاً، كأفواهِ "ثيرموبايلي".

11-تشرين الثاني، 1963

205- الموتُ وشركاه

اثنان، بالطّبع ثمة اثنان.
يبدو هذا طبيعياً تماماً ـ
ذاك الذي لا ينظرُ إلى الأعلى أبداً،
عيناهُ كرويتان، مجهدتان، كعيني الشّاعرِ بليك،

الذي يكشفُ علاماتِ الولادةِ،
وتلك ماركاته التّجارية ـ
الوشمُ المحروقُ للماءِ،
والصدأُ العاري للنسرِ الكنديّ.
أنا لحمٌ أحمر. منقارُهُ

ينغرزُ مائلاً: أنا لستُ لهُ بعدُ.
يقولُ لي كم أنا رديئةٌ بالتقاطِ الصّور.
يقول لي كم يبدو الأطفالُ جميلين
في صناديقِ مشافيهم الجليدية،

زخرفٌ بسيطٌ حول العنق،
وخَفْقُ ملابسِ الموتِ الإغريقيةِ،
ومن ثم قدمان صغيرتان.
هو لا يبتسمُ أو يدخّنُ.

الآخرُ يفعلُ ذلك،
شَعرُهُ طويلٌ ومسرّحٌ.
ابنُ زنىً
يقذفُ لألأةً،
ويبحثُ عمن يقعُ في غرامِهِ.

لا أحرّكُ ساكناً.
الصقيعُ يصنعُ وردةً،
والنّدى يصنعُ نجمةً.
الجرسُ الميتُ،
الجرسُ الميتُ.

لا بدّ أنّ أحداً ما فارقَ الحياة.

14-تشرين الثاني، 1963

206- أعوام

إنّهم يدخلون كحيواناتٍ من الفضاءِ الخارجي
لشَجرةِ الصّنوبرِ، حيث الأوراقُ الإبريةُ،
ليست أفكاراً أُشعلُ شرارتَها، كلاعبِ اليوغا،
بل اخضرارٌ، وظلمةٌ صافيةٌ،
تتجمّدُ، وتكونُ فحسبُ.

آهِ، إلهي، أنا لستُ مثلكَ،
في نجومِكَ الداكنةِ، الفارغةِ،
التي تتناثرُ مثل قصاصاتٍ مضيئة غبيةٍ.
الأبديةُ تُضجرني،
ولم أرغبْ فيها يوماً.

ما أحبّهُ
هو المكبسُ في أثناءِ الحركةِ ـ
روحي تموتُ قبله.
ثم حوافرُ الخيلِ،
وزبدُ صهيلِها القاسي.

وأنتَ، أيّها السكونُ العظيمُ ـ
ما العظيمُ في ذلك!

أهو النمرُ، هذا العام، ذاك الزئيرُ خلف الباب؟
أهو المسيحيُّ، وجذوةُ الربّ

الرّهيبةُ فيه تخبو
وتطيرُ أثراً بعد عينٍ؟
علّيقُ الدّم هو ذاتُه. وحبّاتُهُ ساكنةٌ جداً.
الحوافرُ لن تنالَ منه،
وفي المسافةِ الزرقاءِ تهسُّ المكابسُ.

19-تشرين الثاني، 1962

207- المخيف

هذا الرجلُ يبتكرُ اسماً مستعاراً
ثم يختفي خلفه كالدودةِ.

تلك المرأةُ على الهاتفِ
تقولُ إنّها رجل، وليستِ امرأةً.

القناعُ يتعدّدُ، ويأكلُ الدودةَ،
والشرائطُ تستبدلُ الفمَ والعيونَ والأنفَ،

وصوتُ المرأةِ يصيرُ أجوفَ ـ
وشيئاً فشيئاً كصوتِ الميتِ،

ديدانٌ في حنجرةِ اللفظ.
إنّها تكرهُ

فكرةَ وجودِ طفلٍ ـ
سارقُ الخلايا، وسارقُ الجمال ـ

تفضّلُ الموتَ على البدانةِ،
وأن تكونَ ميتةً وكاملةً، مثل نفرتيتي،

تسمعُ القناعَ المتوحّشَ يكبّرُ
الجحيمَ الفضيّةَ لكلِّ عينٍ،

هناكَ، حيث الطفلُ لا يمكنه أن يسبحَ أبداً،
هناكَ، حيث لا يوجدُ سوى هو وهو.

16-تشرين الثاني، 1962

209- أغنية ماريا

حَمَلُ نهارِ الأحد يتهشّمُ مع دهونِهِ،
والدهونُ
تطيحُ بغموضِهِ. ...

نافذةٌ، وذهبٌ مقدّسٌ.
النارُ تجعلُهُ ثميناً،
والنّارُ نفسُها،

تصهرُ الهراطقةَ البدينين،
وتطردُ اليهودَ.
أقنعتُهم السّميكةُ تطفو

فوق جراحِ بولندا،
وألمانيا المحترقة.
هؤلاء لا يموتون.

عصافير رمادية تحتلّ قلبي،
رمادٌ ـ فمٌ، ثمّ رمادُ العين.
يستقرّون

فوق الجرفِ الشّاهقِ
الذي رمى شخصاً إلى الفضاء
فتوهّجت الأفرانُ كالسماوات السّاطعة.

إنه القلبُ،
هذا الهولوكوست الذي أمشي فيه،
آهِ، أيّها الطفلُ الذهبيُّ، الذي سيقتلُهُ العالمُ ويأكلُه.

19-تشرين الثاني، 1962

209- أشجارٌ شتويةٌ

حبرُ الفجرِ الرّطبِ يشهدُ ذوبانَه الأزرقَ.
فوق ممحاةِ الضبّابِ تبدو الأشجارُ
رسماً نباتياً فحسبُ -
الذكرياتُ تنمو، حلقةً، حلقةً،
سلسلةً من الأعراسِ.

جاهلةً بالإجهاض أو فنّ العهرِ،
وأكثر صدقاً من النساء،
تنثرُ بذارَها دونما جهدٍ!
تتذوقُ الرّياحَ التي بلا خطواتٍ،
غارقةً بالتّاريخ حتّى الخصرِ -

مملوءةً بالأجنحةِ، وبالفضاء البرّاني.
إنهنّ يشبهْن ملكة الأساطير (ليدا).
آهِ، يا أمّ الوريقات الخُضرِ، والعذوبةِ،
لمن تماثيلُ التّقوى تلك!
ظلالُ الحمامِ المطوّقِ تهدلُ،
لكنّها لا تنجبُ شيئاً.

26-تشرين الثاني، 1962

210- برازيليا

هل سيأتون،
هؤلاء النّاس، بجذوعٍ فولاذيةٍ،
وأكواعٍ مجنّحةٍ، ومحاجرَ مفتوحةٍ،

ينتظرون جمهرةَ الغيومِ
كي تمنحَهم لغةَ التعبير،
هؤلاء البشر ـ السوبر! ـ

وطفلي مسمارٌ
مغروزٌ، مغروزٌ، عميقاً.
إنّه يصرخُ مع شحمِهِ،

عظامُهُ تتأمّلُ المسافات.
أنا، على وشكِ الانقراض،
وأسنانُهُ الثلاثةُ تنغرزُ

في لحمِ إبهامي ـ
والنجمةُ،
القصّةُ القديمةُ.

في الرواقِ، ألتقي القطيعَ والعربات،
الأرضَ الحمراء، والدمَ الأمومي.
آهِ، يا أنتَ، يا من تأكلُ البشرَ

كخيطانِ الضّوء، اتركْ
هذه المرآةَ بعينها
سليمةً، لم يطلْها أحدٌ،

إبادةُ اليمامة،
المجدُ،
القوّةُ، المجدُ.

1-كانون الأول، 1962

211- امرأة بلا أطفال

الرّحمُ
ترتعشُ، والقمرُ
يفلتُ من الشّجرةِ، ولا مكانَ يلجأُ إليه.

أفقي يدٌ بلا خطوطٍ،
الدروبُ عُجِنتْ كالعقدةِ،
والعقدةُ نفسي،

ونفسي هي الوردةُ التي زرعْتَها ـ
هذا الجسدُ،
هذا العاجُ،

أرضيّ كمثلِ صرخةِ طفلٍ.
كالعنكبوتِ أغزلُ المرايا،
وفيةً لصورتي،

لا أتكلّمُ سوى الدّم ـ
أتذوّقُ الأحمرَ القاتم!
ثم غابتي،

جنازتي،

وهذه الهضبة، وهذه

اللألأةُ على أفواهِ الجثثِ.

1-كانون الأول، 1962

مكتبة
t.me/t_pdf

212- استراقُ السّمع

شقيقُكَ يشذّبُ شجيراتِ سياجي!
إنهّا تضفي ظلاماً على دارِكَ،
أيّها المزارعُ الفضوليُّ،
أيُّها الخِلدُ على كتفي،
أُقصيه غيابياً،
أُقصيه حتّى النّزفِ،
إذا لزمَ الأمرُ.

لطخةُ المناطق الاستوائية ماتزالُ
صفراء كالبولِ عليكَ، كالإثمِ،
كرائحةِ غصنٍ عفنٍ.

قد تكونُ من المحليين،
ولكن ذاكَ الأصفر!
يا له من لونٍ مأفونٍ!
جسدكَ
إصبعٌ طويلةٌ من النيكوتين،
حيث أنا،
تلك السيجارةُ البيضاءُ،

أحترقُ، كي تنفثَ، أنتَ، دخانكَ،
موقظاً الخلايا الضّجرةَ.

دعني أعشّشْ فيكَ!
هلوساتي، وشحوبي.
دعهم يبدؤوا الكيمياءَ العجيبةَ
التي تذيبُ البشرةَ، وتجعلُها رماديةً،
من العظمِ إلى العظمِ.
ثم رأيتُ سلفَكَ الأكثرَ مرضاً،
ملفوفاً بالضّمادات،
كعكةَ زفافٍ ارتفاعها ستّة أقدامٍ ونصف.
ولم يكن شرّيراً البتّةَ.

لا تظنّ أنّني لم ألحظْ ستارتكَ ـ
منتصفَ اللّيل، في الرّابعة،
مضاءةً (كنتَ تقرأ)،
تتمايلُ مع النفَحَات التي تعبرُ،
حيث لسانُ مومس يغمغمُ،
وقماشُ "الشنايل" يومئُ،
يكمُّ كلماتي في فمي ـ
عواءٌ في حديقةِ الحيوانات،

وتلك المرآةُ الناعمةُ المجنونةُ،
تهمسُ لكَ حبّاً كي تصطادني.

كيف قفزتَ حين قفزتُ إليكَ!
ذراعان مبسوطتان، وأذنان متوثّبتان،
واصفرارُ الضفدعِ تحت القطْرةِ،
التي لن تكونَ، والتي لن تسقطَ
في صحراءَ من قطيعِ الأبقارِ،
التي تجرّ أثداءَها، عائدةً إلى حظائرها،
حيث آلةُ الحَلْبِ الإلكترونية،
وتلك الزوجةُ، وتلك العينُ الزرقاءُ الكبيرةُ،
التي تراقبُ كالربِّ، أو تلك السّماء
التي تراقبها طلاسمُ الحروف.

ناديتُ.
خرجتَ أنتَ زاحفاً،
كشبحِ الطقسِ، تترنّحُ،
قزماً خرافياً،
حيث ابتسامةُ الكنيسةِ الواطئة،
تنساحُ كمثل زبدةٍ مسفوحةٍ.
أهذا ما جئتُ، أنا، من أجلِهِ ـ

برغوثُ جسدٍ!
وعيونٌ كالجرذان،

تلمعُ فوق بساتيني،
رافعةً أجنحةً من حروفٍ،
متفحّصةً ذبابةَ
بنطلونِ الرّجلِ
الميتِ فوق مسندِ الكرسيّ،
فاتحةً الابتسامات البدينة،
وعيون طفلينِ اثنين،
لا لشيءٍ سوى للتأكّدِ ـ
الحجرُ ـ الضفدعُ! الأختُ ـ المومسُ! الجارُ ـ العذبُ!

15-تشرين الأول، 31-كانون الأول، 1962

1963

213- خرافٌ في الضباب

الهضابُ تقفزُ صوبَ البياضِ.
البشرُ والنجومُ
تنظرُ إليّ بحزنٍ، فأخذلُها.

القطارُ يتركُ خيطاً من الأنفاسِ وراءَه.
آهٍ، أيّها الحصانُ البطيءُ
بلونِ الصدأ،

حوافرُ، وأجراسٌ حزينةٌ ـ
طيلة هذا الصّباح
ظلَّ الصباحُ يسودُّ،

زهرةً متروكةً للنسيان.
عظامي تحملُ سكوناً مطبقاً،
والحقولُ البعيدةُ تذيبُ قلبي.

يهدّدونَ بأن يُدخلوني
إلى جنّةٍ بلا نجومٍ أو أبٍ،
إلى مياهٍ سوداء.

2-كانون الأول-1962، 28-كانون الثاني، 1963

214- دمى ملابس في ميونيخ

الحمايةُ مرعبةٌ، لا يمكنُها أن تنجبَ أطفالاً.
باردة مثل ثلجِ الصّباح، تسدّ الرّحمَ

حيث شجرُ الصّنوبرِ يهبُّ كالأفعوان،
شجرةُ الحياةِ، وشجرةُ الحياةِ،

تطلقُ سراحَ أقمارِها، شهراً بعد شهرٍ، بلا غايةٍ.
فيضانُ الدّم هو فيضانُ الحبّ،

التضحيةُ المطلقةُ.
ويعني: لا أصنامَ سواي،

أنا وأنتَ.
هكذا، بلونها الكبريتيّ الشيّق، وبابتساماتِها،

تقفُ دمى الملابسِ، هذه اللّيلةَ،
في ميونيخ، تلك المشرَحةُ بين باريس وروما،

عاريةً وصلعاءَ بملابس الفرو،
سكاكر أرجوانية فوق رفوفٍ فضّية،

لا تُطاقُ، وبلا عقلٍ.
الثلجُ يخلعُ مزقَ الظّلامِ،

ولكن لا أحدَ في الجوار. في الفنادقِ
سوف تفتحُ الأيدي الأبوابَ

وتجهّزُ الأحذيةَ لصبغةِ الكربون،
قبل أن تسافرَ في داخلِها، غداً، الأصابعُ العريضةُ.

خلف وداعةِ هذه الشّبابيك،
شرائطُ طفلٍ، وحلوياتٌ بأوراقِ خضر،

وألمانٌ بدينون ينامون ببيجاماتهم القصيرة.
ثمّ تلفونات سوداء فوق أسياخٍ

تلمعُ
تلمعُ، وتمتصُّ

الصّمتَ. ليس للثّلجِ صوتٌ.

28-كانون الثاني، 1963

215- طوطم

المحرّكُ يقتلُ السكّةَ، والسكّةُ من الفضّة،
تمتدُّ صوبَ المسافةِ. مع ذلك، سوف تؤكلُ.

ركضُها عقيمٌ.
ومع هبوطِ اللّيلِ، ثمة جمالُ الحقولِ المغمورةِ بالمياه،

حيث الفجرُ يلوّنُ الفلاّحين بالذهبيّ،
وهم يتخايلون، قليلاً، ببزّاتِهم السميكة،

أمام الأبراجِ البيضِ لمدينة (سميثفيلد)،
أوراكٌ بدينةٌ، ودمٌ على عقولِهم.

لا رحمةَ في لمعانِ السّواطيرِ،
أو مقصلة الجزّارِ التي تهمسُ: "كيف هذا؟ كيف هذا؟"

في الحوضِ أجهضتِ المهرةُ،
ورأسُها الفتيُّ، خارج الدّربِ، المعطّر بالتّوابل،

سُلِخ عنه الفروُ والإنسانيةُ.
دعنا نأكلْها، كفكرة أفلاطون، ما بعد الولادة،

دعنا نأكلها كأنها يسوع.
هؤلاء هم البشر المهمّون ـ

عيونُهم المدوّرةُ، وأسنانُهم، وابتساماتُهم،
فوق عصا تلتفّ وتفحُّ كمثل أفعى مزيّفة.

هل سيخيفني قناعُ الأفعى ـ
عزلةُ عينِه، عينُ الجبالِ، التي من خلالها،

تظلُّ السماءُ تحيكُ خيوطَ ذاتها؟
العالمُ ساخنٌ كالدّم، وشخصيٌّ،

يقولُ الفجرُ، بحمرتِهِ الدّموية.
لا توجدُ محطّة أخيرةٌ، بل أدراجٌ فحسب،

حيث تتكشّفُ الذاتُ، كمثل بزّةٍ
مكويةٍ ولامعةٍ، بجيوبٍ من الرغبات،

والأفكار، والأسعار، والدّارات القصيرة، والمرايا المتحركة.
أنا مجنونةٌ، تنادي العنكبوتُ، ملوّحةً بأذرعِها الكثيرة.

وفي حقيقةِ الأمرِ، هذا شيءٌ مرعبٌ،
حين يتضاعفُ في عيونِ الذّباب ـ

الذبابُ الذي يطنّ مثل أطفال زرقٍ،
في شِباك اللامتناهي،

حيث، في النهاية، يلتفُّ حولها،
حبلُ الموت بأسافينِه الكثيرةِ.

28-كانون الثاني، 1963

216- طفل

عينكَ الواضحةُ هي الشّيءُ الوحيدُ الجميلُ بالمطلق.
أريدُ أن أملأها باللّونِ والبطّ،
حديقة من كائنات جديدة،

بأسماء تتأمّلُها أنتَ ـ
ثلجُ نيسان، مزمارٌ هنديٌّ،
وسويقةٌ صغيرةٌ

لا تجاعيدَ فيها،
وبحيرةٌ، تكون فيها الصورُ
فخمةً وكلاسيكيةً،

وليس هذا الارتعاشُ
المقلقُ لليدين أو هذا
السّقفُ المعتمُ بلا نجمةٍ.

28-كانون الثاني، 1963

217- شلَلٌ

هذا يحدثُ. فهلِ يستمرُّ؟ ـ
عقلي صخرةٌ،
ولا أصابعَ أتمسّكُ بها، لا لسانَ.
إلهي هو الرئةُ الحديديةُ

التي تحبّني، وتنفخُ
حقيبتي، التي من الغبارِ،
إلى الدّاخل ثم إلى الخارجِ،
لن تدعني

أقعُ في غيبوبةٍ
فيما النهارُ في الخارج ينزلقُ كشريطِ تسجيلٍ.
اللّيلُ يجلبُ البنفسجَ،
وتزاويقَ عيونٍ كثيرة،

والأضواءَ،
ومتحدّثين مجهولين يهمسون:
"هل أنتَ على ما يرام؟"
الصّدرُ المصعوقُ لا سبيلَ للوصولِ إليه.

بيضةً ميتةً، أستلقي،
بالكاملِ
فوق عالمٍ كاملٍ لا أستطيعُ لمسَه،
عند الطبّلِ الأبيضِ المشدودِ

لسريرِ نومي، هنا،
حيث تزورني الصّورُ الفوتوغرافيةُ ـ
زوجتي، الميتةُ، الممدّدةُ،
بفمٍ مملوءٍ بالمجوهرات،

وفتاتان
ممدّتان مثلها، تهمسان: "نحن بناتكَ؟"
المياهُ الساكنةُ
تغمرُ فمي

وعينيّ، وأنفي، وأذني،
مثل سيلوفانٍ واضحٍ
لا يمكنني كسره.
على ظهري العاري

أبتسمُ، كأنّني بوذا،
والرّغباتُ، والأمنياتُ، جميعاً،

تتساقطُ منّي كالخواتمِ،
معانقةً الضّوءَ.

مخلبُ
زهرةِ الماغنوليا،
الثملةِ بعطرِها،
لا يطلبُ شيئاً من الحياة.

29-كانون الثاني، 1963

218- القوّاد

ساعةُ جيبٍ أنا، ودقّاتي موزونةٌ.
الشوارعُ شقوقٌ للسحالي،
بحوافّ عارية، وثقوبٍ تتوارى فيها.
من الأفضل أن نلتقي في الزقاق،

في قصرٍ من المخملِ،
بنوافذ من مرايا.
هناك يكون المرءُ آمناً،
ولا توجدُ صورٌ عائليةٌ،

ولا حلقاتٌ في الأنفِ، ولا صرخاتٌ.
سنّاراتُ سمكٍ براقةٌ، وابتساماتُ النسوة
تتهادى فوق جسدي،
وأنا، بسوادي الفاحم،

أطحنُ نفاياتِ الأثداءِ كقنديلِ البحر.
ولكي أُطعِمَ
قيثارات الأنين، آكلُ البيضَ ـ
البيضَ والأسماكَ، تلك المكوّنات الجوهرية،

وسمكةَ الحبّارِ الخنثى.
فمي يرتخي،
فمُ يسوعَ
حين يصلُ محرّكي نهايتَه.

ثرثرةُ مفاصلي الذّهبيةُ،
طريقتي في تحويل
العاهرات إلى فقاعاتٍ من فضّة،
تطوي سجّادةً، وتطوي سكوناً.

ولا توجدُ نهايةٌ، لا نهايةَ لهذا.
لن أكبر في السنّ أبداً.
محاراتٌ جديدةٌ
تصرخُ في البحر، وأنا
أتلألأُ كفندق فاخرٍ

مشبعاً رغباتي،
وشلالُ الماءِ عينٌ
أتكئ بحنوٍّ على بحيرتهِ،
وأرى نفسي.

29-كانون الثاني، 1963

219- صوفيّ

الهواءُ طاحونةٌ من الأسافين.
أسئلةٌ من دون أجوبةٍ،
ثملةٌ وبرّاقةٌ كذبابٍ،
تُدمي لسعتَه، بشكلٍ لا يطاق،
في الأرحامِ النتنةِ للهواءِ الأسودِ تحت الصّنوبرِ في الصّيف.

أتذكّرُ
الرائحةَ الميتةَ للشّمسِ فوق الأكواخِ الخشبيةِ،
والأشرعةَ الجامدةَ، والشراشفَ الطّويلة المالحةَ الخفّاقة.
ما إن يرى المرءُ الله، ماذا سيكونُ العلاجُ؟
ما إن تتملّكُ المرءَ قوةٌ غامضةٌ

وتستحوذُ على أنحاءِ جسدِهِ كلِّه،
لا تتركُ إصبعَ قدمٍ، أو إصبعَ يدٍ،
وتستعْملهُ، وتستهْلكهُ بالمطلق،
وسط تحوّلات الشّمسِ، والبقعِ التي تمتدّ
من الكاتدرائيات القديمة،
ماذا سيكونُ العلاجُ؟

عقّارُ العشاءِ الربّاني،
والمشيُ بالقربِ من المياهِ السّاكنةِ؟ والذّاكرةُ؟
أو لملمةُ الشّذراتِ السّاطعةِ
ليسوعَ في وجهِ القوارض،
قاطفو الزهور البسطاء، أولئك

الذين لهم آمال قليلة، ما يجعلهم يشعرون بالراحة ـ
الأحدبُ في كوخِهِ الصغيرِ، المغسولِ،
تحت عرائشِ الياسمين.
هل لا يوجدُ حبٌّ عظيمٌ، ويوجدُ الحنانُ فحسب؟
هل يتذكّرُ البحرُ

من كان يمشي فوق مياهِهِ؟
المعنى يدلفُ من الذرّات.
مداخنُ المدينة تتنهّدُ، والنّافذة تتعرّقُ،
والأطفالُ يقفزون فوق أسرّتهم.
الشمسُ تتفتّحُ، كزهر الجيرانيوم.

القلبُ لم يتوقّف.

1-شباط، 1963

220- لطيفة

اللّطفُ يتجوّلُ حول منزلي.
السيدةُ "لطيفة"، لطيفةٌ جدّاً.
المجوهراتُ الزرقاءُ والحمراءُ لخواتمِها
تلمعُ خلف النّوافذ، والمرايا
تمتلئُ بالابتسامات.

ما هو الأكثر حقيقيةً من صرخةِ طفلٍ؟
صرخةُ الأرنبِ قد تكونُ أكثرَ توحّشاً،
لكنها تفتقرُ للروح.
يستطيع السكّرُ أن يداوي كلّ شيءٍ، هذا ما تقولُهُ لطيفةُ.
السكّرُ سائلٌ ضروريٌّ

ذرّاتُ كريستالِهِ ضمَادةٌ صغيرةٌ.
آهِ، أيُّها اللّطفُ، اللّطفُ،
وأنتَ تجمعُ النثراتِ بعذوبةٍ!
حريري الياباني، وفراشاتي اليائسة،
يمكن أن تُثبتَ بالمسامير، في أية لحظة، وتُخدَّرُ.

ها أنتَ تأتي، حاملاً كوباً من الشّاي،
مكلّلاً بالأبخرة.

طائرةُ الجسدِ هي الشعرُ،
ولا شيء يمكن إيقافها.
تناولُني طفلين، وزهرتين.

1-شباط، 1963

مكتبة
t.me/t_pdf

221- كلمات

فؤوسٌ،
بعد ضرباتِها، ترنّ الغاباتُ.
والأصداءُ!
الأصداءُ تسافرُ بعيداً
من المركزِ كالخيولِ.

النسغُ
ينبجسُ كالدّموع، مثل مياهٍ
تحاول أن تشيّدَ مراياها
فوق الصّخرة،

التي تسقطُ وتدورُ،
جمجمةً بيضاء،
التهمتها الطحالبُ الخضراء.
بعد انقضاءِ سنواتٍ عديدةٍ
ألتقي بهم على الدّرب ـ

كلماتٌ جافّةٌ لا يمتطيها أحدٌ،
ووقعُ الحوافرِ العنيدة التي لا تُفهم.
بينما من قعرِ البحيرةِ، نجومٌ ثابتة
تحكمُ الحياة.

1-شباط، 1963

222- رضوض

اللّونُ يفيضُ على البقعة، أرجوانياً جافّاً.
باقي أنحاء الجسد غُسِلتْ بالكامل،
وباتتْ بلونِ اللؤلؤِ.

لبُّ الصّخرةِ
يرضعُه البحرُ ممسوساً،
تجويفٌ بعينِهِ هو محورُ البحرِ بأسره.

بحجم الذبابةِ
علامةُ القدَرِ
تنزلقُ على الحائط.

القلبُ ينغلقُ،
والبحرُ يتراجعُ، منسحباً،
والمرايا محجّبةٌ.

4-شباط، 1963

223- بالونات

منذ عيدِ الميلادِ عاشتْ معنا،
واضحةً، وصريحةً،
حيواناتُ روحٍ بيضاوية،
تحتلُّ نصفَ الفضاء،
تتحرّكُ وتتمرّغُ بالحريرِ.

هبّاتُ هواءٍ لا مرئيةٌ
تطلقُ صرخةً، وتنتفضُ
إذا هوجمتْ، ثم تخلدُ للرّاحةِ، بارتعاشٍ خفيفٍ.
رأسُ هرّةٍ أصفر، وسمكةٌ زرقاء -
تلك الأقمارُ الغريبةُ التي نعيشُ معها

عوضاً عن الأثاث!
أسرّةٌ من قشّ، وحيطانٌ بيضٌ
وهذه الأكوانُ المرتحلةُ
من هواءٍ رقيقٍ، أحمر، أخضر،
تنعشُ

القلبَ كالأمنيات،
أو كالطواويس الحرّة،

تباركُ الأرضَ العتيقةَ بريشةٍ،
تتأرجحُ بين معادنَ نجميةٍ.
شقيقكَ الصغيرُ

يجعلُ بالونه يموءُ كالقطّة.
وإذ يهيأ له أن يرى عالماً
وردياً مضحكاً
يمكنُ أن يأكلَ في الجهة الأخرى منه،
يأخذُ قضمةً،

ثم يستندُ إلى الخلف، حيث الإبريقُ الطافحُ،
متأمّلاً العالمَ، واضحاً كالماء.
وثمة مزقةٌ حمراء
في قبضتِه الصغيرةِ.

5-شباط، 1963

224- حافة

المرأةُ اكتملتْ.
جسدُها الميتُ

يرتدي ابتسامةَ الإنجاز،
وهمَ الضّرورةِ الإغريقيةِ

يسيلُ بين طيّات ردائها،
قدماها العاريتان

تقولان، كما يبدو:
قطعنا مسافةً بعيدةً، وانتهى كلُّ شيء:

كلّ طفلٍ ميتٍ تكوّرَ، ثعباناً أبيض،
واحد داخل كلّ جرة صغيرة

من الحليب، خاوية الآن.
طوتْهم، وأرجعتْهم إلى جسدِها،
مثلما تنغلق براعمُ الوردةِ حين

تيبسُ الحديقةُ، والعبيرُ ينزفُ،
من الحناجر، العذبة، العميقة، لزهرة اللّيل.

ليس للقمرِ ما يجعلهُ حزيناً
محدّقاً عبر قناعِهِ العظمي.

لقد اعتادَ على هذا النّوعِ من الأشياء.
سوادهُ يطقطقُ ويسحلُ.

5-شباط، 1963

ملحق

قصائد مرحلة الصبا، ما قبل 1956

هذه مختارات من خمسين قصيدة كتبتها سيلفيا بلاث قبل عام 1956. بعضُها كُتب كتمارين شعرية قدمتها لأساتذتها في كلّية سميث، في بوسطن.

فريزٌ مرّ

طوالَ ذاكَ الصّباح، في حقلِ الفريزِ،
كانوا يتحدّثون عن الرّوس.
جالسين القرفصاء بين الأثلامِ
كنّا نصغي.
سمعنا المرأةَ المسؤولةَ تقولُ،
"اقصفْهم، وامحِهمْ عن الخارطة".

ذبابُ الخيل يطنُّ، يحطُّ، ثم يلسعُ.
طعمُ الفريز
انقلبَ حامضاً ولاذعاً.

قالتْ ماري ببطءٍ، "شخصٌ هرمٌ!
آن الأوان كي يمضي.
لو أنّ شيئاً سيحدثُ ...".

السّماءُ شاهقةٌ وزرقاء.
طفلان يضحكان على شارةٍ
بين العشبِ الطّويل،
يقفزان عالياً،
بسيقانهما الطويلة،
فوق الدّربِ المتعرج.

الحقول مليئةٌ بالشبّان
يقطفون الخسّ، ويعشّبون الأرض.

"العاصفة مرّت"، قالتِ المرأةُ.
"كان ينبغي أن نقصفَهم منذ زمنٍ طويلٍ".
"لا تفعلوا"، قالت الفتاةُ الصغيرةُ
ذاتُ الضفائرِ الشّقراء.
العينان الزرقاوان تسبحان في رعبٍ غامضٍ.
ثم أضافت بنكدٍ، "لا أستطيعُ أن أفهمَ
لماذا تتحدّثونَ بهذه الطريقة ...".
"أوه، كفى قلقاً، يا نيلدا".
صرختِ المرأةُ بحدّة.
نهضتْ واقفةً، شبحاً نحيلاً متحكّماً
ترتدي سروالاً بالياً.
وبنبرة رجالِ الأعمالِ، سألتْنا،
"كم غالوناً هناك؟"
وسجّلتِ العددَ الكلّي في دفترِها،
ثم عدنا، جميعاً، لقطفِ الثمر.

راكعين فوق الأثلامِ
رحنا نبحثُ بين الأوراقِ
بأيدٍ سريعةٍ ماهرةٍ،
نتلمّسُ الفريزَ بحذَرٍ
قبل أن نقطفَهُ
بالإصبع ولإبهام.

لمّ الشمل

في الشّارعِ، أسمعُ
بابَ سيّارةٍ يُغلق، وأصواتاً قريبةً تتناهى.
شذراتُ أحاديث، غير متّسقة،
وأحذيةُ الكعبِ العالي تطقطقُ فوق الرّصيف.
جرسُ البابِ يمزّقُ حرارةَ الظّهيرةِ
بمخالب من نحاسٍ؛
دقيقةُ صمتٍ.
الطبولُ الجافّةُ لنبضي تدقُّ
إزاء صمتٍ يزدادُ نحولاً.
البابُ يُفتَحُ، الآنَ، من الداخل.
آهٍ، أسمعُ جلبةَ النّاسِ المجتمعين -
ضحكٌ وصرخاتٌ تتبادلُ التحيةَ:

بدينةٌ دائماً، وأنفاسها متقطّعة،
ثمة صفعةٌ دهنيةٌ على كلّ خدّ
من عمّتي إليزابيث.
وهناك الصّرير الورديّ المفتون
لابنة خالتي، "جين"، العانس،

بعينيها الغائرتين،
ويديها اللّتين كمثلِ فراشتين مذعورتين.
جافةً كنثارة خشبٍ،
تلعلعُ، عبر تلك الأصوات،
النبرةُ الذكوريةُ لعمّي "بول".
ابنُ عمّي الأصغر يدورُ
باكياً، شاكياً، عند خطّ الاستقبال.

ومثل غطّاسٍ من فوق هضبةٍ عاليةٍ،
أقفُ على درابزين الدّرج.
العاصفةُ تلفحُ وجهي،
تمتصُّني كالإسفنجِ؛
أخلعُ هويتي
وأبدأُ قفزتي القاتلةَ.

المؤلّفة

طوال النّهارِ تلعبُ الشّطرنج بعظام العالم.
هي المفضّلةُ (بينما الأمطار تهطل بغتةً
خلف زجاج النافذة) تستلقي، متكوّرةً،
على الأريكةِ، تقضمُ سكاكرَ الإثم.

أنيقةً، أنثويةً، بنهدين ورديين، تربّي خيالاتٍ
من الشوكولا، في حجراتٍ مكسوّةٍ بورقٍ مزهرٍ،
حيث أولادٌ سكارى يتهامسون بلعناتٍ بذيئةٍ،
وزهورُ المنبتِ الزّجاجي ترمي براعمَ أزليةً.

العقيقُ على أصابعِها يبرقُ سريعاً
والدّمُ ينعكسُ على المخطوطةِ.
تتأمّلُ الأريجَ الحلوَ، والمريضَ،
لزهورِ الغاردينيا الذّابلة، داخل السّرداب،

وقد ضاعَ في استعارةٍ صافيةٍ،
يتراجعُ عن وجوهِ الأطفالِ الرّماديةِ في الشّوارع.

ابريل 18

وحلُ جميعِ أيامي الماضية
يتعفّنُ في تجويفِ جمجمتي

وإذا تقلّصتْ معدتي
بسببِ ظاهرةٍ ما
كمثلِ الحمْل أو الإمساك

فإنّني لن أتذكركَ
أو ربّما بسببِ النّوم،
غير المنتظم، كقمرِ الجبنةِ الخضراء
أو بسببِ الطّعامِ
المغذّي كأوراقِ البنفسجِ،
أو بسببِ كلّ هذه مجتمعةً
وعلى بعد بضعةِ أمتارٍ قاتلةٍ من العشبِ
في بضعةِ فضاءاتٍ من السّماء وقممِ الشجرِ

مستقبلٌ بأكمله ضاعَ البارحةَ
بسهولةٍ، وبشكلٍ لا رجعةَ عنه،
مثل كرةِ التنسِ عند الشَفق.

أفواهٌ ذهبيةٌ تصرخُ

الأفواهُ الذّهبيةُ تصرخُ مع اليقين،
الأخضرِ اليانعِ لصبيّ البرونز،
متذكّراً ألفاً من فصولِ الخريف
وكيف تطايرتِ الأوراقُ فوق كتفيهِ
مقتنعةً بعقلِهِ البرونزيّ، البطوليّ.
نهملُ المصيرَ القادمَ للذهبيّ،
سعداء في هذا الفصلِ المعدنيّ البراق.
حتى الموتى يضحكون بين وشائعِ الذّهب.

صبيُّ البرونز يقفُ غائراً في السنين
لا يعرفُ الحزنَ،
متذكراً ألفاً من فصولِ الخريفِ،
مع شمسٍ تمكثُ ألفَ عامٍ على شفتيه،
وعينان عمياوان من الأوراقِ.

ترنيمةٌ جنائزيةٌ لمهرّج

دائماً في منتصفِ القبلةِ
يحضرُ الدافعُ المزعجُ للسعالِ،
دائماً قريباً من المذبحِ، في أثناءِ القدّاس،
يطلّ الشيطانُ محرّضاً إياكَ على الضّحكِ.

خلفَ المناسبة السّاخرةِ لحزنكَ
تكمنُ الغريزةُ المزيّفةُ للممثّلِ الفاشلِ.
لم تبدّلْ أبداً معتقدكَ الهزليّ
بأنّ الحياة مجرّدُ كذبةٍ كبرى.

من الحادثِ السّخيفِ للولادةِ
إلى النكتةِ الأخيرةِ السّمجةِ للموتِ،
محنتُكَ من الغبطةِ المقدّسةِ
تنشرُ عدوى سعيدةً مع كلّ زفرةٍ ذكيةٍ.

الآنَ، ينبغي أن تلعبَ لعبةَ الرّجلِ الصّريح
وتتحمّل مزاحَ الدّود.

إلى إيفا التي تهبط الدرج

السّاعاتُ تصرخُ: السكينةُ وهمٌ، يا عزيزتي؛
الدواليبُ تدور، والكونُ يستمرٌّ في الركضِ،
(فخورة لأنكِ تتوقّفين أعلى الدَرج الحلزوني)

النجومُ تتحوّلُ إلى خائنٍ في الهواء،
والكواكبُ تخطّطُ، بدهاءٍ، لغزيٍّ ماكرٍ.
السّاعاتُ تصرخُ: السّكينةُ وهمٌ يا عزيزتي.

حمراء، الوردةُ المضمومةُ تغنّي في شَعرك؛
الدمُ ينبجسُ أزلياً إذا كان القلبُ يحترقُ.
(فخورة لأنكِ تتوقّفين أعلى الدرج)

النجومُ الغامضةُ تعتلي الغلافَ الخارجي،
في المنظومةِ الشمسيةِ، والشموسُ المائلةُ تدورُ،
السّاعاتُ تصرخُ: السكينةُ وهمٌ، يا عزيزتي.

عالياً تعلنُ طيورُ العندليبِ الأزليةُ:
الحبّ يلتهبُ إلى الأبد إذا كان الجسدُ متشوّقاً.
(فخورة لأنكِ تتوقّفين أعلى الدَرج الحلزوني.)

قرصُ الأفلاك الدائرُ يجبرُ السّنةَ.
الجمالُ لن يعرفَ كيف يتعلّم.
الساعاتُ تصرخُ: السكينةُ وهمٌ، يا عزيزتي.
(فخورةٌ لأنّكِ تتوقفين أعلى الدَرَجِ الحلزوني).

سندريلا

الأميرُ يميلُ نحو الفتاةِ ذاتِ الحذاءِ الورديّ،
عيناها الخضراوان مائلتان، والشعرُ يتوهّجُ
في مروحةٍ من الفضّةِ، بينما الموسيقا تبطئُ؛
الآن الرقصاتُ تبدأ على وقعِ آلاتِ الكمانِ المائلةِ،
تتردّدُ في قاعةِ القصرِ البلّوري الطّويلة،
حيث الضيوفُ يتهادون نحو الضّوء كالنّبيذِ،
شموعٌ ورديةٌ تتراقصُ فوق الجدارِ اللّيلكي
وتعكسُ آلافَ الأباريقِ المضيئةِ،

والعشّاقُ المذهّبون، جميعاً، في خَدَرٍ متقلّبٍ،
يتعلّمون هرجَ العطلةِ التي بدأتْ منذ وقتٍ طويلٍ،
وحين دقّتِ السّاعةُ الثانيةَ عشرةَ ليلاً توقّفتِ
الفتاةُ الغريبةُ، يعذّبُها شعورٌ بالإثم،
ثم تتمسّكُ بالأميرِ، شاحبةَ الوجه،

حين، وسط الضجّةِ والموسيقا المجنونة، والأحاديثِ
الخليطةِ، سمعتْ دقّاتِ السّاعةِ الحارقة.

هجران

أفكاري مكفهرةٌ ومشوّشةٌ،
دموعي كالخلّ،
أو كالاصفرارِ الرّامشِ المرِّ
لنجمةٍ لاذعةٍ.

اللّيلة، الريحُ الكاويةُ، والحبُّ،
والثرثرةُ، عاجلاً أم آجلاً،
وأنا أرتدي التجاعيدَ المائلةَ
لقمرٍ ليمونيّ حامض.

كمثلِ خوخٍ صيفيٍّ مبكّرٍ،
سقيمٍ، أخضر وحامضٍ،
يتدلّى فوق عودهِ الذّابلِ
قلبي، الحزينُ، غير النّاضج.

سونيت: إلى إيفا

حسناً، دعنا نقلْ إنّكَ تستطيعُ أن تأخذَ جمجمةً وتهشّمها،
بالطريقة نفسها التي تهشّمُ فيها ساعةُ الحائط، وتسحقُ
العظمَ، بين الرّاحاتِ الفولاذيةِ للحلم، هيا، خذْها،
وأنت تراقبُ حطامَ المعدنِ، والحجرَ النادرَ.

تلك الجمجمةُ كانت امرأةً. حكاياتُ حبّها
وأحابيلها، مفضوحةٌ في هندسةٍ صامتةٍ،
قوامها أقراصٌ ومسنّناتٌ محطّمةٌ، وهفواتٌ آليةٌ فطريةٌ،
وتلك الانحرافاتُ العبثيةُ لمفرداتٍ لم ينطقْ بها أحدٌ.

لا إنسانٌ، ولا نصفُ إلهٍ، قادرٌ على أن يلملمَ
فُتات هلوسةٍ صدئةٍ، ودوائر نحاسيةٍ، وعجلاتِ الطّقسِ،
عطرٌ، وسياسةٌ، ومثلٌ ثابتةٌ.

العصفورُ الأبلهُ يقفزُ نحو الأعلى،
ويميلُ بجناحه، ثملاً، منشداً للسّاعةِ ألحاناً مجنونةً.

لحيةٌ زرقاء

أعيدُ المفتاحَ الذي سمحَ لي بالدّخول
إلى مكتبِ صاحبِ اللّحية الزّرقاء،
ولأنه يريدُ أن يمارسَ الجنسَ معي،
فأنا أعيدُ المفتاحَ.
في الغرفةِ الدّاكنةِ لعينيهِ
أرى قلبي مكشوفاً بالأشعّة،
وجسدي المقطّع إرباً:
إني أعيدُ المفتاحَ
الذي قادني إلى مكتبِ صاحبِ اللّحيةِ الزّرقاء.

المقطوعةُ المائيةُ الحالمةُ

عميقاً في زرقةٍ سائلةٍ
فضّةٌ تركوازيةٌ
من الضّوءِ البراقِ

يرتجفُ في خطوطٍ نحيلةٍ
من رقائق الألمونيوم
فوق سوادٍ متحرّكٍ

سمكةٌ مفلطحةٌ شاحبةٌ
تسبحُ مرتعشةً
قرب فضّةٍ ناتئةٍ

في المياهِ الضّحلةِ،
رشيقاً يعبرُ السمكُ الصغيرُ
مشعشعاً كالذّهب،

وبلحُ البحرِ الأزرقُ العنبيُّ
يحرّكُ صماماتٍ
رشيقةً، وليّنةً،

مدوّراتٌ قمريةٌ ملساء
من السّمكِ الهلاميّ النّاعمِ
تبرقُ خضراءَ، وناصعةً

سمكُ الأنكليسُ يدورُ
في حركاتٍ لولبيةٍ
على زعانفِ ذيلٍ وهمية

وجمهرةُ السلطعونِ الماهرةُ
بلونِها الزّيتي الشّاسعِ تقفُ
على مخالب حادّة، ثم تغطسُ

نحو الأسفلِ حيث الصّوتُ
يأتي فصيحاً وشاحباً،
مثل جرسٍ قرصيٍّ يغرقُ.

ملاحظات إلى كاهن جديد

خذِ الغمغمةَ العامّةَ
الجلفةَ كمثلِ أمعاءٍ بلا وجهٍ،
لسمكةٍ صَدَفيةٍ مجهولةٍ،
شائعةٍ كخيلاء شخصٍ بطيء،
أو تمهيدٍ صغيرٍ
لسحليةٍ تحت سنامٍ كالبيت:

حوّلْ رخاوةَ
المفرداتِ الغامضةَ
بصرامةٍ بنيويةٍ،
وثبّتِ القناعَ العاديَّ الناضجَ
على الابتسامة البازلتيةِ للعظم.

ومن أجل مهمّةٍ شاقّة كهذه،
أوقدْ فرنَ المفارقةِ
في صرحٍ من الجليدِ،
ودعِ الحبَّ والمنطقَ يختلطان،
وتذكّرْ، إن كانت المغامرةُ مملّةَ

تضعُ كلَّ هذا في خطر داهمٍ:

إنه محرّكُ الطّاقة الشّمسية
الذي أعطى الأرضَ حوافّاً مصهورةً،
وأعطى حجرَ اللؤلؤِ الثمينِ
ثقلَ العالمِ والوقتِ،
في أقسى جوهرٍ يعرفُهُ الإنسانُ.

تحوّلاتُ القمر

أقمارٌ باردةٌ، تنسحبُ، رافضةً التناغمَ
مع الطّيارِ الذي يتحدّى كلّ أخطارِ السّماءِ
كي يغيرَ على المكانِ الذي يبدأ منه القدرُ،
يرمي القفّازَ الفضيّ لطائرتِه في مهبّ الفضاء،
مطالباً بتلبية مطالبه، لكن لا مبارزةَ تحدثُ:
الهواءُ الأخرسُ يزدادُ نحولاً، ورِقّةً فحسب.

السماءُ لن تنزلَ أقرب: مُطْلقةٌ،
تحافظُ على عزلتِها، مظلّةٌ ظليلةٌ،
دائماً على مسافةٍ واحدةٍ من
الرّجلِ الهابطِ، الذي لن يتوقّف أبداً،
عن طرحِ الأسئلةِ، مبدعاً في آماله،
يتحدّى القبّة الصّامتةَ.

لا انتهاكات، لكنّه يقدّمُ
إحداثياتِ الكارثةِ البطيئةِ: التفّاحةُ المنهوشةُ
تُنهي جنّةَ المساءِ الرّيفي:
الفهمُ يتحطّمُ عبر صدفةِ الجمجمةِ،

وكمثل طائرٍ في عشّه، يصنعُ جحيماً
للقبراتِ السّاذجة التي تتضورّ وتحزنُ.

أيّ أميرٍ سبقَ وفازَ بالكأسِ المشعّة،
إلا وتحوّلتْ مغرفةً للحليب؟
كأن كلّ سرٍّ نسعى إليه
ينتهي كذبةً شائعةً:
الحرفةُ التي تصنعُ، بالطّلاء والمسحوقِ،
كليوباترا من امرأةٍ فاسقةٍ.

لأنّ معظم الحقائقِ الدّامغةِ ليست سوى صروح
مسبوكةٍ بحبكةِ النّارِ والجليدِ
لإخفاءِ العناصرِ المتنافرةِ
كالجرابات الوسخةِ، والفتات
لخبزٍ عمرهُ يومٌ واحدٌ، وصحون ملطخة بالبيض؛
ربمّا مهارةٌ، كتلك، يمكنُ أن تهدّئ قليلاً من روعِنا.

مع ذلكَ، العفريتُ المنحرفُ، في الدّاخلِ، سوف ينقّبُ
تحت زخرفاتِ الثوبِ المحرّم،
يغويه الفضولُ،
وحين يصعقه الوهمُ، يتخمُ عيوننا

الناظرةَ إلى أصابع الأقدام الطينية،
التي تعكّر قداسةَ الصنَم.

الخيارُ بين الغموضِ العازلِ
لضوءِ القمرِ، أو الوجهِ المجدورِ
الذي نراهُ عبر التلسكوب الموسوس،
ينبغي دائماً أن نقوم به: البراءةُ قصّةٌ خرافيةٌ؛
الذكاءُ يشنقُ نفسَه بحبلٍ من صنعِ يديهِ.

في كلتا الحالتين، نحن نختارُ، فالسّاحرةُ الغاضبةُ
سوف تعاقبنا إذا أفصحنا عن أيِّ خيارٍ نرسو إليه:
بتناسقٍ مهلكٍ نتوازنُ فوق أعمدةٍ خطرةٍ تجمّدنا
داخل صليبٍ من التناقضِ، موزّعين
بين حقيقةِ الشكّ، والإيمانِ بالحلم.

حوارٌ على الطّريق

"لو أنّ شيئاً ما يحدثُ فقط!"
تنهّدتْ حواءُ، فتاةُ المصعدِ الحسناء،
وقالت لآدمَ، مصارعَ الثيران المتعجرفِ،
بينما كانا يصعدان الطّابقَ التّاسعَ والأربعين،
كالصّاروخِ، داخل علبةٍ عمودية، مربّعةٍ،
مسرعَين كنسرٍ غير معصومٍ عن الخطأ.

"أتمنى لو أنّ أعمامي وعمّاتي الأثرياء
يظلّلون المكانَ مثل فطْرٍ ليبراليٍ سامّ،
في هطْلٍ من عطورِ شانيل، وأثوابِ ديور،
شرائح رقيقة، ونبيذ معربد،
زمرة من الحمقى الأنثروبولوجيين،
كي يقفوا على رغباتي الباذخةِ".

مشدوداً إلى معطفِهِ العتيقِ،
آدم المزيّفُ، مصارعُ الثيران، صاحَ:
"ليتَ جميعَ الرّجالِ، أولئك، يموتون جوعاً،
وليت دولاري السّحريّ يفرّخُ

قطعاً نقديةً، لا حصرَ لها، إلى ما لانهاية:
نكتةٌ حارّةٌ، مبالغٌ بها!"

حواءُ قالتْ: "أتمنّى لو أنّ الثعابين السامّة
تسحرُ العشاقَ المواظبين،
كلٌّ منهم أنيقٌ مزمنٌ،
مدمنٌ على موهبةِ فالنتين
في تجديدِ النسلِ تحت الشّراشف:
حلقات أنيقة، أيروتيكية".

أضاف آدمُ، بذاكَ الورم السّاخرِ،
بإبهامِهِ المعاكسةِ، الدارجةِ:
"آه، للمخنثين الأحرار، الفاسقين،
للقوادين الذي يتجوّلون بسياراتِ الكاديلاك،
وفينوس الشبقة التي تأتي وهي ترقصُ،
وتقتربُ نحوي، خارجةً من صدفتِها النّاعمة".

مخترقَين حجابَ الجاذبيةِ
حواء، فتاةُ المصعدِ، الحسناءُ،
وآدمُ، مصارعُ الثيرانِ المتعجرفُ
عبرا الطابق التاسع والأربعين،

مقذوفين نحو لغز الفضاء،
عند أصلهِ النّوراني الغامضِ.

كلاهما شاهد مقياسَ الضّغطِ الجويّ يتقهقرُ،
بينما العالم يتقلّصُ حول مداره،
الآلاف ولدوا، ومن ثم سقطوا موتى،
عندما، من أعلى السموّ العفويّ،
(أسرع من قدرةِ الزوجين على الفهمِ)
بزغتْ رمشةُ المجرةِ البعيدةِ، القصيّةِ.

العاشقُ المهجورُ

باردة، فوق سريري الضيّق، أستلقي،
يغمرني الحزنُ،
أنظرُ عبر مربع نافذتي من السّواد:

مرسومةٌ في سماء منتصف اللّيل،
موزاييكٌ من النجوم،
تجدولُ السنوات السّاقطة،

بينما، من القمرِ، عينُ حبيبي
تصيبني بقشعريرةِ الموتِ،
عبر إشعاعِ إيمانِهِ المتجمّد.

مرةً جرحتُهُ
بشوكةٍ جدٍّ صغيرةٍ
ولم أتوقع أن بشرته ستحترق

أو أنّ الحرارة في الداخل ستكبرُ
حتّى ينهضَ
متوهّجاً كإلهٍ،

الآن، ليس ثمة مكان أذهبُ إليه،
كي أختبئَ منه:
القمرُ والشمسُ يعكسان هيئتَه.

في الصباح سيتكرّرُ
الشّيءُ نفسُهُ من جديدٍ:
النجوم تصفرُّ أمام الفجر الغاضب،

الدّيكُ الذّهبيُّ سيعيدُ لي
رجرجة الزّمنِ،
حتى تأتي الظهيرةُ في أوجها،

وعلى وهجِها سيرى حبيبي
كيف أنّني ما أزالُ
أتوقّدُ في جحيمي الذّهبيّةِ.

مكتبة
t.me/t_pdf

الحلم

"اللّيلة الماضية"، قال، "نمتُ جيداً،
لولا حلمان غريبان أتيا
قبل تبدّلِ الطّقس
حين نهضتُ وفتحتُ
الأباجورات كلّها كي أدعَ
الريحَ الدافئةَ تختلطُ
بالرّيش الرّطب في أرجاءِ بيتي.

"في الحمِ الأول رأيتُ نفسي، عبر الظلمةِ،
أقودُ عربةَ الموتى السوداء المكتظة بالنّاس
حين دهستُ ضوءاً، وعلى إثر ذلك،
امرأةٌ مجنونةٌ لحقت بنا واندفعتْ لإيقافِ
سيارتنا عبر مسارٍ معاكس،

"صارخةً، وكانت أتت إلى الجزيرة،
حيث توقّفنا، وبعد توجيه اللعنات،
طالبتني بأن أدفع غرامةً
لأنني تصرفتُ كمهاجمٍ أرعن،

ولأنني خرّبتُ، بالكامل، نبتةَ
الضّوء اللامرئية للكون.

"عندئذٍ، سمعتُ خلفي صوتاً،
ينصحُني بأن أمسكَ يدَها،
وأقبّلها على الفم لأنها
أحبّتني، وأنّ عناقاً جريئاً
سيجنّبني كلَّ أنواع العقاب.
أعرفُ، أعرفُ، قلتُ لصديقي

"مع ذلك انتظرتُ دفعَ الغرامة،
وأخذتُ استدعاءَ المرأةِ السّاطع،
(بينما كانت تغسلُ الطّريقَ بالدموع)
ومن ثم أقودُ سيارتي إليك فوق الرّيح ...
لم أخبركَ عن الكابوس
الذي زارني في الصّين".

سونيت: إلى الوقت

اليوم نتحرّكُ بالزمرّد ونتوقّف في العقيق،
وسط دقّات السّاعات، المرصّعة بالجواهرِ،
التي تشم سنواتنا. الموتُ يأتي في سيارة
فولاذية عابرة، مع ذلك نتبجّح، غارقين،
بالضّوء، ونلعنُ الظلامَ.

ولكن خارج الفولاذِ الشّيطاني
لهذه المدينة، ذات الشبابيك
البلاستيكية، برمتها، أسمعُ
الرّيح الوحيدة تعول في القبو،
صوتها ينوحُ في أذني.

ومثلها تبكي الفتاةُ الوثنيةُ،
التي تُركِتْ تجمعُ حبّاتِ الزّيتون،
قرب البحرِ المشمسِ الأزرق، وتنعي
الإبريقَ المرفوعَ لشربِ نخبِ آلافِ الملوك،
لأنّ الجميعَ يشيْعونَ الحزن، وينتحبون
من أجل التنين الأسطوري.

الوقتُ آلةٌ ضخمةٌ من قضبانِ الحديدِ،
تجفّفُ، أبداً، حليبَ النّجوم.

محاكمةُ رجل

بائع الحليب العاديّ جلبَ فجرَ
المصيرِ، وأحضرهُ إلى الباب،
داخل قوارير هرمسية مربّعة،
فيما الشّمسُ أصدرتْ مرسوماً
عن يومِ القيامةِ فوق أرضِ الغرفةِ.

جريدةُ الصّباح دقّتْ ساعةُ العنوانِ الرئيسي.
أنتَ احتسيتَ قهوتَكَ كإثمٍ أصلي،
وغضبُ الطّائرةِ السّوداء لزئيرِ الربّ،
نهضَ كي يسمحَ للشرطيّ بالدخول.

الاصفرارُ فوق النظرة الملائكية القوية،
محكومٌ عليكَ بأن تخدمَ الحدّ القانوني،
وتحترقُ حتّى الموت، داخل جهنّمكَ المضيئةِ.

الآنَ، فوق كرسي الأجدادِ الصارم، ملتزماً،
تجلسُ، بعينين رزينتين، على وشكِ أن تتقيّأ.
المستقبلُ صعقةٌ كهربائيةٌ داخل جمجمتكَ.

ترنيمة نيسان

اعبدْ هذا العالمَ المؤلّفَ من مزاجِ ألوانِ مائيةٍ
في معابدَ زجاجية معلّقة بوشاحِ الخضرة
حيث اللآلئُ ترنٌّ بالترانيمِ داخل الدّم،
والنسغُ يصعدُ سفحَ العروق.

سنونوٌ قدّيسٌ يردّدُ أغنياتِ غزليةً،
ويوقظُ الحالمين في الفجرِ النّاصعِ،
فيما زهورُ التوليب تنحني مثل كهنةٍ
أمام ذاك الصّرح البابوي، الشّمس.

تعمّدنا في الهطلِ الثّلجي للنجوم
حيث اليمام يعبرُ بأجنحةٍ قرمزيةٍ،
والنّرجسُ يزهرُ مثل استعاراتِ سليمان،
أنا وحبيبي نمضي متوّجَين بالعشب.

مرّةً أخرى، واهمين نحن، ونستنتجُ، على نحوٍ ما،
بأنّنا أصغر سنّاً مما كنّا عليه.

انهضْ واقبض على الفرخ الصغير

اذهبْ واقبضْ على الفرخِ الصغير
داخل قرط ذرةٍ ذهبيّ اللّون،
واقتلعِ السمّانَ المبهرجَ،
حيث يستلقون ببلادة،
احصدِ الحمامةَ الزرقاءَ المدوّرةَ
من حافّة السقفِ،
لكن دعِ النّسرَ، السّريعَ،
يحلّقُ ويطيرُ.

دعِ النسرَ السّريعَ يطيرُ
والسماواتُ تتصدّعُ بالرّعود،
اختبئْ، اختبئْ، في العشّ العميق
خشيةَ أن يصعقكَ البرقُ رماداً.

اذهبْ، وانصبْ شركاً للدبّ النّائمِ
في العرينِ المفروشِ بالأوراق،
وانصبْ فخّاً لفأرِ المسك
يأخذُ قيلولةً في الشّمس الحادة،

واخدعِ الخنزيرةَ الضَجِرةَ
وهي تمرّغُ أنفَها بالوحل،
لكن دعِ الوعلَ الراكض يهربُ.

دعِ الوعلَ الراكضَ يهربُ
فيما الثلجُ يهبّ من الخلف،
اختبئْ، اختبئْ، في الكهفِ الآمنِ،
خشيةَ أن يصيبكَ الزمهريرُ بالعمى.

اذهبْ واقطفِ السحالي الأرجوانية، من أصدافها الكسولة،
وارمِ طعماً للسمكةِ النّعسانةِ، عند حافّة الجدول،
اجمعْ مرجاناً حرّاً من المياهِ الضّحلةِ الخضراء،
ودعْ سمكَ الأسقمريّ الزئبقيّ يسبحُ.

دعْ سمكَ الأسقمريّ الزئبقيّ يسبحُ
حيث الموجةُ السّوداءُ تتكسّرُ،
اختبئْ، اختبئْ، في الميناءِ الدافئِ،
دعِ الماءَ يسحبُكَ إليه، وتغرقْ.

ثلاثيّة أغاني الحبّ

(1)

أخطاءٌ كبرى في الغرانيت
تدلّ على نقصٍ قاتلٍ،
مع ذلكَ، الكوكبُ المفردُ
يوجّه فلكَ الأبراجِ.

جدولٌ بيانيٌّ من الجبالِ
يرسمُ خريطةً للحمّى
مع ذلك، النوافيرُ الفلكيةُ
تغادرُ قلبي.

إيقاعُ محيطٍ صارمٍ،
يهتزُّ كالبندولِ في الدّم،
مع ذلك، الحركةُ الشّمسيةُ المنتظمةُ،
تنبجسُ من الدّماءِ الخاصّة.

مسرحيةُ كلّ فصلٍ سنويّ
تحيكُ مصيراً من الأعلى،
السببُ الملائكيُّ بكلّيته
ينتقلُ إلى حبّنا الثانوي.

(2)

حبّي لكَ أكثر حيويةً
من الفعلِ المضارعِ،
رشيقٌ مثل نجمة
تمتّصها خيامُ الشّمس.

حبالُ سيركٍ مشدودةٌ
من كلّ مقطعٍ لفظيّ،
الأشخاصُ الوقحون يتهشّمون،
إذا سقَطَ الحرفُ أرضاً.

بهلوانُ الفضاءِ،
الصفةُ الجريئةُ،
تهوي بوصفها عبارةً
تصفُ أقواسَ الحبّ.

سلسٌ كاسمٍ،
يقذفُ كالمنجنيق
أحجاراً في الهواء،
نشوةٌ فلكيةٌ
يمكن أن تكون ذروةَ حياتِهِ،

لكنّ الدمجَ الحاذقَ،
بفصاحةٍ، سوف
يرتبطُ بفعلِهِ الغنائيّ
كهدفٍ مرحليّ.

(3)

إذا قطّعْت طيراً إرْباً
كي ترسمَ اللّسانَ،
سوف تقطعُ الوترَ
الذي يصدحُ بالأغنية.

إذا سلخْتَ جلد حيوانٍ ما
كي تتأمّل عموده الفقري،
سوف تهشّمُ بقيةَ الأجزاء
التي منها يبزغُ الفرو.

إذا هاجمْتَ سمكةً
كي تحلّل الزعنفةَ،
يداكَ ستحطّمان
العظمَ المولّدَ.

إذا اقتلعتَ قلبي
كي تعرفَ كيف ينبضُ،
سوف توقفُ السّاعةَ
التي يحيا على وقعِها حبّنا.

نواح

لسعةُ النّحلةِ أودتْ بأبي، ورمتْهُ بعيداً،
ومشى في كفنٍ متموّجٍ من الأجنحة،
وأهملَ إيقاعَ الطّقسِ السّاقطِ.

البرقُ يلعقُ رغوةً صفراءَ لكنّه
لم يُصبْ العلامةَ بأنياب الأفاعي:
لسعةُ النحلة أودتْ بأبي بعيداً.

هازماً البحرَ كمستحمٍّ متوحّشٍ،
يركبُ الفيضانَ في شموخِ الأشواكِ،
ويهملُ إيقاعَ الطقسِ السّاقطِ.

آهٍ، انهبِ الرياحَ الأربعَ، واعثرْ
على الرّجلِ الذي يستطيعُ
أن يجفّف ابتسامةَ الملوك:
لسعةُ النّحلةِ أودتْ بأبي بعيداً،
هو الذي أهملَ إيقاعَ الطّقسِ السّاقط.

يوم القيامة

العصفورُ الأبلهُ يقفزُ، ويستلقي، ثملاً،
على السّاعةِ الكونيةِ المحطّمة:
السّاعةُ تنعقُ بأرقامٍ مجنونةٍ.

مراحلُنا المطليةُ تتهاوى مشاهدَ مبعثرةً
بينما جميع الممثلين يتوقّفون بسببِ صدمةٍ قاتلةٍ،
العصفورُ الأبلهُ يقفزُ، ويستلقي ثملاً.

الشوارعُ تطقطقُ، مشكّلةً سواقي عشوائيةً،
فيما المدينةُ المصعوقةُ بالقدرِ، تتهاوى، حجراً، حجراً.
السّاعةُ تنعقُ بأرقامٍ مجنونةٍ.

زجاجٌ مهشّمٌ يتطايرُ، نتفاً؛
أيقوناتُنا المحظوظةُ وضعت في قفصٍ:
العصفورُ الأبله يقفزُ، ويستلقي ثملاً.

مفتاحُ البراغي في يدِ الله دمّر كلّ الآلات،
لم نتوقّع أبداً أن نسمعَ الديكَ المقدّس:
الساعةُ تنعقُ بأرقامٍ مجنونةٍ.

فات الأوانُ لتسألَ إن كانت الغايةُ تبرّرُ الوسيلةَ،
فات الأوانُ لكي تحصي الأكوامَ المتزايدةَ:
العصفورُ الأبلهُ يقفزُ، ويستلقي ثملاً،
والساعةُ تنعقُ بأرقامٍ مجنونةٍ.

أغنيةُ قمرٍ في الصّباح

آهِ يا قمرَ الأوهامِ،
تسحرُ البشرَ
برؤيا مبهرجة
حتى الشريان،

الديكةُ تصيحُ على ندًّ
يسخرُ من وجهكَ
ويحجبُ ذاكَ البدرَ
الذي أغوانا

بالتخلّي عن عقلِنا
ونأتي إلى هذا
الأفقِ الأسطوريّ
من الغرورِ.

الفجرُ سوف يمزّقُ
وشاحكَ الفضيَّ
الذي جعلَ العاشقَ
يظنُّ العاشقَ جميلاً،

ضوءُ المنطقِ سوف
يكشفُ لنا
أنّ سحرَ القمرِ
ليس سوى البؤس

لا تنكّراتِ حلوة
تتحمّلُ تلك الحديقةُ
التي يكشفُ صراحتَها
فلكُ الحبّ الشّاحب.

في حدائقِ الرّجسِ
يستيقظُ النائمون
ما إن يدير السّجّانُ
الذّهبيُّ مخلعةَ الباب،

كلُّ جسدٍ مقدّسٍ،
استسلمَ ليلاً،
صار مكبّلاً بالدراسةِ
تحت عينِ المجهر:

الحقائقُ أجهزتْ
على شكلِ الملاكِ

والحقيقةُ الصّارمةُ
فتلتِ الطَرف النّوراني.

تأمّلْ برعبٍ
الشّمسَ الكاويةَ:
اغطسْ في مرآتكَ،
واغرقْ هناك.

قبةُ المنافي

الآنَ، نحنُ العائدون من القبابِ المقنطرةِ
لنومِنا العظيمِ، نصلُ بيوتَنا لنجدَ
مدينةً شاهقةً من سراديب الموتى
مشادةً بين تلافيف عقولنا.

المسالكُ الخضرُ، حيث كنّا نحتفلُ،
أصبحتِ المأوى الجهنميَّ للمخاطرِ الشّيطانية،
أغنيةُ الملاكِ المجنّحِ، وآلاتُ الكمانِ، كلُّها خرساء.
وكلُّ ساعةٍ تدقُّ، تمهرُ موتَ الغرباء.

سافرنا إلى الوراء كي نسترجعَ النّهارَ
قبل أن نسقطَ، مثل إيكاروس، صرعى.
وكل ما وجدناه مذبحاً إثر آخر، في الحطامِ،
وكلماتٌ نابيةٌ مطليةٌ بالسّواد تحجبُ الشّمسَ.

مع ذلك، نحاولُ، عنيدين، كسرَ الجوزةِ
حيث يقبعُ لغزُ وجودنا.

المحرومون

الرّهنُ العقاريُّ الضّخمُ ينبغي دفعَه بأية طريقةٍ،
وبالتالي إذا كان بوسعكَ أن تحلمَ بخطّةِ توفيرٍ،
أخبرني، سريعاً، يا عزيزي، أخبرني الآنَ.

مرضٌ غريبٌ أصاب بقرتنَا المقدّسةَ،
لا حليبَ، لا عسلَ، يملأ الصفيحةَ الفارغة؛
القرضُ الضخم ينبغي دفعه بأية طريقة.

إذا كنتَ تملكُ خطّةً لوقفِ التدفّقِ القاتلِ
لقبيلةِ سوسةِ الفواكهِ وقوافلِ الجرادِ
فأخبرني، سريعاً، يا عزيزي، أخبرني، الآنَ.

صاحبُ القرضِ يتقدّم بانحناءةٍ
كي يضع القفلَ والزرعَ والضرعَ، تحت الحجزِ؛
الرهنُ الضخم ينبغي دفعه بأية طريقة.

إذا كنتَ تستطيعُ أن تفكّر بوسيلةٍ لتصحيحِ القَسَم
الذي حنثنا به، في اللّحظة التي بدأ فيها العالمُ،
أخبرْني، سريعاً، يا عزيزي، أخبرْني، الآنَ.

بعثرْنا كلَّ ما كان يسمحُ به المصرفيُّ،
وضلّلنا كلَّ تعويذةٍ حيويةٍ؛
الرهنُ الضّخم، ينبغي دفعه، بأية طريقة:
أخبرني سريعاً، ، يا عزيزي، أخبرني، الآنَ.

نصائح

أوه! لا تحاولْ، أبداً، أن تدقّ على خشبٍ مسوّسٍ،
أو تلعبَ لعبةَ ورقٍ أخرى إذا كنتَ قد فزْتَ؛
ولا تحاولْ، أبداً، أن تعرفَ أكثر مما ينبغي.

التفّاحُ الذّهبيُّ السّاحرُ كلّه يبدو جيداً
رغم أنّ السّاحرةَ الشريرةَ سمّمتْ واحدةً.
أوه، لا تحاولْ، أبداً، أن تدقّ على خشبٍ مسوّسٍ.

من هنا، يبدو القمرُ سلساً كطعام الملائكة،
ومن هنا، لا تستطيعُ أن تشاهدَ النمَشَ على وجه الشّمس،
ولا تحاولْ، أبداً، أن تعرفَ أكثر مما ينبغي.

الكوبرا الرشيقةُ المتعرّجةُ ترتدي قلنسوةً،
وتتمخترُ مثل جنتلمان محترمٍ،
آه، لا تحاول أبداً أن تدقّ على خشبٍ مسوّس.

وإذ تتظاهرُ الملائكةُ بموقفٍ يقظٍ،
فإنّ التنكّرُ يخدعُ، والاساءةُ القاتلةُ تنتهي.
لا تحاولْ أبداً أن تعرفَ أكثر مما ينبغي.

الأسرارُ القاتلةُ تنقضُّ علينا حين نفهمها،
ونجومُ الحظِّ تختفي جميعا "في أثناءِ الهروب:
لا تحاول أبداً أن تدقّ على خشبٍ مسوّس،
لا تحاول أبداً أن تعرف أكثر مما ينبغي.

لا تحاول أبداً أن تخدعني بقبلة

لا تحاول أبداً أن تخدعَني بقبلةٍ
متظاهراً أنّ العصافير هنا لتبقى،
الرّجلُ المحتضر سوف يتهكّمُ من هذا.

الحجرُ قد يتنكّرُ حيث لا قلبَ هناك
والعذارى قد ينهضن حيث ترقدُ فينوس:
لا تحاولْ أبداً أن تخدعني بقبلة.

طبيبُنا النبيلُ يدّعي أن الألم ألمه،
المرضى يتركونه يقولُ ما يشاءُ،
الرّجل المحتضر سوف يتهكّمُ من هذا.

العازبُ الشّغوفُ يخشى الشّللَ،
العانس العجوز تبكي طوالَ النّهارِ،
لا تحاولْ أبداً أن تخدعَني بقبلة.

الثعابينُ الرشيقةُ الخالدةُ تعدُ بالبركات
للأطفالِ الفانينِ الذين يصبون للفرح.
الرّجلُ المحتضرُ سوف يتهكّمُ من هذا.

عاجلاً أم آجلاً، سوف يحدثُ شيءٌ ما
العصافيرُ المغرّدة تحزمُ أجنحتها وتطيرُ بعيداً.
لذا، لا تحاولْ أبداً أن تخدعني بقبلة.
الرّجلُ المحتضرُ سوف يسخرُ من هذا.

الموتى

دائرين في موجاتٍ بيضاويةٍ من السّرعة الشّمسيةِ،
مغلّفين في أوشحةٍ من طينٍ، ومعاطف مقدسة،
الموتى يقطرون حبّاً، ويتجنّبون الحربَ.
ينامون في رحمِ الكونِ الشاسع، المتأهّبِ.

ليسوا قياصرةً روحانيين هؤلاء الموتى،
لا يريدون مملكةَ الآباءِ بأن تأتي،
وحين، أخيراً، يتعثّرون بأسرّتهم،
ويحطّمهم العالمُ، لا يريدون سوى النسيان.

دائرين داخل نولٍ ربّاني، في المهدِ العميقِ،
هذه العيدان من العظام لن تستيقظَ بكماء،
على فجرٍ تهزّهُ الأبواقُ، ونهار مقوّض بالرّعود،
يتبخترون، أبداً، في نومٍ هائلٍ،
لن تستطيعَ ملائكةُ الله المصدومةُ أن توقظَهم
من العدمِ، الفاضحِ، الأخيرِ، الذّائع الصيتِ.

رقصة الموت

في الأسفل، بين الجذور والصخور القاسية،
غاطساً تحت الحافّة العمياء للتراب،
ينزلُ الصندوقُ المزخرفُ بالعشب.

مفروشاً بشراشف الجليدِ، الهيكلُ
العظميُّ المفتون ما يزال يحنُّ
للحمّى التي تأتيه من العالم، وراءَه.

اليدان تمتدّان صوب تُحَفٍ من
الأقمارِ النّافرةِ، البائدة والباردة،
متجمّدة في تصاميم من الحبّ.

في الثانية عشرة، تُحاطُ كلّ جمجمةٍ
بهالةٍ من الأشواك الحادّة للتذكّر،
صاعدةً الهرمَ الذي يتفكّكُ.

الإبرُ تخزُ كقرنِ الحصانِ المجنّح،
تهاجمُ كفنَ العذراءِ النّائمةِ،
حتى يحترقَ جسدُها العنيدُ.

يغويها اللّصوصُ في الدّم،
تنبعثُ سويقاتُ العظام،
مصمّمةً على هجْرِ الأحمق.

هاربين من ألواحِها، أزواجٌ
مجرّدون يغويهم قمرٌ من حليب،
فضّةٌ صافيةٌ تحجبُ فعلَ السّراب.

ساطعةً، مدينةُ الحجر
تتوقّعُ الصّوتَ المحذّرَ للديكِ
الذي يصيحُ كي يوقظ الفجر.

مع قبلة الجمرِ، تهبطُ الأشباحُ،
وتُحبَسُ، ضدّ إرادتهِا، تحت الأنقاض.

سيرك في دوائر ثلاث

فيِ خيمةِ سيركِ الإعصارِ
التي صمّمها إلهٌ ثملٌ،
قلبي الباذخُ ينفجرُ ثانيةً،
في هيئة مطرٍ بألوانِ الشامبانيا،
والشظايا تتطايرُ مثل رذاذ الطّقسِ،
إذْ الملائكةُ جميعُها تصفّقُ.

أنيقةً وشجاعةً كالموت،
أهاجمُ عريني؛
زهرةُ الخطرِ تتوهّجُ في شعري،
أزيّنُ سوطي بألقٍ قاتلٍ،
أدافعُ عن جراحي بكرسيّ،
فيما آلامُ الحبِّ تبدأُ.

أتهكّم كالشيطان، مفيستوفوليس،
يحجبهُ قناعُ السّاحرِ،
ماردُ قدري يميلُ في الأرجوحةِ،
أرانب مجنحةٌ تدورُ حول ركبتيه،
ثم تختفي بسهولةٍ شيطانيةٍ،
في دخانٍ يحرقُ عينيّ.

مقدّمةُ الرّبيع

أفقُ الشّتاءِ معلّقٌ على حبلٍ، الآنَ،
تجمِّدهُ نظرةُ الزّرقةِ من عينِ البشاعةِ؛
المتزلّجون يتجمّدون داخل شكلِ الحجرِ.

الهواءُ يتبدّلُ إلى زجاجٍ، والسّماءُ برمّتها
تصيرُ قاسيةً مثل إناءِ كريستالٍ مائلٍ.
الهضبةُ والوادي يتحجّران مدْماكاً، مدْماكاً.

كلُّ ورقةٍ سقطتْ، علقتْ في فخّ لعنةِ الفولاذ،
انكمشتْ، كخنشارٍ، داخل طقسِ الفلز،
حين هدأةُ النّحتِ تجعلُ البلادَ تقفُ ساكنةً.

أيُّ سحرٍ معاكسٍ يمكنُ أن يفكَّ خيوطَ الشِّرك
الذي أوقفَ الفصلَ داخلِ ممرّاتِهِ،
وأجّلَ كلَّ ما يمكنُ أن يحدثَ؟

البحيراتُ محبوسةٌ داخل خوذٍ من الكريستال،
نحتارُ ماذا يمكنُ أن يصبحَ عليه حالُ الجليد،
العصافيرُ الخضرُ المغرّدةُ تنفجرُ من كلِّ الصّخور.

أغنيةُ الحبّ الثوري

ارْمها جانباً، ارْمِها برمّتها في الرّيح:
دعْ، أولاً، الطحالبَ السّماوية تذهبُ،
وارمِ بعيداً، صفحةً بعد صفحةٍ، الكتبَ الجيّدةَ؛
واطردْ بيدكَ الملائكةَ الأنيقةَ، النّرجسيةَ.

هدّمْ ما بناهُ عصرُ الآباءِ،
أزحْ القلعةَ المحطّمةَ، جانباً،
واتبعْها بعجائبِ الدّنيا السّبع،
مع عجرفةٍ وأدواتِ المسرحِ القديم.

ضعْ حدّاً للروزنامة تالياً، وأرسلِ
الطّرودَ من دون بوصلةٍ أو ميزانٍ
لترسمَ قياسَ دولابِ الحظِّ؛
لا تتركْ شيئاً يدثّرنا.

شتتْ شملَ جامعي اللُقى، حرّرِ السّاعات،
حتّى يندفعَ الأطفالُ العنيدون صوبَ السّماء،
والعوانس الهرمات يطرْن على تنانير داخلية
مع عشبِ السّهولِ وأحجارِ البناء.

الآنَ، صناديق فارغةٌ للموتى المقنّعين
فوق الهواءِ المنسكبِ حتى يسمعَ الله
في جحيمِهِ المصعوقةِ بالشّمسِ
المعتوهين المغمغمين الذين صنَعهم.

ثم دحرجْ العالمَ العاريَ، مثل كرةٍ زرقاء وخضراء،
إلى المحرقة،
كي يحترقَ الصدأُ المتراكمُ
وليبدأْ، بعدئذٍ، من جديد.

سونيت إلى الشيطان

في الغرفةِ المظلمةِ لعينكَ، العقلُ القمريُّ
ينقلبُ كي يزوّرَ الخسوفَ:
ملائكةٌ ساطعون يغيبون فوق أرضِ المنطقِ،
تحت أباجوراتِ شَللِهم.

متحكّماً بالمذنّبِ، الشبيهِ بمفتاحِ البيرة، كالحبرِ
يندفعُ كي يسوّدَ العالمَ الأبيضَ، في الفيضان،
يقذفُ عفنَ الظهيرةِ المرتبطِ بالنسَقِ،
وتحيلُ صورةَ الإلهِ المشعَّ إلى ظلٍّ.

الأفعى الملتويةُ في الضّوءِ المعاكسِ
تهاجمُ العدساتِ الدقيقةَ للتكوينِ، كي
تطبعَ صورتكَ الملتهبة في علامةِ الولادة،
بأحرفٍ لا يستطيعُ أيّ مفتاحٍ أن يمحوها.

آهٍ، يا صانعَ نيغاتيف الكوكب الشّامخ،
احجبِ الشمسَ الحارقةَ حتّى تتوقفَ
الساعاتُ عن الدوران.

السّاحرُ يقولُ وداعاً لفعل "يبدو"

أنهيتُ صلتي بهذا الفندق الفخم المصنوعِ من الزّجاج
حيث الصفاتُ تلعبُ الكروكيت مع أسماء الفلامينغو.
لا شكّ لديّ أني سأغيّبُ نفسي، لبعضِ الوقتِ،
عن بلاغةِ تلك الملِكات المزخرفات ببذخِ اللّون.
مادّة أولى: تخلّصْ من الأيقوناتِ الملكيةِ
واعرضْ في المزاد كلّ فعلٍ، نادرٍ، أبيض كالأرنب؛
وارسلْ لي ملهمتي، "أليسْ"، محمّلةً بقصاصات
التشابيهِ من نباتِ الفطرِ، ورداءِ البرتقالِ.

عبارتي العفويةُ بدأتْ تصيرُ باليةً،
قبعةُ صانعِ القبّعات المجنونِ لم تعدْ
تتمخّضُ عن أية استعارة،
والهزارُ المهذارُ لم يعدْ يترجمُ أغانيه:
آنَ الأوانُ لكي تختفي مثلَ قطّةِ الجارِ،
وحيداً إلى تلك الجزيرةِ الحقيقةِ حيث
الملفوفُ هو الملفوفُ، والملوكُ هم الملوكُ.

رسمُ منتصفِ صيف

ابدأْ بتغطيسِ الفرشاةِ في الضّوءِ الصّافي.
ثمّ وقعَ سماءً من أزرقِ "دوفاي"
بأشرعةٍ مائلةٍ لمراكب محاطة بنوارس
بيضاء، ضمن دائرة مجنّحةٍ من الرّيش. هدّمْ

سيورات: رشّ خاصرتي ـ الزورقِ بالشّمس،
وضعْ ارتعاشاً من التركواز المتعرّج،
داخل موجةٍ تخفقُ. الآن، رشيقاً،
ضعْ طريقةَ عزفٍ على زعنفةِ سمكةٍ،

مقتلعة من كهوفٍ من جمرٍ متوهّج
حيث حوريةُ البحرِ تستلقي مطمئنةً
مع محارٍ أرجوانيّ مكسوٍّ بشعرٍ منسدلٍ،
طازجة من الألوانِ النّاضجة لماتيس:

علّقْ هذا النهارَ، المصمّمَ بأناقةٍ فائقةٍ،
مثل رسمٍ نادرٍ متحرّكٍ في عقلكَ.

فِي النظرِ إلى عينيْ ماردٍ عاشقٍ

هنا حدقتان اثنتان
قمراهُما من العتمةِ،
يحوّلان كلَّ من ينظرُ
إلى مشلولين:

كلُّ سيّدةٍ لطيفةٍ
تنظرُ إلى الدّاخلِ
تتقمّصُ جسدَ
الضفدعِ.

داخلَ هذه المرايا
ينعكسُ العالمُ:
السّهامُ المحترقةُ
للعاشقِ الولهان

ترتدُّ لتجرحَ
اليدَ التي رمتْها
وتسبّبُ التهاباً خطيراً
للجرحِ القرمزيّ.

أطاردُ صورتي
في المرآةِ الحارقةِ،
إذ أيةُ نارٍ يمكنُها
أن تحرقَ
وجهَ السّاحرةِ؟

هكذا أحدّقُ بذاكَ الفرِن
حيث الجمالُ يتفتّتُ
فأجدُ فينوسَ المتلألئة:
صورتُها تنعكسُ هناك.

عاصفةٌ وقحةٌ تضربُ الجمجمةَ

عاصفةٌ وقحةٌ تضربُ الجمجمةَ،
وتهاجمُ القلعةَ النائمةَ،
وتوقعُ الحارسَ أرضاً، على ركبتيهِ،
إشارةً عن عجزٍ، وطلباً للسّلم،
فيما تستمعُ، فاجرةً، بكلّ هذا،
فالرّيحُ توقظُ المدينةَ برمّتها.
الأعاصيرُ الحائرةُ تضربُ عظمَ
الهيكلِ العظميّ، المقدّسِ والصلبِ،
الرّياحُ القويّةُ، تثبتُ، لحظةً بعد لحظةٍ، كيف
ينشطرُ اللّحمُ، سريعاً، عن المفاصلِ المتجمّدة،
وصداعُ الإعصارِ يدكُّ
هياكلَ الأرثوذكسيّ.

تعويذةُ المطرِ
تُغرِقُ صلواتِ سفينةِ نوحٍ بالاحتقار،
تطردُ القسّ والعاهرةَ، معاً، من الباب،
خاليةً من موسى ومن الأعراف؛
لا كتابَ عتيق يبني السفينةَ،

لاستكشاف هذا الظلام الأخير.
فيضاناتُ النّهرِ تتجاوزُ الحدَّ
الذي يفصلُ الخيرَ عن الشرّ.
جدالاتُ الضّميرِ يُجنُّ جنونُها
غامرةً هدوءَ الجنّة:
كلّ الحقائق المطلقة التي تعطيها الملائكةُ
تتداعى في قانونِ النسبيةِ.

البرقُ يفصلُ كوكبَ الله
عن مدارهِ؛ لا القانون ولا الأنبياء،
تستطيعُ أن تثبتَ النيةَ الغائبةَ،
لخيانةِ المجرّة.
الآنَ، الأرضُ ترفضُ التواصلَ،
مع محطّة السماءِ الاستبداديةِ،
وتنتهكُ العُرفَ السّماويَ
بالانفصالِ عن النظام الشّمسي.
السّخريةُ المتلألئةُ تلهمُ
النيرانَ المستقلّةَ الثائرة
حتى يختفي صوتُ المنادي
في هرطقات المحرقة.

النهاية

البرقيةُ تقولُ إنكَ ذهبتَ بعيداً
وتركْتَ سيْركَنا المفلسَ وشأنَه؛
لا شيءَ آخر لديّ يمكن أن أقولَه.

المايسترو يعطي الطيورَ المغرّدةَ أجرَها،
ويشتري بطاقاتهِا للمنطقة الاستوائية؛
البرقيةُ تقولُ إنّكَ ذهبْتَ بعيداً.

الكلابُ الذّكيةُ، الغزيرةُ الصوفِ، استمتعتْ بنهارها،
إنها ترمي النردَ لعظمٍ وحيدٍ هو كلّ ما تبقّى.
لا شيءَ آخرَ لديّ يمكن أن أقولَه.

الأسدُ والنمورُ استحالتْ طيناً،
والعملاقُ، للأسف، يدوسُ على حجرٍ.
البرقيةُ تقولُ إنّك ذهبتَ بعيداً.

ذكاءُ ثعبانِ الكوبرا يذهبُ هباءً؛
أجّر سمومَه عبر الهاتفِ،
لا شيءَ آخر لديّ يمكن أن أقولَه.

الخيامُ الزرقُ تنهارُ جميعاً في الميناءِ؛
النشارةُ السّحريةُ تكتبُ: العنوانُ غيرُ معروفٍ.
البرقيةُ تقولُ إنّكَ ذهبتَ بعيداً.
لا شيءَ آخر لديّ يمكن أن أقولَه.

عاشقان ومشاط شواطئ

باردٌ ونهائيٌّ، الخيالُ
يغلقُ بيتَه الصيفيّ الشهيرَ،
والمناظرُ الزرقاءُ نُقلتْ، بعيداً، وعطلتُنا الجميلةُ
تتداعى في السّاعة الرّملية.

الأفكارُ التي وجَدَتْ متاهةً من شَعرِ الحوريةِ
تتدلّى من السّقوطِ الأخضر للمدّ،
ثم تبسطُ أجنحتَها كالخفافيش، وتختفي،
في سقفِ الجمجمةِ.

نحن لسنا كما يجب أن نكونَ، ما نحنُ عليه
ينتهكُ كلَّ استخلاصٍ
ما وراء فاصلٍ هنا والآن:
الحيتانُ البيضُ اختفتْ مع المحيطِ الأبيض.

وحده مشّاطُ الشّواطئ يجلسُ بين أكوام
قواقع متنوّعة من كلّ حدبٍ وصوبٍ،
باحثاً عن فينوس المهشّمة بوساطة عصاً
تحت خيمةٍ من النّوارسِ العالية.

لا تبدّلات بحرية تزيّنُ ساقَ العظمِ
التي تقهقهُ خلف ظهرِ الموجةِ،
ورغم أنّ العقل، كالمحارة، يجهدُ ويشقى،
فإنّ كلّ ما نملكه هو حبّةُ رمل.

الماءُ سوف يجري بفعلِ القانون، الشمسُ الحقيقيةُ
سوف تشرقُ وتغيبُ على استحياء،
لا إنسانَ صغير يعيشُ على القمرِ المكتمل،
وهذا هو ما هو، ما هو، ما هو.

شجرةُ صنوبرةٍ سوداء في ضوءٍ برتقالي

قلْ لي ماذا ترى فيها، تلك الشّجرة،
شجرةَ صنوبرٍ في لوحةٍ،
لطخةً سوداء قبالةَ ضوءٍ أرجوانيّ.

ازرعْ رقعةً من يقطينٍ أرجوانيٍّ
تفقّسُ في الثّانية عشرة
تسعةَ جرذانٍ سوداء، مع عربةِ أبنوسٍ،

أو امشِ في الأرجوانيّ، واصنعْ
شلالَ الشّيطانِ، من عينِ الإلهِ
الفاحمةِ، مع نثراتِ مفتاحٍ.

ضعْ نصفَ عذراءِ الأرجوانِ في الشّمس،
والنصف الآخر في الظلّ، حتى لا تتركَ
آثارُ الوشم على بشرتها أثراً للبرتقاليّ.

اقرأِ السحرَ الأسودَ أو الكتابَ المقدّس،
أو أغنيةَ حبّ بالأرجوانيّ والأسود،
حتى ينهزمَ الظلامُ بديكٍ أرجوانيٍّ،

ولكن الأكثر براغماتيةً، من كلّ هذا،
قلْ كمْ هو ماهرٌ هذا الرسّامُ،
كي يجعلَ الأرجوانيّ والأسودَ لونين غامضين.

محطّةٌ أخيرةٌ

عائدةً من قبابِ زرقٍ ساذجةٍ،
الحالمةُ تزجرُ شهوةَ اليقظةِ،
مذعورةً أمام صفٍّ من سراديبِ الموتى،
التي انبجستْ، ليلاً، كطاعونٍ من الفطر:
المصاطبُ، حيث اعتادت أن تقيمَ الاحتفالَ،
أضحتْ مسارحَ للدود، أو نصالاً حادّةً،
تنسجُ داخل الرّحمِ الأبيضِ للهيكلِ العظميّ
العَفَنَ بألوانِ النّبيذِ الباذخةِ.

الطّاولاتُ تدورُ حول هذه المتذوّقة الكئيبة،
النادلُ الشّيطانُ يدخلُ، من أجل أن يقدّمَ
في الاحتفالِ الشبقِ اللحمَ الأكثرَ حلاوةً؛
عروسُه يقدُّمها على طبقٍ ملتهبٍ:
مشلولةً بالمرثيات، تجلسُ هادئةً
تنتظرُ لطفَه كي ينشرَ هالةَ القداسة.

الحبُ اختلافُ المنظرِ

"زاويةُ النّظرِ تكشفُ ازدواجيتَها:
مساراتُ القطارِ تلتقي دائماً، ليس هنا،
بل في عينِ العقلِ المستحيلةِ، فحسب.
الآفاقُ تعصفُ انسحابَها إذ نحن نبحرُ،
فوق بحارٍ سفسطائيةٍ، للسيطرةِ على تلك
العلامةِ حيث الموجةُ تتظاهرُ بإغراقِ السّماء".

"حسناً إذاً، إذا كنّا نتّفقُ، ليس غريباً
أن يكون إلهُ أحدِهم شيطانَ أحدٍ آخر،
أو أنّ الموشور الشّمسي جمهرةٌ
من ألوان الرماديّ. الترقّبُ أمام
كثبانِ التردّدِ المتحرّكِ،
هو الخصمُ الأزليُّ لحياتنا".

إذاً، يمكننا أن نستمرّ بالهذيان، أنا وأنت،
إلى أن تنشدَ النجومُ ترنيمةً،
حول كلِّ مناصرٍ أو عدوٍ للنظام الكوني.
لا شيءَ يتبدّلُ، بالرّغمِ من حريقِ
مفرداتِنا الشّحيحةِ، باستثناء عقاربِ السّاعةِ
التي تتحرّكُ، بعنادٍ، من الثّانية عشرة إلى الواحدة.

نرفعُ جدالاتِنا مثل البطّ الواقفِ
لرميها، أرضاً، بالمنطقِ أو الحظّ
ونناقضُ أنفسَنا لمجرّدِ التسليةِ.
الخادمة تحملُ معاطفنا،
ونرتدي الرّيحَ الخامّ كالشّال،
الحبُّ مثل إلهِ الحقولِ والزهور،
يُصرُّ، دائماً، أن يهربَ زملاءَ اللّعب.

الآنَ، أنتَ، أيها المثقّفُ المتشيطنُ،
تريدني أن أبتلعَ الشّمسَ برمّتها،
كمثل محارةٍ عملاقةٍ، أسفلَ المحيط،
ببلعةٍ واحدة، وتقولُ علامةَ نيزكٍ،
تعبرُ في الظّلام، وتلهبُ المدينةَ النائمةَ.

إذاً، قبّلْني الآن: السكارى، فوق اللّجامِ والقباب،
داخل ردهاتٍ من سرابٍ، ينسون أسماءَهم،
يرقصون، حيث الشّموع تضيءُ في رؤوسِهم.
الأوراقُ ترحّبُ بالجميع، وسانتا كلوس يهربُ،
مع سكاكر متطايرة من أعلى المنطاد،
لاعباً ألعابَ التبذير المفضّلةِ لديه.

القمرُ ينحني كي ينظرَ نحو الأسفلِ؛ السمكةُ
المائلةُ في النهرِ النادرِ تغمزُ وتضحكُ؛ ونحنُ نغدقُ
البسملات، يميناً وشمالاً، ونصرخُ،

مرحباً، ومن ثم، مرحباً، من جديدٍ،
في الباحة الخرساء، حتى تبدأ القبورُ
المضاءةُ بالنجوم تجيبُ، منشدةً أغانيها.

قبّلني الآن: حتى ينحني أبونا الصارمُ
ويطلبُ إسدالَ الستارةِ على مشاهدِنا الألف،
الممثلون الشّجعانُ يسخرون منه،
يضاعفون رقصاتِهم الورديةَ، ويغنّون
سعداء، من جناحٍ إلى جناحٍ،
بينما أضواءُ الأقدامِ تبرقُ،
وأضواءُ المنازلِ تزداد خفوتاً.

"قلِ" قلْ، الآنَ، نستهزأُ، حيث يبدأ الأسودُ أو الأبيضُ،
ونفصلُ الناياتِ عن الكمنجات:
علمُ جبرِ المفاهيم المطلقةِ،
ينفجرُ خليطاً من الأشكال
التي تتنافرُ، بينما كلّ قردٍ جدليٍّ،
يلتحقُ بمناصري أعدائه.

المفارقة أنّ "المسرحية هي الشيء":
رغم أنّ المغنيةَ الرئيسيةَ تشمئزّ، والناقدُ يلدغُ،
هناك يحترقُ خيطُ الكلماتِ على طول الخطّ،
والفصل المصقول، ذاك المزجُ الموجزُ الشرسُ،

الذي يسمّيه الحالمون الحقيقيَّ، والواقعيون الوهمَ:
رؤيا حكيمةٌ مثل طيرانِ العصافير:

سهامٌ تجرحُ السّماءَ، بينما تدركُ
سرّ غبطتِها في أثناءِ انطلاقِها.
ذاتَ يومٍ، في أثناء طيرانِها، سوف يسقطُ أحدها،
وفي أثناء سقوطه، يموتُ، مقتفياً أثر جرحٍ، يشفى،
ثم يعودُ ويفتحُ، إذ يتداعى الجسدُ:
الفينيقُ على درّاجتِه لا يتوقّفُ أبداً.

إذاً، سوف نمشي حفاةً، فوق قشورِ الجوز،
لعوالم مجففّة، وندوسُ فوق أكثر من جحيمٍ،
وأكثر من سماءٍ، حتى تئنّ الأرواحُ، وتستسلمُ،
نشيّدُ سريرَنا، شاهقاً، مثل فاصولياء السّاحر،
نستلقي ونمارسُ الحبّ حتى يأتي المنجلُ الحادُّ
ويحصدُ أيامَنا، وأسابيعَنا المبرمجةَ.

إذاً، دعِ الخيمةَ الزّرقاءَ تهوي، والنجومَ تهطلُ كالمطر،
يصيبُنا الإلهُ أو الفراغُ بالهلعِ حتى نغرقَ،
في دموعِنا: اليومَ، نبدأُ
وندفعُ للزمّارِ مع كلّ زفرةٍ، مع ذلك، الحبّ لا يعرفُ
شيئاً عن الموت، أو يوم الحساب في العُلا،
الحاصل البسيط لجمعِ القلبِ مع القلب.

لاعبة السيرك

كلَّ ليلةٍ، هذه السيدةُ الشابّةُ الحاذقةُ،
تستلقي بين الشّراشفِ،
الممزقةِ كندفِ الثّلجِ،
حتى يأخذَ الحلمُ جسدَها
من الفراشِ إلى اختباراتٍ صارمة،
فوق حبلٍ بهلوانيّ، مشدودٍ.

ليلاً، تتوازنُ المرأةُ بذكاءِ القطّة
فوق سلكٍ مهلكٍ،
في قاعةٍ ضخمةٍ،
تتمرّنُ على رقصاتِها الرّهيفةِ،
على إيقاعِ الصّريرِ والزئيرِ،
التي تعبّرُ عن إرادةِ معلّمِها المايسترو.

مذهّبةً، تعبرُ بخفّةٍ،
فوق الهواءِ الخانقِ، ثم
تخطو، تتوقّفُ، تعلقُ،
في منتصفِ الفعلِ تماماً،

إذا تسقطُ كلُّ الأثقالِ،
وتستعدّ للتأرجحِ.

وتطبيقاً للدّرسِ، تتجنّبُ الفتاةُ
كلّ خطرٍ محدقٍ،
آتٍ من كلّ رقّاصٍ.
وبحركةٍ حاذقةٍ، ماهرةٍ،
تنالُ التصفيقَ،
بينما الرّسَنُ السّاطعُ يحزُّ كلَّ
طرفٍ شجاعٍ من أطرافِها.

وإذ تنتهي هذه الحركةُ الصّعبةُ
تتهادى شاكرةً، وبهدوءٍ تترجّلُ،
حتى تلامسَ الأرضَ الزّجاجَ،
وتعودَ سالمةً إلى بيتِها. ولكن،
إذ تستديرُ، وتنظرُ، بعينين مدرّبتين،
ترى مروّضَ النمورِ والبهلوانَ المبتسمَ،
يدحرجان كراتٍ سوداء باتجاهها.

شاحناتٌ طويلةٌ تدخلُ،
ضجيجُها رعدٌ كزئيرِ الأسودِ،

الكلُّ يصوّبُ، ويخطّطُ، كي
ينصبَ فخاً لهذه الملكةِ الرّشيقةِ،
ويمزّقُ، إلى ذرّاتٍ صغيرةٍ،
حيواتَها التسعَ الزلِقةَ جداً.

وإذ ترمقُ الخطّةَ، الثقلَ الأسودَ،
والكرةَ السّوداءَ، والشّاحنةَ السّوداءَ،
تقفزُ، بكلّ ما أوتيتُ من مهارةٍ،
من غياهبِ ذاك الحلمِ الخطيرِ،
وتجلسُ مستيقظةً في سريرها،
ويتوقّفُ منبّهُ السّاعةِ.

الآنَ، كعقوبةٍ على مهارتها،
ينبغي أن تمشي خائفةً، نهاراً،
يحيطُ بها الرّعبُ كقضبانِ الحديدِ،
لئلاّ، على حين غرّة، تلك المنصة الشفيفةُ
للسماء فوق رأسها، تسقطُ متداعيةً
فوق حطامِ حظّها.

صباحٌ في الحجرةِ الزّجاجيةِ للمشفى

الشّمسُ تخترقُ كأسَ عصيرِ العنبِ،
وتتوهّجُ خضراءَ، عبر الأوراقِ المائلةِ،
في هذا البيتِ السّريالي،
من الليلكيّ، والأرجوانيّ، والبامبو الصلد،
تعتني به زوجاتٌ في نقاهةٍ.
ظلالُ الحرارةِ تتأرجحُ، بلا ضجيجٍ،
في مربّعاتِ النّوافذِ السّاطعةِ،
وتظهرُ النسوةُ كأنّهن طافياتٍ
مثل سمكِ الأحلام، داخل
دوامةٍ سحريةٍ من حوضِ المياه:

الصباحُ: يومٌ آخرُ، والكلامُ يتهادى
رائقاً فوق عجلاتٍ هامسةٍ.
المعطفُ الأبيضُ العتيقُ،
ومشيةُ القطّةِ على رؤوسِ أصابعِها،
منذرةً بالشّرود: أقراصٌ بيضٌ
تتلوّنُ بالفيروزِ والأرجوانِ والنيليّ،
إبرٌ لم تعدْ تخزُ أكثرَ من الحبّ:

حجرةٌ حيث الزّمن يدقّ الإيقاعَ
على وقعِ الصعودِ التلقائي للزئبق
في أنابيب مرقّمة، حيثُ الأمراض
تستسلمُ أخيراً للشّمس والسيروم.

مثل طيورِ العشّاقِ المحصورةِ في أقفاصٍ
من الرّوتين المصهور من زجاجٍ صقيلٍ،
تنتظرُ النسوةُ، وهنّ يمزحْن، ويقلّبن
صفحاتِ الجرائد بضجرٍ أنيقٍ،
بانتظارِ أن يظهر رجلٌ أسودُ عجائبيٌّ
ويقتحمُ المشهدَ، ويجلبُ معجزةً ما،
وكاللصّ يسرقُ خيالاتهنّ:
في الظهيرة أزواجهنّ
المصابون بفقر الدّم
يأتونَ إلى زيارتهنّ.

الأميرةُ ومعشرُ الجنّ

(1)

من الخيالاتِ ينهضُ الدّرجُ الحلزونيُّ
الذي تتسلّقُه الأميرةُ المستيقظةُ،
كي تجدَ مصدرَ الضّوء النقيّ الذي حثّها

كي تغادرَ سريرَ الحمّى، وتصعدَ
سلّم الرؤيا باتجاه القمرِ
الذي تشفي زرقتُه المقدّسةُ يدَها الجريحةَ.

بإصبعٍ مضمّدة، حيث الدبوس الحادّ،
الذي طار من التطريز الرهيف،
ولدغها وفقاً لخطةِ السّاحرةِ،
تعبرُ من خرم الابرةِ اللعينةِ،
وتجرُّ خلفَها رداءَها البسيطَ،
عبر نجومٍ ساطعةٍ من درب التبانة.

رواقٌ من الملائكةِ يشيرون لها بالدّخولِ
إلى حيث الجميلة، اللانهائية، العتيقة،
وعرّابتها الأسطوريةُ التي تتكئُ،

تغزلُ خيطاً عنيداً من الصّوفِ،
عجزَ عنه جميعُ السَحَرة الخبثاء
لمنعِ الفتاةِ الشابّةِ من تحقيقِ حلمِ التّتويجِ.

المصباحُ القمريُّ دليلُها،
يقودُها نحو لهبٍ راجفٍ،
فتسمعُ الأميرةُ رعداً وصهيلَ

خيولٍ، في الأسفل، أتتْ لاختطافهِ،
الذي هو نهايةُ السلكِ
الملفوفِ حول رسغِها، الآنَ،
حتى تحرّرَ هذا الصبيُّ من ربقةِ حارسِهِ الجنيّ.

(2)
دليلُها حفيفٌ وطقطقةٌ،
والحبلُ الزئبقيُ، تهبطُ الفتاةُ،
الدرجَ المعتمَ، وتخلعُ رتاجَ القصرِ

وتنسلُّ لا مرئيةً أمام الحرَسِ، على المرجِ،
ثم تدورُ حول محرسِهم الفضيّ.
عبر العشبِ المتجمّد تتركُ علامةَ

الخيطِ، الذي يقودُها، إلى المسالكِ المهترئةِ،
التي حفرها عمّالُ المناجمِ بمحاذاةِ الجبلِ
بين الشعابِ الناتئةِ للصخورِ.

متحركةً فوق ذاك المنحنى، من الميلان السحيق،
الذي اختفى خلفه القمرُ الهابطُ،
تتذكّرُ قصصاً غريبةً، قرأتها ممرضتُها

عن غارة الجنّ، على كوخِ عاملِ المنجمِ،
لأنّ الحفريات الجديدة اقتربتْ كثيراً
من الحجرات التي تجلسُ فيها ملكتُهم الشيطانيةُ.

حين سمعتْ صوتَ تصدّعٍ في البعيدِ،
تتمسّكُ، بقوّة، بالحبلِ السّحري بين يديها،
وتواجهُ ركاماً هائلاً من الحديدِ المصهورِ.

فجأةً سمعتْ أغنيةً نحاسيةً
ينشدُها الصبيُّ المحبوسُ في الدّاخل
لاعناً كلّ نسلِ الجنّ.

عصيةً في دائرة خيطِها تلك،
معقوداً كالإيمان حول قدمِها النازفةِ،
تحرّرُ الاميرةُ عاملَ المنجمِ، حجراً، حجراً،
وتعودُ به إلى البيت، حيث فارسها المنتظر.

(3)

الأميرةُ تلاطفُ الصبيّ المصعوقَ
عبر مطابخَ واضحةٍ في الشّمسِ المشرقةِ،
بحثاً عن الدَّرجِ في وضحِ النّهار.

يداً بيدٍ يصعدان خطَّ الزّوالِ،
ويجتازان الأعالي الشاهقةَ للحرارةِ
إلى أن سمعتْ تغريدَ الآلةِ

الذي يحيكُ بحصافةٍ قماشَ قدرِها،
خلفَ قرصِ الفلكِ، فوق بابِ العلّية،
مع تعويذةٍ من الأبجديةِ.

مشيرةً إلى الأزيزِ الملغزِ للمغزلِ
يقولُ لعاملِ المنجمِ كي ينحني
ويباركَ الإلهةَ العظيمةَ للهواءِ،

الجامدة في الأفقِ داخلَ وهجِ
كوكبِها.
ضاحكاً بصوتٍ عالٍ، الصبيُّ المندهشُ
يسألُ، لماذا ينبغي أن يركعَ أمام منظرٍ سخيفٍ،

حيث الحمامُ يتنزّهُ فوق القضبانِ
ويهدلُ بالأغاني، عن الجوهرِ الفاسدِ،
فوق كومةٍ من قشرِ التفّاحِ المكدّسِ.

لدى سماعِها كلماتِه، الأمُّ ـ العرّابةُ، الغضبى،
تتلاشى في متاهةٍ من القشّ،
بينما الشّمسُ تغزلُ خيوطَها فوق الرّخام.

أبداً لن تعيدَ القشّةُ الباذخةُ الكرّةَ
وتحيكُ الأسطورةَ المذهّبةَ للطفلِ
الذي يبكي أمام المنظرِ المهجورِ،
للسّاعةِ التي تجعلَ الدمَ الملكيَّ يجري بارداً.

الـمسْ واهربْ

غنّ المدائحَ للتماثيلِ:
لأنّ تلك المواقف الراسية،
والعيون الحجرية الجامدة،
التي تحدّقُ عبر حوافٍّ الطحالبِ
وسيقانِ العصافيرِ العابرةِ،
خلف علامةٍ ثابتةٍ
خلف الخضرةِ المتقطّعةِ،
عبر خببِ الضّوءِ وشذراتهِ،
في هذه الحديقةِ الغامضةِ،

حيث الأطفالُ الرّشيقون يرغلون،
مثل قممٍ ملوّنةٍ، عبر الزّمنِ،
ولا يتوقّفونَ لحظةً كي يفهموا
أنّ كلّ لعبِهم يُختَصر بعبارة "المسْ واهربْ":
ولكن اهربوا! يصرخون،
والأرجوحةُ تعلو حتى تلمسَ
أعلى الشّجرةِ الباسقةِ.

اهربوا! والفرحُ السّهلُ الحرُّ
يجعلُهم يرقصون معها، وحولها.

وأنا، مثل الأطفال، عالقةٌ
في الفعلِ الإيجابي الفاني،
أسمحُ لعينيّ الطارئتين
أن تذرفا دمعةً،
على كلّ لعبةٍ، حرّةٍ، طليقةٍ،
يلعبُها طفلٌ، أو ورقةٌ أو سحابةٌ،
بينما داخلَ الحيّزِ نفسِهِ، بلا حراكٍ،
هذه النظراتُ الحجريةُ الثابتةُ
تظلُّ محبوسةً داخل الصّخرةِ.

مكتبة
t.me/t_pdf

مزاجُ الوقت

ريحٌ مريضةٌ تئنّ،
والنجومُ الشرّيرةُ تعولُ
والتفّاحُ الذهبيُّ برمّتِهِ
أضحى فاسداً حتى اللبّ.

عصافيرُ الفألِ الأسودِ
ترغي على الغصنِ
مع فحيحِ الكارثةِ
تنفخُ أوراقَ العرّافةِ "سيبيل".

داخل ردهاتِ الحديقةِ،
هياكلُ عظميةٌ، طويلةٌ، تمشي،
وظلالُ اللّيلِ والأشواكِ
تسدُّ مسالكَ الدّربِ.

في المرجِ المخضوضرِ،
حيث سيعبرُ كيرلوف،
يربض الظلُّ ـ المنجلُ،
للأفعى بين الأعشابِ.

مقترباً من كوخِهِ،
عبر دربٍ معوجّةٍ،
يسمعُ الطرْقَ الصّاخبَ،
للذئبِ على الباب.

زوجتُهُ وأطفالُهُ
يتدلّون، مدروزين، بالطَلقات،
وثمة ساحرةٌ في المهدِ
وموتٌ في الأصيص.

نقشٌ على ضريحٍ من مقاطعَ ثلاثة

(1)

تتأرجحُ في اليمّ البعيدِ
جمهرةٌ من السّفنِ الحربيةِ،
كلٌّ تحمل برقيةً لي.

"حطّمي مرآتكِ واحذري المصائبَ"
تغرّدُ الأولى؛ "عيشي فوق جزيرةٍ صامتةٍ
حيث المياهُ تمحو خطانا".

والثانية تغنّي: "لا تستقبلي فارساً ولهانَ،
مستعدّاً للسّهرِ في الميناءِ حتّى الفجرِ
لأن قدَركِ يتضمّنُ مهاجماً قاتماً".

الثالثة تصيحُ بملءِ فمِها، حين غرقتْ جميعُ السفنِ،
ثمة أكثر من طريقةٍ ناجعةٍ للغَرَقِ".

(2)

في الهواءِ، فوق جزيرتي، يطيرُ
سربٌ من النّوارسِ التي تغطسُ
لتشنّ هجوماً دقيقاً على عينيّ

البحّارُ الجريءُ الرّازحُ تحت بلَلِ
وجوعِ المدّ، الذي يقضمُ اليابسةَ،
ويلتهمُ الحدائقَ الخضرَ، شبراً، شبراً.

الدمُ يجري، مدراراً، من اليدِ
التي ارتفعتْ لتدنّسَ الرّجلَ الغريقَ.
ثابتاً، نورسٌ وحيدٌ يجمدُ في الرّيحِ،

معلناً، بعد أن طارتْ طيورُ التّخمةِ:
"ثمة أكثر من طريقةٍ ناجعةٍ للغَرَقِ".

(3)

جنٌّ بهيئةِ زيزانِ الحصادِ، ذاتُ آذانٍ خضراء مدبّبة،
تنتصبُ على أرجلٍ دقيقةٍ، فوق درفةِ بابي،
وتهزأُ من مطرِ النّجومِ الممزّقةِ.

غرفتي صندوقٌ رماديٌّ غردٌ لها حائطٌ،
هنا، وهنا، وهنا، ثانيةً، ومن ثمّ،
نافذةٌ تبرهنُ، فقط، على هراءِ السّماء

التي تحجبُ بالمصادفةِ، حافّةَ صندوقٍ
ضخمٍ، رماديٍّ، حيث اختفى اللهُ،
وأخفى الملائكةَ النورانيين من الرّجال.

موجةُ عشبٍ تنحتُ وشماً على حجرٍ:
"ثمة أكثر من طريقةٍ ناجعةٍ للغَرَقِ".

ملاحظات عن قصائد
1963-1956

1956

في هذه السنة، بدأت سيلفيا بلاث تكتبُ قصائد أولى مجموعاتها المنشورة. في بداية العام كانت في إنكلترا، في جامعة كمبريدج، تدرس الأدب الإنكليزي، مستفيدة من منحة فولبرايت. في شباط، التقتْ زوجَ المستقبل، الشاعر تيد هيوز. في نيسان، قامت بجولة وحدها إلى روما، وباريس. في السادس عشر من حزيران، تزوجت، وأقامت حتى نهاية أيلول في إسبانيا، وبشكل رئيسٍ، في قرية بنيدورم، المشهورة بصيد الأسماك، وكانت، أي القرية، ما تزالُ بدائيةً، قبل أن تصبحَ قبلةً للسّياحِ، لاحقاً.

أمضتْ بقيّةَ شهرِ أيلول، برفقةِ زوجِها، في مقاطعة ويست يوركشير، في بريطانيا، ثم عادتْ إلى كمبريدج، خلال شهر تشرين الأوّل، لتقيم في ويتستيد، حتى شهر كانون الثاني، حيث انتقلت مع تيد هيوز إلى شقّةٍ صغيرةٍ في البلدة.

1-**حديث بين الأطلال**: عن لوحة للرسام جيرجيو دي تشيريكو، وقد كانت الشاعرة تحتفظ ببطاقة بريدية، عليها صورةُ اللوحة، معلّقة على باب غرفتها.

2-**أفقٌ"شتويٌّ" شتويٌّ مع الغربان** : في العشرين من شباط، من عام 1956، كتبتْ سيلفيا بلاث ملحوظةً تقول: "كتبتُ قصيدةً جيدةً، اسمُها (أفقٌ شتويٌّ مع الغربان). إنّها متحركةٌ، ورياضيةٌ، وموضوعُها الأفق النفسي".

5-حكاية حوض الاستحمام: في العشرين من شباط، عام 1956، كتبت الشاعرة تقول: "بدأتُ قصيدةً أخرى، كبرى، أكثر تجريديةً من سابقتها، اسمها (أفق شتوي)، كتبتها داخل حوضِ الاستحمامِ، وكنتُ حريصةً على ألا تكونَ عامّةً جداً".

34-عنكبوت: "أناسي" هو البطل المشهور في صيد العناكب، في الفلكلور الشعبي للبحر الكاريبي، وإفريقيا الغربية. مع نهاية هذه السّنة، صارتْ سيلفيا أكثر اهتماماً بالأدب الشعبي الإفريقي، ويمكنُ تتبعُ نتائج ذلك في جلّ أعمالها.

43-مقبرةُ تشرين الثاني: في هبتونستول، ويست يوركشير، حيث دُفنت الشاعرة.

1957

في هذا العام، أكملتْ سيلفيا بلاث درجةَ الماجستير، في جامعة كمبريدج. في شهر حزيران، انتقلتْ مع وزوجها إلى الولايات المتّحدة، حيث تلقّتْ دعوةً للتدريس في كليتها القديمة، في نورثامبتون، في ولاية ماساتشوستس. أمضى الزّوجان فصلَ الصّيفِ في كيب كود. في شهر تشرين الأوّل، استلمتْ منصباً تدريسياً في كلّيةِ سميث.

48-الاثنين الأزلي: كانت سيلفيا تصبغُ رمزيةً مشؤومةً على هذا اليوم بالذّات، وظهر هذا في أكثر من قصيدةٍ لها.

49-انحداراتٌ قاسية: وادٍ لنهر هيبدين، وهو عبارةٌ عن غابةٍ عميقةٍ كثيفةٍ، أسفل الطّريقِ، السّريعِ، في براري ويست يوركشير.

54-السيدة ورأس الخزف: الرأسُ الذي تتحدّثُ عنه القصيدةُ كان قد وُضع في جذعِ شجرةٍ صفصاف، على ضفّةِ نهر كام، ولم يُعرف صاحبُه أبداً.

57-**مشهدان لمنزل وايثنس**: إنّهُ منزلٌ قديمٌ، داخل مزرعةٍ، تقعُ أسفلَ حافةِ الأرضِ البور، فوق هاورث، في ويست يوركشير ـ ويُعتقدُ أنّه النموذجُ، الذي بنَتْ عليه الروائيةُ إيملي برونتي روايتها، (مرتفعات وذرينغ). وسيلفيا تصوّر المنزل، بدءاً من جهة الجنوب، عبر أميال من الأراضي البور، في أوّل زيارة لها للمكان.

58-**العقيقُ العظيمُ**: القصيدةُ تتكلّمُ عن ظاهرةٍ غريبةٍ يمكن مشاهدتُها، أحياناً، في أراضي البور العالية، لمدّة نصفِ ساعة، أو نحو ذلك، حين تصطبغ وجوهُ وأيادي الناس بلمعانٍ غريبٍ.

60-**مُلهمات القلق**: حين قرأت سيلفيا هذه القصيدة، في أحد برامج إذاعة (بي بي سي)، قالت معلّقةً: "تستعيرُ القصيدةُ عنوانهَا من لوحةٍ رسَمَها جيورجيو دي تشيريكو وعنوانها "ربّاتُ القلق". عبر القصيدة، وضعتُ في الحسبانِ، تلك الأشكال الغامضة التي تزخرُ فيها هذه اللّوحةُ، وخاصّةٍ صور الدّمى الثلاث، التي بلا وجوهٍ، مرتديةً أرديةً كلاسيكيةً، جالسةً، وواقفةً، تحت إضاءةٍ غريبةٍ، وتعكسُ ظلالاً قويةً، تميّزُ الأسلوبَ المبكّر للرسّام دي تشيريكو. وترمزُ الدُّمى، أيضاً، إلى نسخةٍ حديثةٍ، في القرن العشرين، عن ثلاثي الشرّ، من النساء ـ الأقدار الثلاثة، والسّاحرات في مسرحية شكسبير الشهيرة (ماكبث)، و"شقيقات الجنون"، للكاتب دي كوينسي.

62-**اللوح الناطق**: اعتادتْ سيلفيا بلاث أن تسلّي نفسها، بين الحين والحين، مع واحدٍ أو اثنين من أصحابها، بأن تضعَ إصبعَها في كأسٍ مقلوبةٍ، رأساً على عقب، داخل حلقةٍ من الحروف، مفروشةٍ على طاولة، ثم تبدأُ جلسةَ مساءلةِ "الأرواح"

1958

في الأشهرِ الأولى من هذه السّنة، استمرّتْ سيلفيا بلاث بالتدريس في كلية سميث، بينما استمر زوجها الشاعر تيد هيوز بالتدريس فيِ جامعة ماساتشوستس. مع حلول فصل الربيع، قرّر الاثنان مغادرة مهنةِ التّدريسِ، ومحاولة كسب عيشهما عن طريق الكتابة. خلال فصل الصيف، عادا من جديد إلى كيب كود، وسكنا في شقة في بوسطن، في ويللو ستريت، ومكثا هناك حتى أوائل حزيران. خلال هذه الفترة وجدت سيلفيا الكتابةَ صعبةً، شيئاً ما. لكنّها لجأت إلى بعض التدريبات المقصودة فيِ الأسلوب، والكتابة عن مواضيع محددة، في محاولة لإيجاد متنفس ما.

66-68، 73: طلبت مجلّة (أخبار الفنّ) من سيلفيا بلاث مجموعة من القصائد التي تستلهمُ لوحات فنية بعينها. قصيدة (عذراء في الشجرة، رقم 66)، تحكي عن رسم لبول كلي، كذلك هو الحال مع (بيرسيوس67) و قصيدة (مشهد معركة رقم 68)، وقصيدة (وداع الشبح، رقم 73)، وجميعها تستلهم بعض لوحات الرسام بول كلي.

69-**يادويغا أو الحسناءُ فوق سريرٍ أحمر**: القصيدةُ تستحضرُ لوحةً بعنوان "الحلم" لدوانير روسّو، وقد كتبت عنها سيلفيا في آذار من عام 1958 تقول "سداسيتي الجيّدةُ، الوحيدةُ والأولى".

74-**نحات**: رجال موتى من البرونز مرميون بأعداد كبيرة حول منزل ومرسم النحّات ليونارد باسكين.

75-**على عمق خمسة فراسخ بحرية**: قصيدتها الأولى عن والدها في دوره المتخيل كملهم "البحر الأب، والربة الإله". كتبت القصيدة بينما كانت تقرأ بعض الكتب لكوستيو عن عالم الغوّاصات، وهي تتنقّلُ بين القراءة والكتابة، من دون أن تغيّر موقعها.

76-**لوريلي**: في الثالث من تموز قامت سيلفيا برفقة زوجها تيد هيوز بزيارة إلى حكيم أرواح، للمرة الأولى في أمريكا. وبعد ذلك كتبتْ ملاحظةً تقول: "من بين الملاحظات الثاقبة، الأخرى، التي قالها لي أنّ علي أن أضيف إلى موضوع القصيدة لوريلي، تلك الأرواح الهائمة، لأن ثمة صلة قربى تجمعني بها. وهذا ما فعلته، وتذكّرتُ أغنيةً ألمانيةً قديمة كانت أمي تستمع إليها، تتحدث عن نوستالجيا أسطورة قديمة على نهر الراين، ورمز طفولة البحر، والرغبة الدفينة بالموت، التي ينطوي عليها جمالُ الأغنية. وقد استغرقت القصيدةُ سحابةَ نهاري كلّه، لكنني أشعر أنها قصيدة كتاب، وأنا سعيدة بها". أما عبارة "ثملُ الأعماق العظيمة" فمأخوذة من كتاب كاوستيو، الذي كانت تقرأه سيلفيا منذ فترة، وهي تصف حالة البهجة الرؤيوية لنقص الأوكسجين الحادّ، حيث بسببه ينسى الغواصون كلّ خطرٍ محدق.

77-**صيادة بلح البحر**: في تموز عام 1958 كتبت سيلفيا تقول: "أظنّ أن شذرتي المشعّة التي أكتبها الآن ستكون قصيدة (صيادة بلح البحر).

82-**حجارةُ تشايلدز بارك**: هذه الحديقة، تشايلدز بارك، هي مسرح لأكثر من قصيدة للشاعرة، في هذه الفترة، وتقع بالقرب من المنزل الذي عاشت فيه في ولاية ماساتشوسيتس. في الحادي عشر من حزيران، عام 1958، كتبت سيلفيا تقول: "انتهيتُ للتوّ من كتابة قصيدة إيقاعية عن حديقة تشايلدز بارك، وقارنتها ببعض الألوان الصفراء والأرجوانية، العابرة، في الجوار. أظنّ أن هذه الحديقة هي أفضل مكان لي في أمريكا".

83-**بومة**: في 26 حزيران ، كتبت سيلفيا ملحوظة تقول: "كتبتُ قصيدةً موجزةً هذا الصباح عن بومة فوق الشارع الرئيسي، باستخدام

الشعر المقطعي. كان يمكن لها أن تكون أفضل. البداية غنائية شيئاً ما، وقد لا تناسب الموضوع. كما كان بالإمكان التوسع أكثر في المقطع الأخير". هذه القصيدة انتهى بها المطاف لتأخذ عنوانها النهائي "بومة". في 23 نيسان من عام 1959، وبينما كانت تراجع قصائدها، كتبت ما يلي: "لدي أربعون قصيدة عصية على الهجوم. هذا ما أظنّه. وثمة غبطة ما تكتنف حياتي. مع أنني قد أحبّ قصائد أكثر حيويةً. كل القصائد التي كتبتها في أثناء تواجدي في كلية سميث، بائسة بالمجمل، ولا تعدو كونها رغباتِ موت. أما هذه القصائد، ومنها (بومة)، فرغم رماديتها، إلا أنها تضمرُ شغفاً، ومتعة حياة".

84-**البياض الذي أتذكره**: في التاسع من تموز، عام 1958، تورد سيلفيا هذه الملحوظة: "كتبتُ ما يمكنني اعتباره قصيدة تصلح لكتاب عن ركوبي حصاناً اسمه سام، في كمبريدج. موضوعٌ صعبٌ، بالنسبة لي، لأنّ الأحصنةَ غريبةٌ بالنسبة لي، مع ذلك فالشيطان الذي يسكنُ سام، وركوبي بثبات فوق صهوته، جعل الأمور تنتهي على ما يرام، والله أعلم كيف.

87-**صخرة خضراء**: أمضت سيلفيا سنواتها الأولى في شبه جزيرة وينثروب، حيث كان جدّاها يعيشان.

1959

أقامت سيلفيا بلاث مع زوجها الشاعر تيد هيوز في مدينة بوسطن، حتى حزيران من عام 1959، وخلال هذه الفترة، عملت سكريتيرة في مكتب للإحصاء في مشفى ماساتشوسيتس العام. وخلال هذه الفترة أيضاً بدأت تزور طبيبتها النفسية روث بيتشر. كما أنها حضرت حلقة بحث، برفقة الشّاعرة آن سيكستون، والكاتب جورج ستاربك، حول فن الكتابة، أدارها الشاعر روبرت لويل. في تموز غادر الاثنان

بوسطن، وقاما بجولة حول الولايات المتحدة من كندا إلى سان فرانسيسكو، إلى نيو أورليانز، ثم عادا، من نفس الطريق، بعد أن أمضيا وقتاً لا بأس به في أثناء رحلتهما، داخل خيم للكشافة. وقد استغرقت الرحلة تسعة أسابيع. في أيلول قبلا دعوة من يادو، وهي منتجع للفنانين قرب ساراتوغا سبرينغز في الشطر الأعلى من نيويورك. في هذا العام، تلقى تيد هيوز منحة من مؤسسة غوغينهايم، فجمع الزوجان هذا المال، وما كانا قد وفّراه من التدريس، وقررا الذهاب إلى أوروبا، في كانون الأول.

92- **ثور بنديلو**: في كتاب (قصائد سردية، إنكليزية وأسكوتلاندية، حررها إف جي تشايلد، 1883) ورد هذا المقطع في صيغة شذرة غير منتهية:

الثورُ العظيمُ لبنديلو
كَسَرَ إسفينَه وفرّ هارباً
والملكُ وحاشيتُه
لم يستطيعا ردّ الثورِ على أعقابه

94-**بوينت شيرلي**: هي المنطقة الواقعة في نهاية شبه جزيرة وينثروب. في كانون الثاني، عام 1959، كتبت سيلفيا بلاث تقول: "أنهيتُ قصيدةً، خلال عطلة نهاية الأسبوع، سمّيتها (بوينت شيرلي)، في أثناء زيارة لي لجدتي. قصيدة قوية ومؤثرة بالنسبة لي، بالرغم من بنيتها الشكلانية، الجلفة. قصيدة موحية، وليست أحادية الجانب".

95-**طائر "رضيع الماعز"**: هو عصفور الرحيق بأسماء مختلفة. القصيدة هي إسهام من سيلفيا بلاث إلى كتاب عن الطّيور، من إعداد إيثر باسكين. في العشرين من كانون الثاني، كتبت سليفيا هذه

الملحوظة: "أمضيتُ ظهيرةً، ماطرةً، ممتعةً حقاً في المكتبة، أبحثُ عن طائر رضيعِ الماعز لكتابة قصيدة تخصّ كتاب إيثر عن كائنات اللّيل. إنه ليس عن الضفادع فقط، بل عن موضوعٍ أكثر رحابةً. كتبتُ أبياتاً ثمانيةً من السونيت، عن الطائر، وهي غنيةٌ بالإيقاع والألوان". كما قامت بجمع صفحاتٍ عديدةً من الملاحظات المفصّلة.

96-**ألوان مائية عن مروج غرانتشيستر**: في 19 شباط، كتبت سيلفيا ما يلي: "كتبتُ قصيدة غرانتشيستر كوصفٍ صافٍ ... إنها نوبة من الاحباط. كبتٌ ما يحرمني من كتابة ما أشعر به حقّاً". وتقع مروج غرانتشيستر على طول نهر "كام"، القريب من كمبريدج.

99-**منظران لغرفة الجثث**: لوحةُ الرّسام بريل بعنوان "انتصارُ الموت".

101-**الوجهُ المشوّهُ**: في التاسع من آذار، كتبت سيلفيا ما يلي: "بعد جلسة شاقة مع روث بيتشر (طبيبتها النفسانية)، شعرتُ براحةٍ كبرى. طقسٌ جميلٌ، وبعضُ الأخبار السّارة. إذا لم أتوقّف عن البكاء، ستوصي بربطي بحبل. فرصةٌ جيدةٌ عن قصيدة بسبب وجهي المشوه، أسميتُها "الوجه المشوّه". بدأتُ ببيت واحد، ثم جاءت خمسة أخرى، واكتملتْ سداسيةٌ شعريةٌ. كتبتُ الأبياتَ الثمانيةَ الأولى، بعد عودتي من نزهةِ نهارٍ جميلٍ، أمضيته في وينثروب البارحة. وقد وجدتُ نفسي أحبّها-" منذ أولى محاولاتها على الانتحار، ظلّت سيليفا بلاث تحمل أثراً عريضاً لجرحٍ على طول خدّها.

103-**إليكترا على طريق الأزلية**: هو اسمُ ممرِّ المقبرةِ، الذي يرقدُ بالقرب منه والدُ سيلفيا بلاث. في التّاسع من آذار، عام 1959، كتبت الشاعرة ما يلي: "نهارٌ أزرق، كلّه صحوٌ، في وينثروب. ذهبتُ إلى قبرِ أبي. منظرٌ كئيبٌ جداً. تفصلُ بين المقابر شوارعُ فرعيةٌ، وجميعُها تشكّلتْ، خلال الخمسين سنة الأخيرة. أحجارٌ سودٌ فجّةٌ وبشعةٌ،

وشواهد قبورٍ متراصّة معاً، كأنّ الموتى يرقدون، على نسق، رأساً بجنبِ رأس. في الباحة الثالثة، فوق مسطح عشبي، وسط مسافة عجفاء قاحلة، مطلّة على صفّ من المنحنيات الشجرية، وجدتُ الحجر المسطّح: أوتو بلاث، 1885-1944، بالقرب من الممر تماماً، الذي يعبرهُ المشاةُ. شعرتُ بالغدر. انتابني إغراءٌ بأن أحفرَ القبر. لكي أثبت أنه حقيقي وأنه ميت الآن. كيف أضحى حاله الآن، وفي أي مكان قصي؟ لا شجرَ، لا سلامَ، وثمة شاهدةُ قبرهِ التي تداعتْ نحو جسده في الطرف الآخر. غادرتُ بعد وقتٍ قصير. من الجيد أن يبقى المكانُ في الذاكرة". وفي العشرين من آذار، كتبت هذه الملاحظة: "أنهيت قصيدة (الكترا على طريق الأزلية). لا يمكن أن تبلغ القصائد حدّ الكمال، لكنها لا تخلو من المحاسن". وفي 23 نيسان كتبت تقول: "ينبغي أن أعطي قبرَ أبي حقّه. أقصيتُ قصيدة الكترا من كتابي. ذلك أنها مفتعلة ومفرطة في البلاغة".

104-**ابنةُ مربّي النحل**: التفاصيل في المقطع الشعري الأخير مذكورة في كتاب والدها (النحل وطرائقه)، وقد سبق ووضّح لها ذلك بنفسه.

105-**الناسك في البيت القصيّ**: (البيت القصيّ) عمل كلاسيكي يدور حول منطقة كيب كود.

113-**حديقة المزرعة**: المشهد العام هو حدائق المزرعة في يادو. وقد أسمت سيلفيا بلاث القصيدة (إلى نيكولاس)، لكن طفلها الأول، الذي ولد بعد خمسة أشهر، كان بنتاً.

119-**قصيدة ميلاد**: في بوسطن، وفي مطلع العام، كانت سيلفيا قد جربت مخرجاً شعرياً، على طريقة روبرت لويل المبكرة في الكتابة. ودائماً كانت تستجيب لقصائد ثيودور روثكة، ولم تدرك

كيف يمكن له مساعدتها إلا في أثناء إقامتها في منتجع يادو. وقد بدأت هذه السلسلة كمحاكاة مقصودة لروثكة، في شكل تمارين خفيفة، أو مسودات أولى للرمي جانباً، لكنّها يمكنُ أن تؤدّي إلى شيءٍ ما. في 22 تشرين الأول، كتبت سيلفيا تقول: "بذور مبشرة لقصيدة طويلة مؤلفة من مقاطع منفصلة. قصيدة في عيد ميلادها. (عيد ميلادها يصادف 27 تشرين الأول). تصلحُ لأن تكون وصفاً لمصحّ المجانين، الطبيعة: معاني الأدوات، والبيوت الزجاجية، ومحلات باعة الزهور، وأنفاق منفصلة، تضجّ بالحيوية. مغامرة، لا تنتهي أبداً. انبلاجٌ، وولادةٌ من جديد. نسوةٌ عجائز". والرابع من تشرين الثاني كتبت ما يلي: "كتبتُ، كأنما هي معجزة، سبع قصائد ضمنتها في سلسلة (قصيدة ميلاد) ...".

120-**المنتجع المحروق**: منتجع الصحة القديم في "ساراغوتا سبرينغز"، قرب نيويورك، وقد صار أطلالاً محروقة.

121-**نباتات الفطر**: في الرابع عشر من تشرين الثاني، تقول سيلفيا: "كتبتُ تمريناً عن نباتات الفطر، البارحة، وقد أحبّها تيد. وأنا أحببتُها أيضاً. افتقاري الشّديد لإطلاق الأحكام حين أنتهي من كتابة شيء ما، سواء أكان عبقرياً أو تافهاً".

1960

إبان عودتها إلى انكلترا، مع زوجها الشاعر تيد هيوز، وقبيل عيد الميلاد بقليل، عام 1959، وجدت سيلفيا شقة، رقم 3، في ساحة شالكوت، قرب بريمروز هيل، في لندن. في شباط وقّعتْ عقداً مع دار نشر هينيمن لنشر مجموعتها الشعرية الأولى (الصرح). في الأول من نيسان، ولدت ابنتها فريدا. في تشرين الأول، رأى كتابها (الصرح) النور في لندن.

130-**حكماء (عبدة يسوع)**: "المجردات، بالتعريف، معزولة عن الحياة، ومصاغة بالرغم من تعقيدات الحياة، الدقيقة والحيوية. في هذه القصيدة (حكماء)، أتخيّل الحقائق المطلقة العظمى للفلاسفة، تجلس حول سرير طفلة، ولدت حديثاً، ليست سوى الحياة نفسها. " هكذا قدّمتْ سيلفيا بلاث القصيدةَ، خلال قراءة قدّمتها لهيئة الإذاعة البريطانية، (بي بي، سي).

133-**الاستيقاظ في الشتاء**: هذه القصيدة هي خلاصة مسودات كثيرة من الأبيات المنقحة، وينبغي أن ننظر إليها على أنها غير مكتملة. قصيدة أخرى، تنتمي إلى هذه الفترة ذاتها، والتي يبدو أن الشاعرة انتهت من كتابتها، لكنها لم تضمّنها قطّ في أيٍّ من ملفاتها للنشر، وهي بعنوان (حديقة الملكة ماري):

في هذا اليوم، قبل اليوم، لا أحد هناك.
بحرٌ من الأحلام يغسلُ حافة جزيرتي الخضراء
في وسط الحديقة المسمّاة باسم الملكة ماري.
الزهور العظيمة، وجلّها من دون رائحة،
تحكمُ أسرّتها كمقطوعي الرؤوس من العائلة الملكية الصامتة.
الأجرُ الوحيدُ في صحنِ فطوري العاري.

هذا الهدرُ من الألق لا يمكنني فهمه.
إنها السادسة صباحاً، أجمل من أيّ نهارِ أحد ـ
مع هذا لا يوجدُ متنزّهون أو عابرون سواي.
سماءُ المدينة بيضاء، والضوءُ قادم من الريف.

بعض طيور البط تغادر رفوفها فوق أعواد القصب
وتغطس عميقاً في المياه الفضية للبحيرة.

أراها تبدأُ تطوافها، بحثاً عن الطعام،
تحت نواقيس من أرض العجائب.
قصيّة، ومعزولة، ومسوّرة،
لكن المئات من أهل لندن يعرفونها،
كما يعرفون راحةَ كفّهم.
الزهورُ سُميتْ بأسماءِ الملكات، والنّاس المرموقين.
أو باسم نهاراتٍ سعيدةٍ، وألوانٍ وجدها الزّارعُ جميلةً.

ليست لديّ نية بانتهاكِ تناسقِها،
لأن تربيتي جيدة، وأحبّ المدينة.
أحبّ التنانير الداخلية، والمخمل، وثرثرةَ البلاط،
وسيّدةً، تحمل لقباً، وهي، على الأرجح، حسناء.
مرجٌ في ديفون يمكن أن يقدّمَ نوعاً أبسط
من الشخصيات ـ تنّورةٌ مفردةٌ، معطّرةٌ، زمردةٌ ـ
لكنني راضية بنصيبي من هذه البقعة الباذخة.

مكتبة
t.me/t_pdf

1961

في الربيعِ، وأوائل الصيفِ، من هذا العام كتبتْ سيلفيا بلاث روايتها الذاتية (الناقوس الزجاجي). خلال الصيف، وبعد زيارة إلى دوردون، اشترت، هي وتيد، بيتاً صغيراً في منطقة ديفون، وانتقلت إليه في أيلول.

134-**حقول هضبة البرلمان**: جزء من هامبستيد هيث، شمال لندن. في أثناء تقديمها للقصيدة في برنامج بثته هيئة الإذاعة ابريطانية، قالت سيلفيا بلاث: "هذه القصيدة هي بمثابة المنولوج. إني أتخيّلُ خطَّ الأفقِ، في حقول هضبة البرلمان، في لندن، من خلال عيني شخص هيمنت عليه عاطفة قوية، كادت تلون وتشوّهُ المنظر. المتكلم هنا موزع بين السنة الجديدة والقديمة، بين حزن تسبّبَ به فقدانُ طفلٍ (الإجهاض)، والغبطة المتأتية من معرفة أن طفلاً، أكبر سناً، ينتظرُ سالماً في المنزل. تدريجياً، تفسحُ صورُ الخواء والصمت طريقاً لصور العزاء والسلوى، حين تنتقل المرأة، بصعوبة، من إحساس عميق بالفجيعة، إلى الجزء الحيوي والمنادي من العالم الذي ما يزال على قيد الحياة".

136-**زوجة حارس حديقة الحيوانات**: ساحة تشالكوت قريبة من حديقة الحيوانات في ريجينت، التي كانت تزورها الشاعرة على نحو منتظم.

137-**شدّ الوجه**: تجربة مرت بها أحد معارفها، استخدمتها بلاث لتتحدث عن موضوع التجدّد الذاتي.

141-**بين الضمادات**: في آذار من هذه السنة أمضت سيلفيا أسبوعاً في المشفى، لإجراء عملية الزائدة. على السرير، بجوارها، مريضة أخرى محاطة بالضمادات. هذه القصيدة، والأخرى المسمّاة (توليب)، كُتِبتا خلال هذا الأسبوع.

147- **الخصم** : لهذه القصيدة مقطعان آخران، أحدهما يقول:

بالمقارنة بك، أنا قابلةٌ للتلف كرغيف خبز.
في نومي تومئُ الجراثيمُ السوداءُ
برؤوسها الشامخة، وتخطّطُ لقتلي في أقرب وقت.
التجاعيدُ تزحفُ كالأمواج،
وكلّ موجة تتخفّى خلف الأخرى.
ينبغي أن تكون لي ملامح من فولاذ مثلك
كي تتلهى الدقائقُ بانعكاساتها، وتنسى وجودي.

149-**قطف العليق**: في دغل على سفح مطل على المحيط الأطلسي.

150-**فينستير أو حافة الأرض**: أقصى الجزء الغربي من مقاطعة بريتاني، لها الإطلالة نفسها، مثلها مثل قصيدة "قطف العلّيق" السابقة، لكنها في منطقة مختلفة.

153-**القمر وشجرة الصنوبر** : شجرة الصنوبر تنتصب في باحة الكنيسة، غرب المنزل في ديفون، وتُرى بالعين المجردة، من شباك غرفة نوم سيلفيا بلاث. بهذه المناسبة، كان القمر المكتمل، قبل انبلاج الفجر بقليل، يشعّ خلف شجرة الصنوبر تلك، وقد طلب منها زوجها، الشاعر تيد هيوز، أن تكتبت تمريناً شعرياً عن هذا المشهد. على راديو، بي بي سي، وفي أثناء حديثها عن القصيدة، قالت سيلفيا: "لا أحبّ أن أفكّر بجميع الأشياء، تلك المفيدة، والمألوفة، التي لم أضعها أبداً في القصيدة. وضعتُ، مرةً، شجرة طقسوس، الصنوبرية. وتلك الشجرة، بدأت، فيما يشبه الأنانية المذهلة، تنظّم وتدير القضية كلّها. لم تكن مجرد شجرة صنوبر، بالقرب من كنيسة، على الطريق، بمحاذاة منزل في مدينة ما، تعيش فيه امرأة... وما

شابه، كما في رواية. كلاّ، على الإطلاق. الشجرة تقف، استثنائياً، وسط قصيدتي، مستغلةً ظلالها السوداء. الأصوات في باحة الكنيسة، والغيوم، والعصافير، والكآبة الآسرة التي شعرتُ بها، وأنا أتأمّلُ المشهد- وكلّ شيء. لم أستطع السيطرة عليها. وفي نهاية المطاف، صارت قصيدتي عن شجرة صنوبر. لشجرة الصنوبر كبرياءٌ يجعلها ترفضُ أن تكون مجرد علامة سوداء عبرة في رواية".

1962

في السابع عشر من كانون الثاني، ولد طفل سيلفيا بلاث الثاني، نيكولاس. في أيار ظهرت الطبعة الأمريكية من كتابها (الصرح) عن دار Knopf. في هذه السنة وقّعت عقداً مع دار هينمَن لنشر روايتها (الناقوس الزجاجي) في إنكلترا. وسبق ورفضت نشرها داران في أمريكا. انفصلت عن زوجها، الشاعر تيد هيوز، في تشرين الأول. منذ ذلك الحين عاشت على المساعدة الاجتماعية. في كانون الأول انتقلت مع طفليها إلى لندن.

156-**السنة الجديدة في دارتمور**: شذرةُ اقتُطعتْ من مخطوطة عشوائية، ويمكن اعتبارها غير منتهية.

157-**نسوة ثلاث**: هذه القصيدة كُتبت خصيصاً للإذاعة، بناء على دعوة من دوغلاس كليفردون، الذي قام بإخراجها، حيث لاقت صدى كبيراً على البرنامج الثالث للبي بي سي، في 19-آب، 1962. نُشر النص مستقلاً عام 1968، عن دار تريت للكتب، في طبعة محدودة من 180 نسخة.

158-**مقطع موسيقي صغير**: حتى هذا الحين، لم تكن سيلفيا مفتونة بالموسيقا، إلاّ على نحوٍ عام، لكنّها، خلال هذه الفترة، باتت جدّ شغوفة برباعيات بيتهوفن الأخيرة.

161-**بين زهور النرجس**: كانت "بيرسي كي" هي الجارة الأقرب لسيلفيا بلاث، وتحدثت عن موتها في قصيدة "بيرك ـ بليج، 167". الأيكة، في ديفون، كثيفة، وغنية بزهور النّرجس واللمّام.

163-**شجرة الدردار**: كانت تغطي المنزلَ في ديفون شجرةُ دردار عملاقة، وعلى جانبيها شجرتان أخريان، في كتلة واحدة، والثلاثُ تنتصبُ، فوق كتف مرتفع، يعود إلى ما قبل التاريخ.

167-**بيرك بليج**:شاطئ على ساحل نورماندي، زارته سيلفيا بلاث في حزيران 1961 ـ ثمة مشفى ضخم لمشوّهي الحرب، وضحايا الحوادث، مطلّ على البحر، وهناك كان المرضى يأخذون تمارين على الرّمل. الجنازة، في القصيدة، هي لجارتها، بيرسي كي، التي توفيت في حزيران، عام 1962، تماماً بعد عام من زيارتها للشّاطئ. أما الإشارة لعربة الزهور، فهي للتذكير بعربةٍ من طراز قديم، تُجر باليد، تتكدّسُ فوقها أكاليلُ الورد، وتتقدّمُ موكبَ المشيعين، والسيارات.

176-**اجتماع النحل**: كانت سيلفيا تشرف على تربية خلية واحدة من النحل، ولهذا دأبت على حضور اجتماعات مؤسسة مربّي النّحل المحلّية. تشير القصيدة إلى أول اجتماعٍ تحضره.

178-**وخزات**: أولى الإرهاصات في سلسلة هذه القصائد، وقد ظهرت في الثاني من شهر آب، حين حاولت سيلفيا أن تكتب قصيدة، لم تصل بها إلى خاتمة نهائية.

179-**سرب النحل**: حين يتجمهر النحل، فإنه يشكّلُ كرةً، أحياناً، هناك عالياً في أعلى الشجرة، قبل أن يقرّر إلى أية جهة يذهب. إنّ أية ضجة عالية، مفاجئة، كإطلاق النّار، تجعل كرة النحل تنخفض، إلى مستوى أدنى، بحيث يستطع مربّي النحل

الامساك بها، وجمعها، ووضعها داخل صندوق. يقوم المربي بعدها بهزّ الصندوق، وسكبه على سطح عريض، فتنزلق نحو الخلية الفارغة الجديدة. يزحف النحل بكلّ طاعة نحو الخلية، مثلما تصف الشاعرة في ختام القصيدة. تصف سيلفيا حادثة شاهدتها في حديقة أحد مربّي النحل لدى جيرانها.

182-**مرشّحة لوظيفة**: خلال تقديمها للقصيدة في أثناء قراءة معدّة لهيئة الإذاعة البريطانية، قالت سيلفيا في تعليق لها ما يلي: "في هذه القصيدة ... المتكلّم يتصرّف كمدير تنفيذي، أو أحد كبير الباعة. إنه يعبّر عن حرص شديد بأن تكون المرشّحةُ لمنتَجِهِ الرائع تحتاجه، وسوف تتعامل معه على النحو الصحيح".

183-**أبي**: في قراءة معدّة لإذاعة بي بي سي، وصفت سيلفيا القصيدة بقولها: "هنا قصيدة على لسان فتاة تعاني من عقدة إلكترا، وقد مات والدها وهي تعتقد بأنه هو الله، وقضيتُّها ازدادت تعقيداً حين علمت أنّ والدها نازيٌّ، ووالدتها تنحدر جزئياً، على الأرجح، من عائلة يهودية. لدى الابنة يتعانق الدافعان، ويسبّبان الشلل لبعضهما-والفتاة تعبّر عن تلك الاستعارة، قبل أن تحاول التحرّر منها".

188-**حمّى 103 درجة مئوية**: في قراءة للقصيدة، في إذاعة بي بي سي، تصف سيلفيا القصيدة، كما يلي: "إنها تتحدث عن نوعين من النيران- نيران جهنم، التي تؤلمُ فحسب، ونيران السماء، التي تطهّرُ. وعبر القصيدة، تفرض النيرانُ الأولى نفسها على النيران الثانية".

192-**على ضوء الشمعة**: الشمعدان صورة نحاسية صغيرة عن هيراقليطوس، مرتدياً جلد الأسد، وراكعاً تحت الشمعة. خلف كاحليه، خمسُ كرات نحاسية تكمل التصميم.

194-**آريل**: اسم حصان اعتادت سيلفيا ركوبه، في مدرسة لتعليم ركوب الخيل في دارتمور، في ديفونشير.

196-**الرجل والشمعدان**: تقول سيلفيا في لقاء إذاعي على راديو بي بي سي، "في هذه القصيدة، أمٌ تُرضِعُ طفلَها على ضوء الشّمعدان، وتكتشف فيه جمالاً، قد لا يطردُ قبحَ العالم، لكنه يباركُ حصّتها منه".

198-**السيدة أليعازر**: في قراءة أعدت لهيئة الإذاعة البريطانية، تقدم سيلفيا قصيدتها بهذه الكلمات: "المتكلم امرأة مُنِحتْ هبةً عظيمةً ومرعبةً بأن تُولدَ من جديد. المشكلة الوحيدة هي أن عليها أن تموت أولاً. إنّها طائر الفينيق، والروح الحرة، وسوى ذلك. إنها أيضاً امرأة صالحة، وواضحة ومثقفة".

201-**رقصات ليلية**: رقصة دائرية كان يؤديها طفلُها، ليلاً، في سريره.

203-**ثاليدومايد**: خلال الوقت الذي كُتبت في هذه القصيدة، ثبتت علاقة وطيدة بين هذا العقار المهدئ وظهور ولادات لأطفال مشوهين بين عامي 1960-1961.

205-**الموت وشركاه**: في أثناء تقديمها للقصيدة في إذاعة بي بي سي، تقول سيلفيا: "هذه القصيدة تتحدث عن الطبيعة المشروخة والمزدوجة للموت ـ البرودة المرمرية لقناع الموت كما يصوّرهُ بليك. أتخيل هذين الجانبين للموت، كرجلين أو صديقي عمل، التقيا في صورة واحدة". وتأتي مناسبة القصيدة خلال زيارة قام بها شخصان، نواياهما حسنة، عرضا على الشاعر تيد هيوز أن يعيش في الخارج، لقاء راتبٍ موقتٍ، وكان هذا سبباً بشعور سيلفيا بلاث ببعض الغيظ.

212-**استراقُ السمع**: هـذه القـصيدة كُتبـت اسـتناداً إلى بنيـة أكثـر طـولاً، في الخـامس عـشر مـن تـشرين الأول عـام 1962، لكنـها اختُصرت إلى شـكلها الحـالي، بـإجراء بعـض التعـديلات البـسيطة، واستقرّ شكلُها النهائيُّ في كانون الأول.

213-**خرافٌ في الضباب**: خلال تقديمها للقصيدة، في أثنـاء قـراءة أجرتها في إذاعة بي بي سي، البريطانية، قالت سيلفيا بلاث: "في هذه القـصيدة، يمـشي حـصان المـتكلم خببـاً، بإيقـاع بطـيء، باتجـاه الاسطبل، في الأسفل. إنه شـهر كـانون الأول. والطقـس ضـبابي. في الضباب خرافٌ ترعى".

215-**طوطم**: شرحت سيلفيا هذه القـصيدة بـالقول: "كومـة صـور متعانقة، مثل قطب الطوطم".

صدر له (عابد اسماعيل)

في الشعر:

- طواف الآفل — دار الكنوز الأدبية، 1998، بيروت.
- باتجاه متاهٍ آخر — دار الكنوز الأدبية، 1999، بيروت.
- لن أكلّمَ العاصفة — دار الكنوز الأدبية، 2000، بيروت.
- ساعةُ رمل — دار الينابيع + دار الكنوز، 2003، دمشق، بيروت.
- لمعُ سراب — دار التكوين، 2006، دمشق.
- أشباحُ منتصفِ النّهار — دار التكوين، 2018، دمشق.

في الترجمة:

- قلق التأثر، هارولد بلوم، ط1، بيروت، 1998، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.
- نظرية لانقدية، كريستوفر نوريس، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1999.
- سبع ليال، خورخي بورخس، دار الينابيع، دمشق، 1999.
- خريطة للقراءة الضالة، هارولد بلوم، ط1، بيروت، 2000، طبعة جديدة، دار التكوين دمشق، 2019.
- بورخس (مذكرات)، ويليس بارنستون، دار المدى، دمشق، 2002.
- الحادي عشر من أيلول، نعوم تشومسكي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 2002.
- نصف حياة، ف. س. نايبول، دار المدى، دمشق، 2002.
- ادفنوني واقفاً، إيزابيل فونسيكا، دار البلد، دمشق، 2003.
- ساعة حياة، ويليس بارنستون، دار المدى، دمشق، 2003.
- فنّ الكتابة، توني بارنستون وتشو بينغ، دار المدى، دمشق، 2003، (الطبعة الثالثة).
- باقة برية، هاري مارتنسون، دار المدى، 2005.
- الذين يحبّون الشوك، جونيشيرو تانيزاكي، دار المدى، 2005.

- أغنية نفسي، وولت ويتمان، دار التكوين، دمشق، 2006، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.

- ادفنوني واقفاً، سيرة الغجر، إيزابيل فونسيكا، دار التكوين، دمشق، 2006، طبعة جديدة، دار التكوين، 2019.

- أنيارا، (قصيدة ملحمية)، هاري مارتنسون، دار المدى، 2006.

- اسمي سلمى، فادية فقير، دار السّاقي، بيروت، 2009 (صدرت الطبعة الثالثة).

- الجنس والمدينة، كانديس بوشنيل، دار الساقي، بيروت، 2010 (صدرت الطبعة الثالثة).

- السمكة والخاتم، جوزيف جاكوبس، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.

- الحمقى الثلاثة، جوزيف جاكوبس، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.

- الأميرة ميراندا والأمير هيرو، إ. ج. غلينسكي، دار كلمة، أبو ظبي، 2010.

- اليابان في القرن الثامن عشر، لويس بيريز، دار كلمة، أبو ظبي، 2012.

- تشادو: طريقةُ الشّاي، ساساكي سانمي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والسياحة، عام 2015.

- إيروتيكا، الشعر الصيني، تشاو بينغ/ توني بارنستون، دار التكوين، دمشق، 2019.

- شاعرة في الأندلس، ناتالي حنظل، دار التكوين، دمشق، 2019.

في النقد :

- ولاس ستيفنس: تخيل صوفي أسمى (باللغة الإنكليزية)، أطروحة دكتوراه من جامعة نيويورك، 1995.

- فُكّ أزرار الغيتار، مختارات شعرية (باللّغة الإنكليزية)، منشورات بانيبال، لندن، 2006.

- أدونيس: عرّاف القصيدة العربية، (باللغة العربية) منشورات دمشق عاصمة للثقافة العربية، 2008.

- جماليات المتاهة (قراءات نقدية في الشعر العربي المعاصر)، دار التكوين، دمشق، 2019.

- سليم بركات، ساحر المخيلة، دار التكوين، دمشق، 2019.

مكتبة

telegram @t_pdf

لماذا انتحرت سيلفيا بلاث؟ والأصحّ لماذا ظلّت تحاول الانتحارَ طوال سنين حياتها القصيرة؟ قد تكون أخفقت مراراً، منذ سنّ المراهقة، لكنّها لم تيأسْ من اليأس، أو قلْ من وعد الموت، وظلّتْ تحاول إتقانَ تلك اللعبة الخطرة على حافّة الهباء. لم تيأسْ من مغازلة هذا العشيق، القاتل، مرّةً بعد أخرى، وحين نجحتْ في المحاولة الأخيرة، وماتت حقاً، وُلدتْ شعرياً من رمادها، كطائر الفينيق، لتنسجَ اللغةُ، بعد غيابها، أسطورة الشاعرة التراجيدية التي انتحرتْ في أوج توهّجها.

الأشجارُ تيبسُ في الشّوارع
والمطرُ يفتّتُ الأشياءَ.
أكادُ أتذوّق قطراته على لساني
أتذوّقُ الرّعبَ الملموسَ،
والرّعبَ الذي يقفُ،
والرّعبَ الذي يستريحُ ...

الموتُ فنّ،
ككلّ شيء آخر.
وأنا أؤدّيه ببراعةٍ استثنائيّةٍ

Sylvia Plath

The Collected Poems

Translated by
Abed Ismael

ISBN 978-9933-615-77-2